تراثنا

تنسيق وفهرسة د. الشويحي

٥-٥-٢٠١٣

ديوان

ابن شهيد الأندلسي

جمعه وحققه

يعقوب زكى

راجعه

الدكتور محمود على مكى

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا البحث نتاج أعوام أربعة في محاولة لسد حاجة كانت تفتقر اليها الدراسات الأندلسية ، وما يجرى منذ أكثر من قرن من الزمان من استرداد شتات الثقافة الأندلسية هو ما جعلني أشعر بشدة الحاجة الى ديوان ابن شهيد ، وأبدى العلماء في أسبانيا ومصر اهتماما بالغا بهذا البحث أثناء اعداده .

ولقد يكون عقوقا مني ألا أسجل هنا تقديري العميق لما طوق به عنقي كثير من العلماء الباحثين من فضل ، وأنا أقدم الشكر أولا للدكتور « لويس سيكو دي لوثينا » أستاذ اللغة العربية بجامعة غرناطة من أجل مساعدته في الدكتوراه وأيضاً للدكتور « محمد قدال » المدرس بجامعة الاسكندرية الذي أخذ على عاتقه أن يقوم بترجمة المقدمة . وأما الدكتور « عبد القادر القط » أستاذ الأدب العربي بجامعة عين شمس ، الذي أشرف على بحثي في القاهرة ، فانني مدين له بكثير مما لا يمكنني تفصيله في هذه العجالة ، فلولا عونه لما وجد هذا المؤلف طريقه الى النور . وأقدم شكري أيضا الى الدكتور « محمود مكي » بمعهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، فقد أشرف على بحثي هذا في مراحله الأولى . وأزجي الشكر أيضا الى الدكتور « شوقي ضيف » أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة ، فقد ضمنت بحثي عدة نقاط ثمينة تفضّل بها عليّ . والى الأستاذ « محمد خضر » الذي ساعدني في فهم النصوص والى الأستاذين « محمد فهمي» و « عبد الوهاب أبو النور » اللذين ساعداني أيضا . وأما الأستاذ « فؤاد السيد » أمين المخطوطات بدار الكتب بالقاهرة رحمه الله ، فان ديني له يعجز عنه البيان ، ولا شك ان اسمه هنا ينوب عن هؤلاء الموظفين في الدار الذين أبدوا كثيراً من الغيرة على مساعدة غريب في بلادهم .

المقدمة

حياة ابن شهيد

(١)

(٣٨٢ - ٣٩٩ / ٩٩٢ - ١٠٠٨ م)

هو أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد ابن شهيد بن عيسى بن الوضاح الأشجعي، وقد سمى «أحمد» على اسم جده ، وكنيته أبو عامر[١] . وقد دخلت أسرته التاريخ أول مرة حينما قاتل جده الوضاح بن رزاح في معركة مرج راهط عام ٦٤هـ (٦٤٨) في صف الضحاك بن قيس الفهري ضد الأمويين ومؤيديهم من بني كلب[٢] . وكان الوضاح هذا هو الجد الأكبر للأسرة التي تحمل هذا الاسم ممن يقطنون مرسية[٣] . وكان من قبيلة أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر [٣] . وقد وقع الوضاح في تلك المعركة أسيرا في يد مروان بن الحكم[٤] ، مؤسس الفرع المرواني من الأسرة الأموية ، التي قدر لذرية الوضاح من بعده أن تخدمها باخلاص شديد . وابن شهيد نفسه يشير الى أصله هذا في قصيدته (رقم ٣) [٥] :

مِن شُهَيْدٍ في سِرِّها ثُمَّ من أَشْـ ... ـجَعَ في السِّرِّ مِن لُبابِ اللُّبابِ

ولقد كانت أسرة ابن شهيد أسرة شامية لاجئة استقرت في أسبانيا في حكم عبد الرحمن الأول (١٣٨ - ١٧٢ / ٧٥٦ - ٧٨٨) حين وجد شهيد بن عيسى أحد

---

(١) ابن دحية : المطرب ص ١٦٠ ، ابن خلكان : الوفيات ج ١ ص ٩٨ .

(٢) الضبي : البغية ص ١٧٨ - ١٧٩ ، ابن الأبار : الحلة ج ١ ص ٣٨ .

(٣) الضبي : البغية ص ١٧٩ . وعن نسب بني أشجع انظر ابن حزم : الجمهرة ص ٢٣٨ .

(٤) الضبي : البغية ص ١٧٩ .

(٥) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢١

حفـدة الوضــاح (وكان هو نفســه شاعرا [1]) من الحكمة أن يهرب من حكم العباسيين [2] ، وكان من حظه أن ارتقى الى مرتبة من الغنى والنفوذ ، وتولى بعض المناصب العامة مرات عدة ، ولقد عين عبد الرحمن الناصر الثالث[3] جد شاعرنا الأكبر واسمه عبد الملك وزيرا عام ٣١٧ (٩٣٩) ، وكان من حظ ابنه أحمد أن خلع عليـه عبد الرحمن الناصر لقب « ذي الوزارتين » وكانت هذه أول مرة يستخدم فيها هـذا اللقب في اسبانيا[4] ، ولم يكن من حظ أي فرد آخر من أفراد الأسرة أن يحظى بمثل هذا اللقب ، وخلع هذا اللقب ، مع لقب « الحاجب » على المنصور ، ويبـدو أن « ذا الوزارتين » هذا قد جمع لنفسه ثروة خيالية ، وذلك واضح مما كتبه كل من ابن خلدون[5] والمقرى[6] ناقلين عن ابن حيان وابن الفرضي بهـذا الترتيب ، عن ظروف خلع هذا اللقب عليه :

« خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين وأربعمائة رطل من التبر ومصارفه خمسة وأربعون ألف دينار ، ومن سبائك الفضة مائتا بدرة ، واثنا عشر رطلا من العود الهندي يختم عليه كالشمع ، مائة وثمانون رطلا من العود النقي الحر ، ومائة رطل من العود شبه المتقى ، ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه ، وخمســمائة أوقية من العنبر الأشهب المفضل في جنسه على خليقته من غير صناعة ، ومنهـا قطعة ململمة عجيبة الشكل وزن مائة أوقية ، وثلثمائة أوقية من الكافور المترفع الذكاء ، ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المخمل المرقوم بالذهب للباس الخلفاء مختلفة الألوان والصنائع ، وعشرة أفــرية من غالى جلود الفنــك الخراسانية ، وستة من السرادقات العراقية ، وثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، وثلاثون شقة من القربوني من الملاحف لسروج الهبات ، وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد ، وأربعة آلاف من الحرير المغزول ، وألف رطل من الحرير المنتقى للاستغزال ، وثلاثون بساطا من الصوف ، مختلفة الصناعات طول كل بســاط منها عشرون ذراعا منتقاة مختلفة الألوان ، ومائة قطعة مصليات من وجوه الفــرش المختلفة ، وخمسة عشر من نخاخ الخز المقطوع شطرها ، ومن السلاح والعدة ثمانمائة

---

(١) الحميدي : الجذوة ص ٢٢١ ، ابن الأبار : الحلة ج ١ ص ٣٨ .
(٢) ابن الأبار : الحلة في دوزي : Notices ص ١٢٧ .
(٣) ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ٢١٦ .
(٤) النفح ج ١ ص ٢٠٢ و ٣٣٣ ، انظر أيضا ابن الأبار ، الحلة ص ١٢٧ .
(٥) العبر ج ٤ ص ١٣٨ وهو ينقل عن ابن الفرضي .
(٦) النفح ج ١ ص ٣٣٤ – ٣٣٦ ، وانظر ابن حيان : المقتبس ص ١٨٠ (بيروت ١٩٦٥) .

من التجافيف المزينة أيام البروز والمواكب ، وألف ترس سلطانية ، ومائة ألف سهم من النبال البارعة الصنعة ، من الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العـــراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت ، وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية ، ولجم بغال مجالس سروجها خز جعفرى عراقى ، ومائة فرس من عتاق الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات ، ومن الرقيـــق أربعون وصيفا وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتهن ، ومن سائر الأصناف قرية تغل آلافا من أمداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه قيمته خمسون ألف دينار . وعرضت الهدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها[1] » .

وينقل ابن القرطى[2] نص رسالة بعث بها أحمد بن عبد الملك الى الخليفـة تفيد تسليم هذه الهدايا :

« وكان قد أربى ـ أيده الله ـ بابتياعهم من مال الأخمس ، فابتعتهم من نعمته عندى ، وصيرتهم من بعثى ، ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزذ لامحاق فيه ...... ولما علمت تطلع مولاى ـ أيده الله تعالى ـ الى قرية كذا بالقبانية المنقطعة الغرس شرفها ، وترداده ـ أيده الله تعالى ـ لذكرها لم أهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة فى ابتياعها بأحوازها ، وأكتبت وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه ، وضمها الى ضـياعه ، وكذلك صنعت فى قرية شيرة من نظر جيان عندما اتصل بى من وصفه لها وتطلعه اليها ، فما زلت أتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية ، وصار فى يده له ـ أبقاه الله سبحانه ـ وأرجو أنه سيرفع فيها فى هذه السنة آلاف أمداد من الأطعمة ان شاء الله تعالى ، ولمـا علمت نافذ عزمه ـ أبقاه الله تعالى ـ فى البنيان ، وكلفه به ، وفكرت فى عدد الأماكن التى تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره فى بنيانها ـ مد الله تعالى عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله ـ علمت أن أسه وقوامه الصـــخر والاستكثار منـه ، فأثارت لى همتى ونصيحتى حكمة حيلة أحكمها سعدك وجدك اللذان يبثان ما لا يتوهم عليه حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عاما ، وينتهى تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين ألفا أعجل شأنه فى عام ، ســوى التوفير العظيم الذى يبديه العيان قبلا ان شاء الله تعالى ، وكذلك ما ثاب الىّ فى أمر الخشب

---

(١) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٢٨ .
(٢) النفح ج ١ ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

لهذه المنية المكرمة ، فان خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج اليه الى ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود ، على أنه لا يدخل منه في السنة الا نحو الألفي عود ، ففتح لي سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هـــذا الخشب العام على كماله بورود الجلبية لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الخمسين والستين ألفا ، .

فلا غرابة اذن أن نكتشف أن اللقب الذي ابتاعته هذه الهدايا قد جعل دخـل الوزير وقدره عادة أربعون ألف دينار في السنة ، يزيد ضعفين . ويذكر الحميدي[1] انه ذات مرة زار « ذا الوزارتين » عبد الملك بن جهور ، ولكن هذا الأخير ادعى أنه غير موجود ، فكتب اليه :

أَتَيْنَاكَ لاعن حاجةٍ عَرَضَتْ لنا　　إليْكَ ولا قَلْبٍ إليْكَ مَشوقِ
وَلَكِنَّنَا زُرْنا بِفَضْلِ حُلُومِنا　　حِمَـاراً تَلَقَّى بِرَّنا بِعُقوقِ

ويقص علينا المقري[2] قصة ، تبدو لنا موضوعة ، عن علاقاته بالخليفة العظيم ، فقد تلقى الوزير هدية هي فتى نصراني جميل غاية في الجمال ، فلما رآه عبد الرحمن طلب الى وزيره أن يهديه اياه ، فما كان من الوزير الا أن يفترق عن عشيقه الفتى وأن يرسل معه الى الخليفة هذه الأبيات :

أَمَوْلايَ هذا البَدْرُ سارَ لأُفْقِكُمْ　　ولَلأُفْقُ أَولى بالبُدُورِ مِن الأَرْضِ
فأُرْضِيكُم بالنَّفْسِ وهْيَ نَفيسة　　ولم أَرَ قَبْلِيَ مَن بمهجتِهِ يُرْضِي

فسر الخليفة غاية السرور . وبعد مدة غير طويلة أهديت الى الوزير جارية ذات جمال أخاذ ، فخاف أن تتكرر القصة ، فبعث بها على التو الى عبد الرحمن ، وأرسل معها هذه الأبيات :

أَمَوْلايَ هذي الشَّمْسُ والبَدْرُ أَوَّلا　　تقدَّم كيما يلْتَقي القمرانِ
قِرانٌ لعَمْرِي بالسَّعادةِ قد أتى　　فَدُمْ منهما في كَوْثَرٍ وجِنَـانِ
فما لهُما واللهِ في الحُسْنِ ثالِث　　وما لك في مُلْكِ البريّة ثَـانِ

---

(١) الجذوة ص ١٢٢ ؛ الضبي : البغية ص ١٧٧ ؛ نص القصيدة من الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٥١ .
(٢) النفح ج ١ ص ٣٣٧ — ٣٤٠ .

فزاد عند الخليفة قدره ، وعلا مركزه . ولكن واشيا ذكر لعبد الرحمن أن الوزير لم يزل يحمل في قلبه مرارة وحزنا على الفتى ، فهو يكرر اسمه عند سكره، ولكن الخليفة قال للواشي لا تحرك لسانك والا طار رأسك . ومع ذلك كتب الخليفة رسالة مزيفة ، على أنها من الفتى الى سيده القديم ، فلما كان هـذا الأخير حاضرا مجلس شرب عند الخليفة ، وأعطى الرسالة ، كتب على ظهرها هذه الأبيات :

أمِن بعد إحْكام التَّجارِبِ ينْبغي
لديَّ سُقُوطُ الطَّيْرِ في غابةِ الأَسَدْ ؟
وما أنا ممَن يغلب الحُب قَلْبَـهُ
ولا جاهل ما يدعيه أُولو الحَسَدْ
فإنْ كُنْتَ رُوحِي قد وَهَبْتُكَ طائعاً
وكَيْفَ يُرَدُّ الرُّوحُ إنْ فارَقَ الجَسَدْ

وعندما قرأ الخليفة رد وزيره هذا ، دهش لبصيرته النافذة ولم يعد يستمع للواشين من بعد . وقد سأل الخليفة وزيره بعد ذلك بزمن ، كيف أمكنه أن يتفادى ذلك الفخ المنصوب ، فأجاب عبد الملك ، « لأن عقلي بالهوى غير مشترك » .

ولقد ولد أبو مروان ، والد شاعرنا هذا في عام ٣٢٣ (٩٣٥) ، أي بعد أن أعلن عبد الرحمن الخلافة بسنوات ست . ولقد رأى أبو مروان هذا في صباه رؤيا ، وكأنما هو يبتلع سبعين دينارا ، واحدا بعد الآخر . وذهب الى أقدر مفسري الأحلام في عصره يسأله الرأي ، فقال ان كل دينار يمثل عاما ، ومعنى الحلم اذن أنه سيعيش سبعين عاما ، وكان ذلك بالطبع مصدر سعادة له لما كان شابا ، فلما ابتدأت نهاية الفترة تقترب خطوة خطوة ، صار ذلك مصدر قلق وفزع ، وعاد صاحبنا يسأل نفسه ان لم يكن قد أخطأ في عد السنين ، وكان المتملقون من حوله يزيدون من تردده ،ويخلطون عليه الأمر . ولقد أقام أبو مروان عشرة أعوام أو تزيد في « منية المغيرة » وهي ضاحية كانت أثيرة عند الطبقة العليا من رجال الحكم . ولقد قلد أبو مروان الوزارة مثل سلفه . ثم قربه المنصور فيما بعد فجعله يسكن بقربه في «دار ابن النعمان» وكان من حظه أن يرافق المنصور في الحملة الجبارة ، وهي الثالثة والعشرون من سلسلة الحملات التي

وجهها ذلك القائد العظيم ، ضد مدينة برشلونة عام ٣٧٥ (٩٨٥) [1] ، وكانت حملة معدة اعدادا فوق العادة من ناحية الآداب والفنون ، فقد صحبها أربعون شاعرا من بينهم القسطلي[2] ، وهو الى جانب كونه شاعرا ، يصحب الحملة كشاعر ، فقد كان مشهورا بعلمه بالتاريخ والحديث واللغة وعلمه فوق ذلك كما يقول ابن بشكوال « بسائر ما يحاضر به الملوك »[3] ، وكان أيضا صاحب كتاب فى التاريخ امتدت شهرته فى ذلك العهد ، وعنوانه « التاريخ الكبير » يتتبع الحوادث منذ عام الجماعة ، عام ٤٠ الهجرية ، حين تنازل الحسن بن علي عن دعوى الخلافة الى معاوية ، حتى حوادث عصره هو ، والكتاب يحوى أكثر من مائة مجلد[3] ، مما يقوم شاهدا حيا على جهده الكبير ، ولقد أقام المنصور أبا مروان حاكما على الأقاليم الشرقية ، بلنسية وتدمير ، وظل فى منصبه هذا تسعة أعوام ، حتى أضناه عبء المنصب فالتمس من المنصور أن يأذن له بالتقاعد ، فأذن بعد حين ، فحمل معه الى المنصور من الهدايا من الذهب والفضة ما يقدر بأربعمائة ألف دينار ، ومن الأوانى بمائة ألف دينار ، ومعها خمسمائة زوج من العبيد ، ومائتان من الصقالبة ، وكتب الى المنصور قبلها يخبره بذلك ، ولكن المنصور لم يقبل الهدية قائلا[4] :

« لو أردنا أخذ ما أعطيناك ما قدمناك ، ونحن نخاف أن تستصفى نفقتك ما استفقته ، وتأتى على ما اجتلبته ، بارتفاع ثمن الطعام ، وأنك لم ترد منه على ذخيرة ، وقد صككنا لك بألف مدى بشطرين من قمح وشعير تستظهر بها على زمانك ، فاقبضها من أهراء فلانة لقربها من مكانك ، ان شاء الله » .

وهناك حكايات[5] تحكي عن زمن تقاعده هذا ، وتصور مقدار قربه من المنصور وأثرته عنده ، ويحكي ابن بسام [6] « انصرف مرة من غزوة تخلف عنها ابن شهيد لعذره فكتب اليه من جملة أبيات :

---

(١) من كل المعلومات المذكورة انظر ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٢ ص ٧١ — ٧٢ ، وانظر مناقشة الدكتور محمود مكى لهذه القضية ، فى مقدمة نشرته لديوان ابن دراج القسطلى ص ٣٨ — ٤٠ .

(٣) الصلة ج ١ ص ٢٤٩ .

(٤) الذخيرة القسم ١ مجلد ١ ص ١٦٧ . وانظر من ص ١٦٦ الى ١٦٧ على الخصوص .

(٥) هذه القصص ينسبها نيكل خطأ الى جد شاعرنا (انظر الصفحات من ٤٧ — ٤٨ من Hispano Arabic Poetry بينما ابن شهيد نفسه يعطينا الدليل القاطع على أنها تعود الى والده . انظر كتاب « الذخيرة القسم ١ مجلد ١ ص ١٧٧) .

(٦) المرجع السابق قسم ٤ مجلد ١ ص ١٨ — ١٩ .

أنا شيخ والشيخُ يَهْوَى الصَّبايا ... فبنَفْسِى أَقِيكَ كل الرزايَا
ورَسـولُ الإلَهِ أَسْهَمَ فى الفى ... ءِ لمن لم يحث فيه المطايا

فأجابه ابن أبى عامر :

قد بَعَثْنا بها كشَمْسِ النَّهـار ... فى ثلاثٍ من المها أبْكارِ
وامْتَحَنَّـا بعُذرةِ الغِيدِ إنْ كُنـ ... ـتَ تَوَخَّى بوادِرَ الأَعـذارِ
فاتئدْ واجْتَهِدْ فإنَّكَ شيخٌ ... قد جَلا ليلَه بياضُ النَّهـارِ
صانكَ اللهُ من كلالِكَ فيها ... فمِن العـارِ كَلَّـةُ المسـمار

فافتضهن الشيخ من ليلته ، وكتب اليه بكرة :

قد فَضَضْنا خِتامَ ذاك السِّوارِ ... واصْطَبَغْنا مِن النَّجِيعِ الجارِى
وصبونا فى ظِلِّ أَطْيَبِ عيش ... فلَعِبْنا بالدُّرِ أو بالـدَّرارِى
وقَضىَ الشَّيخُ ماقضى بحُسام ... ذِى مضاءٍ عَضْبِ الظُّبا بتَّـارِ
فاصْطَنِعْهُ فليس يجزيكَ كُفرًا ... واتَّخِذْهُ فَحْلاً على الكُفارِ

وقد حدث ذات مرة فى مجلس أنس يجتمع شمله فى قصر المنصور ، أن زاد أبو مروان من الشرب والمراح حتى قام فرقص ، بالرغم من مرضه بالنقرس وهـو يعتمد على ذراع الوزير ابن عباس ، ثم أشار بأصبعه الى المنصور ، وانطلق يرتجـل على التو هذه الأبيات(١) :

هـاكَ شيخٌ قادَهُ عُذْرٌ لكا ... قامَ فى رَقْصتِهِ مُسْتهلِكَا
لم يُطِقْ يرقُصُها مستَثْبِتاً ... فانْثَنى يرقُصها مُسْتَمْسِكًا
عاقَـه عن هَزِّها مُعتدِلًا ... نِقْرِسٌ أنْحَى عليـه فاتَّكَا
مِن وَزيرٍ فيهِمُ رَقَّـاصةٍ ... قامَ مِن طيبٍ يُناغى ملكاً

---

(١) المرجع السابق ص ١٧ — ١٨ .

أنا لَوْ كُنْتُ كما تَعْرِفُنِى   قُمْتُ إجْلالًا على رأسِى لكَا
قَهقَهَ الإبْرِيقُ منى ضاحِكاً   ورأىَ رِعْشةَ رِجْلى فبَكَى

فصاح الفليك ، وهو شاعر من بغداد ، لله درك يا وزير تصلى بالقاعدة وترقص بالقائمة ، ، مما زاد من مراح المنصور ، فأفاض من ماله على الجميع[1] .

والبيئة الاجتماعية والثقافية التى وجد فيها ابن شهيد ، هى بيئة تلك الأرستقراطية العربية القديمة التى كانت تستأثر بمهام الحكم ، فكانت كبنى أبى عبدة ، وبنى حدير ، وبنى عبد الرءوف ، وبنى جهور ، وبنى فطيس[2] ، أسرة من تلك الأسر التى احتكرت تماما وظائف الادارة . وقد امتد سلطان هذه الأسرات وظل غير منتقص بحكم صلاتها الوثيقة بالأسرة المالكة ، ثم بعدها ببنى عامر ، طوال عهد اضمحلال الارستقراطية العربية التى انهزمت فى معركتها ضد السلطة المركزية ، والسياسة التى اختطها الناصر لخلق دولة متعددة القوميات ، مضافا الى ذلك تشجيع النـاصر للعناصر الصقلبية ، واعتماد المنصور بعده على العناصر البربرية . ولقد ولد ابن شهيد فى عهـد هشام المؤيد (الثانى) حين وصلت البـلاد تحت قيادة المنصـور ورعايته الى أعلى درجات الرخاء والقوة الحربية ، وعاش حتى رأى ، لا اضمحلالها فحسب ، وانما كان شاهدا لتحللها الكامل ونهاية سطوتها ، فانعكست تجاربه هذه فى روح التشاؤم التى تملأ شعره . ولقد كان لبيئته الأرستقراطية أثر كبير فى تحديد بعض صفات أدبه . فكان له من ثقافته الموروثة ، ومن نقاء دماء أسرته العربية ، فضل كبير وميزة على أعـز أصدقائه وشركائه فى بعض أدبه ، الأديب الشهير ابن حزم ، الذى لم يتمكن أبدا من التخلص من شعوره بالخجل من أصول أسرته المسيحية[3] . ويبدو أن أسرة ابن شهيد كان لها فى ميدان الأدب ما كان لأسرة باخ فى ميدان الموسيقى ، فقد كان أخـوه[4] ، وابن عمه[5] ، وأبوه ، وعمه[6] ، وجـده ، وأبو جده[7] جميعـا من الشعراء ، وقد وصلت الينا نماذج من شعرهم جميعا[8] . ويقول بيريس[9] أن أدب

---

(١) توجد أشعار أخرى لأبى مروان فى ملحق أ .
(٢) ليفى برفنسال : L'Espagne Musulmane ص ١٠٠ — ١٠٤ .
(٣) ابن الخطيب فى دوزى : Catalogus ج ١ ص ٢٢٧ .
(٤) ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٨٦ .
(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٨٥ .
(٦) مات فى رجب ٤٠٨ (ديسمبر ١٠١٧) . أنظر ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٥٠ — ٢٥١ .
(٧) فضلا عن ابن بسام (الذخيرة ق ١ — ١/١٩٦٥) انظر أيضا الحميدى : الجذوة ص ٢٢١ .
(٨) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٥١ — ٢٥٢ .
(٩) La Poésie andalouse ص ٢٨ .

هذه الأسرة يتميز بطابع يسميه Humoristique (الميل الى الدعابة) .

ولقد ولد شاعرنا فى قرطبة عام ٣٨٢ (٩٩٢) [١] ، وكان أبوه قد بلغ التاسعة والخمسين ، وذلك عمر كبير . ويشير ابن شهيد نفسه الى دار ابن النعمان[٢] حيث أقامت أسرته بقرب « الزاهرة » قصر المنصور . ولكن يبدو أن شاعرنا كان يعيش حينئذ فى اتصال أوثق من ذلك بكثير ببنى عامر ، اذ نراه يقول « وأقل ما أمت به ، وأنطق عنه ، ممتد عنان الأمل ، كارعا فى بحر الرجاء لا الوشل ، من موالتى بالمنصور جده ـ رضى الله عنهما ـ أنى نشأت فى حجره ، وربيت فى قصره ، وارتضعت ثدى كرائمه ، واعتجرت رداء مكارمه ، واغتذيت من فيه أكلا زقيه وماء علنبه ، فصرت من أفراخ نعمائه الحمر الحواصل ، ولحقت بأخوة أبنائه الغر المباهل .

ولقد وصلتنا قصة حادثة تحكى عنه وهو فى الخامسة من عمره ، فلقد أتى به أمام المنصور ، ذات يوم مطير ، فرأى عنده تفاحة كبيرة ، فنظر اليها فى اشتهاء ظاهر حتى ان المنصور أمره بأكلها ، فلم يتمكن ـ اذ كانت التفاحة كبيرة جدا ـ من أن يقرضها بأسنانه ، فجعل المنصور يقطع منها بفمه ويعطيه منها قطعة قطعة حتى أكلها ثم أرسل فى طلب ابنه عبد الرحمن (الناصر فيما بعد) فلما جاء طلب اليه أن يأخذ الطفل الى السيدة « عبدة » (ابنة شانجه بن غرسية أو سانتشوجارثيز الثانى ، ملك نافار ، وأم شنجول) . ولما أبدى الطفل عزوفه عن الخروج فى المطر ، حمله عبد الرحمن وتابعه ابن شاكر على كتفيهما الى زوجة المنصور ، فأجلسته على السرير بجانبها ، وأمرت له بأربعة آلاف درهم ، ألف منها من خزانتها ، وثلاثة آلاف من خزانة زوجها المنصور . وكان ابن شهيد يريد أن يفرق المال بين خدم البيت ، لكن والده استولى عليه ، وفرق بعضه على نفر من بطانته ، ثم وضع الباقى فى خزائنه . فلما بلغ ذلك أسماع المنصور غضب ، ثم أمر للطفل بخمسمائة دينار ، وأمر والده فى ذات الوقت بأن لا يلمس منها شيئا . وبنفس الكرم الذى اشتهر به شاعرنا فى حياته فيما بعد[٣] ، أهدى المال الى خدمه ورفاقه واشترى بما تبقى منه لعبا تمثل الجند[٤] .

ولقد كانت تربية ابن شهيد على المبادىء الاسلامية الخالصة ، اذ انقلب أبو مروان والده العجوز فى ذلك الحين تقيا زاهدا ، فاستقال من منصب الوزارة ، وهجر الدنيا

(١) تجمع على هذا التاريخ كل المصادر (الحميدى ، والضبى ، وابن دحية ، وابن خلكان) .
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٥ .
(٣) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٣ .
(٤) ابن حيان فى الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٢ .

ليصطنع الجد فى عزلته ، لابسا الصوف والكتان بدل الحرير[1] . ولقد كان على أبى عامر الصغير أن يتبع فى ذلك أباه .

ولقدُ حدث ذات مرة وابن شهيد فى الثامنة من عمره ، أن زارهم الوزير ابن مسلمة ، وسأل أبا عامر الطفل عن حاله ، فكان كل جوابه غصة وبكاء . فلما سمع بذلك المظفر بن المنصور بن أبى عامر استدعاه الى مجلسه ، فلما رآه كذلك أمر بأن يلبس الحرير ، ثم أركبه حصانا من عنده بسرجه ولجامه ، ووجه به الى دار أبيه ، يتبعه عبد يحمل طبقا عليه ألف دينار[2] .

وفى عام ٣٩٣ (١٠٠٢) وابن شهيد فى الحادية عشرة من عمره ، مات أبوه بالسكتة القلبية ، وبذلك صدقت النبوءة فقد كان عمره سبعين سنة وبضعة شهور . وقد توفى صباح سبت ، ودفن فى اليوم التالى ، يوم الأحد الرابع من ذى القعدة[3] . وكان المنصور قد مات قبل ذلك بعام ، ودفن فى مدينة سالم الباردة ، بينما المؤرخ المسيحى قد فضل أن يقول فى حولياته انه « دفن فى الجحيم »[4] .

ولا بد أن ابن شهيد كان طفلا معجزا ، فان أقدم قصائده الباقية فيما يبدو قد كتب فى تاريخ سابق لشهر شوال عام ٣٩٤ (أغسطس ١٠٠٤) . وهى قصيدة قصيرة وجهها الى الوزير أبى مروان عبد الملك بن ادريس الجزيرى الذى قتل خنقا فى سجن الزاهرة بأمر من المظفر فى التاريخ المذكور ، وكان عمر ابن شهيد حينئذ اثنى عشر عاما فقط[5] . والقصيدة جزء من رسالة له رد بها على خطاب وجهه اليه ذلك الوزير :

قُلْ للوَزِيرِ الّذى بانَتْ فَضائلُهُ ... وقامَ فينا مقام الغَيْثِ نائلُهُ
إذ بانَ فَضْلُ مَساعِيهِ وهِمتِهِ ... بيّن لنا شَرْحَ مَعْنًى سالَ سائلُهُ

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٤ — ١٦٥ .
(٢) المرجع « « « ص ١٦٤ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٤٩ .
(٤) Chronicon Burgense ص ٣٠٩ .
(٥) الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٣٦ . انظر أيضا ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٥٠ ؛ وابن عذارى : (البيان ج ٣ ص ٢٦) يقول بأن تاريخ ذلك كان ٣٩٨ (١٠٠٨) ويذكر سببا للمقتل اشتراكه فى ثورة طرفة . ونقل ابن بشكوال من ابن حيان وهو أتم وأوثق . وليس مثل النبوغ المبكر أمرا بعيد الاحتمال . لقد سمع ابن حزم وهو فى نفس العمر تقريبا ، وقبل أن يبلغ الثانية عشرة ، سمع قصيدة ألقيت فى حضرة المظفر وبلغ منه التأثر حدا جعل الشاعر يكتبها له . انظر الحميدى : الجذوة ص ٢٥٣ .

أَوَاخِرُ الوَرْدِ إذْ تجْنيهِ مُلْتَقِطاً أزْكَى وأَعْطَرُ نَشْراً أمْ أوائلُهُ؟
وأَيٌّ حالَيْهِ مَوْجُوداً ومُفْتَقَداً أَوْلَى وأَجْدَرُ أنْ تُرْمَى وسائلُهُ
وقد أتاكَ لتَوْديعٍ على عَجَلٍ خُضراً مقانِعُه ، حُمْراً غلائلُهُ
فامْنَحْهُ منكَ قَبُولاً واقْضِ نَهْمتَهُ مِن الوَداعِ فقد زُمَّتْ رَوَاحِلُهُ

ولقد رد أبو عامر على هذه القصيدة بقصيدة من ذات الوزن والروى ، بها من التعقيد ما هو ارهاص بما هو قادم من اللعب بالألفاظ فى مستقبل شعره (القصيدة رقم ٥٦) [١] :

الوردُ عَهْداً ونَشْراً صِنْوُ عَهْدِكَ لا تُنْسِى أَواخِرَهُ طِيباً أَوائِلُهُ

ويبدو أن ابن شهيد كان يعانى من الصمم معظم أيام حياته ، ولعله أصيب فى هذه الأيام الأولى بهذا النقص الذى كان سببا فى يوم من مستقبل أيامه فى أن لا يصل الى المنصب الذى كان يرنو اليه ، وهو منصب الكتابة[٢] وكان الوزراء يختارون من بين عدد يعد على الأصابع من الأسر العالية كان من امتيازاتها الخاصة جيلا بعد جيل أن يخرج منها من يتولون هذه المناصب . وكان بنو شهيد من أبرز هؤلاء . ولما كان أبو عامر سليل بيت أدب ، وأظهر هو ذاته دليلا على ملكاته الأدبية ، كان طبيعيا أن يرنو الى منصب يعتمد بالضرورة على الملكة الأدبية . وكان ديوان الكتابة يتكون من منصبين ، منصب أمين سر (كاتب الزمام) مسئول عن الخزانة العامة أو بيت المال ، والآخر وهو المنصب الذى سعى اليه شاعرنا ، هو منصب أمين سر (كاتب الرسائل) مسئول عن كل المكاتبات الرسمية[٣] .

ومن الطبيعى فى مجتمع يدرك ويهتم كل الاهتمام بالقيم الجمالية كما اهتم بها المجتمع العربى ، أن ترتبط سمعة الدولة نفسها بما تتصف بها مكاتباتها الرسمية من فن أدبى ، حتى أن الدقة فى اتباع قواعد اللغة من نحو وصرف صارت أول ما يطلب من مؤهلات عند من يتطلعون الى مثل ذلك المنصب ، فزلة قدم واحدة فى رسالة من رسائل الدولة أو مرسوم واحد من مراسيمها تنقص من قدر الخلافة الأندلسية . وكان شعور ابن شهيد بالمرارة ، اذ فاته المنصب لصممه ، عميقا زاخرا ، فهو يقارن مصيبته هذه بالقدر الذى أصاب الجاحظ فى يومه ، ويقول : فلا يخلو

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٤ — ١٨٥ .
(٢) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٠٨ .
(٣) النفح ج ١ ص ٢٠٢ ، ليفى بروفنسال ; L'Espagne musulmane ص ٦٩ .

في هذا اما أن يكون مقصرا عن الكتابة وجمع أدواتها ، أو يكون ساقط الهمة ، أو يكون افراط جحوظ عينين قعـــد به عنها ، كما قصر بى أنا فيها نقـل سمعى وبأبى القاسم ورم أنفه » ، [1] ولا بد أن صممه هذا كان عاملا نفسانيا أدى به الى انطوائه على نفسه ، رغم أن ابن شهيد كان من حظه فى مستقبل أيامه أن يحيا حياة اجتماعية حافلة . ولعل هذه العاهة الجثمانية ، مضافا اليها المرارة التى كان يشعر بها حين خابت مطامحه فى المنصب وحبطت مساعيه ، قد زادت من حدة توتر أعصابه وعمقت ميوله الفنية . فكان لصممه اذن من الخطـــر مثلما كان لصمم بيتهوفن أو عــرج بيرون .

(1) الذخيرة قسم 1 مجلد 1 ص 208 .

(٢)

(٣٩٩ - ٤٠٧هـ / ١٠٠٨ - ١٠١٦م)

لم تكن هناك حتى هذه اللحظة أية بادرة توحي بأن أشد أزمة في تاريخ الاسلام في أسبانيا على وشك الوقوع • فقد مات المظفر فجأة في سن الثالثة والثلاثين في اليوم السادس عشر من صفر عام ٣٩٩ (٢٠ أكتوبر عام ١٠٠٨) بعد أن أطال العهد الزاهر سبعة أعوام بعد موت والده العظيم[1] • وخلفه في السلطان أخوه عبد الرحمن ، الذي عرفه التاريخ باسم شنجول Shanchuelo (وهو تصغير قصدبه التحقير ، فقد كانت أمه ابنة سانتشو جانيز الثاني لملك بنبلونة) ، مما كان سببا في الاسراع بوقوع الكارثة ، فقد كان انسانا حقودا شريرا تافها مهملا لا يركن اليه ، مما جعله على التو مكروها من الجميع • ولقد كان يفتقر كلية الى الفطنة والمهارة التي تميز بها سلفاه في الحكم ، فأتى في خلال شهر واحد من توليه السلطة بما لم يكن ليجرؤ على اتيانه سلفاه أو يحلما به أبدا ، اذ أعلن نفسه الوريث الشرعي وولي العهد للخليفة هشام • وبالرغم من أن هذا الأخير كان مغلوبا على أمره ، وكان في ذات الوقت على صداقة وثيقة به ، الا أنه أبدى بعض المعارضة الضعيفة • ولكن غلبه على أمره ما قضى به قاضي قرطبة ، أحمد بن عبد الله ابن ذكوان ، الذي صار فيما بعد من أقرب أصدقاء ابن شهيد الى قلبه ، وما قال به كذلك أحمد بن برد ، وزير الدولة[2] • وكتب صك الولاية على العهد أحمد بن برد هذا بصفته وزيرا في ربيع الأول عام ٣٩٩ ، (نوفمبر عام ١٠٠٨) ثم قرىء على مجمع من وجهاء الدولة والمسئولين بالقصر بقرطبة ، ثم وقع كل من الحاضرين على الصك حينئذ[3] •

ولكن الشعب لم يتقبل ذلك الأمر بنفس الرضا والخضوع ، وعم الغضب

---

(١) البيان ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٣٨ .

(٣) ابن الأبار : الحلة السيرا جـ ١ ص ٢٧١ .

(٤) البيان ج ٣ ص ٤٣ ، ٤٦ .

قلوب أفراد الأسرة الخلافية عامة ، وقلوب أبناء الناصر خاصة ، فبدأوا جميعا يدبرون المكائد . ولقد بلغ شنجول من الحمق مبلغه ، حتى انه ، وقد شجعه على ذلك قواده من البربر ، قضى على أهل بلاطه ووزرائه أن يلبسوا لباس الرأس البربرى فى مجلسه[1] ، فزاد بذلك من معارضيه ، وقوى صفوف المعارضة . وكان المسيحيون فى الشمال على علم تام بدقائق الموقف ، فزادوا من نشاطهم ، بينما سار شنجول ببلاهة وحمق تام الى خارج قرطبة يدفع تهديدا خارجيا ثانويا ، فى وقت كان فيه الموقف الداخلى يتدهور بسرعة فائقة[2] .

وبينما كان شنجول أو سانتشويلو غائبا ، استولى أحد المدعين الأمويين وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار على السلطة عنوة فى جمادى الثانية عم ٣٩٩ (فبراير ١٠٠٩) ، ودمرت بذلك الانقلاب[3] مدينة الزاهرة وقصرها وروعتها الأسطورية بجدرانها المصنوعة من الرخام الفاخر ، كما تنبأ لها منشئها المنصور فى لحظة ارهاص كاشفة[4] ، وكان ذلك مما سيلحق قرطبة من كسوف شمسها .

ولقد اتخذ المدعى الأموى محمد بن هشام لنفسه لقب « المهدى[5] » عند اعتلائه العرش . أما شنجول فقد هجره جيشه ، وأعدم فى رجب (مارس) ، وحملت جثته الى قرطبة حيث صلبت[6] .

وصادفت ابن شهيد وعمره سبعة عشر عاما كارثة محققة فى حياته ، اذ كانت أصوله الأولى تربط طالعه بطالع آل عامر . ومن المحتمل أنه لم يتنبه الى أنه كان على وشك أن يرى مأساة الاسلام فى اسبانيا ، وأن الفتنة التى بدأت ، ستطفىء فى أقل من خمسة وعشرين عاما نور الخلافة الأندلسية ، وتترك عاصمتها فى دمار شامل . ولا يمكن تفسير ذلك الانهيار الشامل بالأسباب الأثيرة عند رجال التاريخ من الهزائم العسكرية أو الظروف الاجتماعية المتغيرة أو الكساد الاقتصادى ، أو التحلل الأخلاقى أو غيرها ، فقد كانت الامبراطورية عند موت المظفر فى ذروة القوة والمنعة والرخاء ولا يمكن تفسير تدهورها الشامل بهذه السرعة المفاجئة . فبعد أربعة وثلاثين عاما فقط من التاريخ الذى فيه أصابت العالم المسيحى فى العصور الوسطى هزيمة مهينة

---

(١) المرجع السابق ج ص ٤
(٢) الصفحة الناقصة من « البيان » يوردها ليفى بروفنسال : (Observations sur le tome III du Bayan d'Ibn Idari) فى Mélanges Gaudefroy—Demombynes
(٣) البيان ج ٣ ص ٦٢ — ٦٣ .
(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٦٥ ؛ النفح ج ٢ ص ١٢١ .
(٥) البيان ج ٣ ص ٥٠ .
(٦) المرجع السابق ج ٣ ص ٧٣ .

قاصمة في تخريب شنتياقب (سنتياجو) ، كانت الخلافة الاسلامية فى أسبانيا قد لفظت أنفاسها . وبالرغم من التعقيد المذهل الذى تتصف به أحداث تلك الفترة ، فان المرء يتبين فى تلك الفتنة ترتيباً واضحا ، تنقسم به الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول — تمثله المنازعات الداخليـة التى كانت تمزق بيت آل مروان (٣٩٩ — ٤٠٧هـ / ١٠٠٩ — ١٠١٦ م) .

القسم الثانى — هو العهد الحمودى (٤٠٧ — ٤١٣ هـ / ١٠١٦ — ١٠٢٣ م) .

القسم الثالث — هو عهد الانحدار والتدهور المتصل نحو الكارثة (٤١٣ — ٤٢٢هـ / ١٠٢٣ — ١٠٣١ م) .

وهناك ارتباط وثيق بين هذه المراحل الثلاث وبين حياة ابن شهيد العامة . ولهذا يمكن استخدامها كنقاط مناسبة لتقسيم تاريخ حياته . وقد قيل ان شعر هوراس ، انما هو تأريخ لانتقال روما من عهد الجمهورية الى عهد الامبراطورية . ويمكننا أن نقول بنفس الطريقة وبصدق أن شعر ابن شهيد انما هو تأريخ الأندلس فى انتقالها من عهد الامبراطورية الى مجموعة من دويلات المدن أو ملوك الطوائف .

ولا ندرى على وجه اليقين موقف أبى عامر من « المهدى » ولكننا لا نظن أنه كان ودا خالصا وحبا ، لما كانت له من صلات وثيقة ببنى عامر . ويؤكد ظننا هـذا رسائله الى المؤتمن ، ابن شنجول ، وقد أصبح بعد ذلك صاحب السلطة فى بلنسية[1] ، فهو يصل فى نصحه الى أن يغرى المؤتمن بأن يحاول استلاب السلطة[2] . وهو يسأل المؤتمن فى احدى رسائله اليه ، أن يتولى ، بالنيابة عنه ، ادارة ضيعة ورثها عن أبيه فى اقليم تدمير[3] ، وهو يرفق بالرسالة مدحا للمؤتمن ، يشير فيه الى مقتـل شنجول (« وابن الأعالى كيف صار ذليلا ») ويشير الى الفوضى السائدة حينذاك فى قرطبة . وهذه القصيدة هى أطول قصائد ابن شهيد ، حتى فى شكلها الحالى ؟ وهو بالتأكيد غير كامل .

والقصيدة تبدأ بهذا البيت (القصيدة رقم ٦٤)[4] :

أَمَا الرِّيَاحُ بِجَــوٍّ عاصِمٌ فَحَلَبْنَ أَخْـلافَ الغَمائِمْ

---

(١) انظر ابن حيان فى المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٤ — ١٦٥ .
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٧١ .
(٣) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٦
(٤) » » » » ص ١٦٧ — ١٧١ .

ثم ينتقل الى نسيب ، بالغ حد الروعة في الجمال .

ولقد اقترح المؤتمن في رده عليه أن يقدم الى بلنسية . ولكن أبا عامر ، رغم أنه ظل يداوم مراسلته ، كان من الفطنة بمكان فلم يقبل تنفيذ مقترحه مدعيا أن قلبه مرتبط بقرطبة ، وواصفا في عبارات منمقة الى حد كبير تعلقه بالمدينة ، (القصيدة رقم ٦٩)[1] :

عَجــوزٌ لَعَمْرُ الصِّــبا فانِيَةْ　　لها في الحَشا صُورةُ الغانِيَةْ

تَرَدَّيْتُ مِن مُزْنِ عَيْشِي بِها　　غَراماً فيا طـولَ أحْزانِيَــهْ

ولكن هذا التعليل الخادع كان يخفى مقاصده الحقيقية في أن يبقى قريبا من مركز السلطان حتى ينتفع من أي تغيير في الحكم والحكومة .

وسرعان ما ظهر أنه مصيب ، اذ لم يلبث أن ظهر من ينازع المهدى مركزه السامي فقد كان المهدى شخصية قبيحة مكروهة على الأخص عند البربر ، الذين سرعان ما وجدوا لهم مرشحا اختاروه بأنفسهم من البيت المالك ، وكان اسمه سليمان ابن الحكم ، واتخذ له لقبا « المستعين»[2] . فكانت نتيجة ذلك حربا أهلية . وفي عام ٤٠٠ (١٠٠٩) احتل سليمان قرطبة بمعاونة المسيحيين ، وحكم فيها عدة أشهر الى أن طرد منها ، وعاد المهدى الى عرشه . ولكن أيام حكمه في هذه المرة الثانية كانت أقصر من أيام حكمه الأولى فقد اغتاله الصقالبة في شهر ذي الحجة من نفس العام (يولية عام ١٠١٠) ، وأعادوا الى العرش هشاماً الثاني[3] .

ولكن حفيد عبد الرحمن الثالث ، عند ظهوره هنا من عزلته الطويلة ، أبدى من ضروب البلادة وعدم الكفاية ما عرض العاصمة لخطر شديد من قوات البربر المعسكرة خارجها . ولقد استمر حصارها من الثالث والعشرين من ربيع الأول عام ٤٠١ (٤ نوفمبر عام ١٠١٠) حينما استباحت جيوش البربر بوحشيتهم المعهودة مدينة الزهراء وتركتها طعمة للنيران ، الى اليوم السادس والعشرين من شوال عام ٤٠٣ (٩ مايو عام ١٠١٣) حينما استسلمت اليهم قرطبة[4] . ولقد تلت ذلك أبشع المناظر

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٧٥ .
(٢) البيان ج ٣ ص ٨٤ .
(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٩٠ و ٩٥ و ١٠٠ .
(٤) « « « ص ١٠١ — ١٠٢ .

التي رأتها العاصمة في تاريخها الطويل ، فانها ، كما يقول دوزي[1] ، قد كفرت عن مقاومتها الشديدة بسيول عارمة من الدماء ، فقد أعملت السيوف في رقاب أكثر من عشرين ألفا[2] .

ولقد كان دور البربر في القضاء على قرطبة الاسلامية مثل دور الأسبان فيما بعد في القضاء على ثقافة عصر الأحياء حينما استحابت جيوشهم مدينة روما في عام ١٥٢٧ . ومن المشاهير الذين قضوا في هذه المحنة سعيد بن منذر[3] ، امام المسجد الجامع منذ أيام الحكم المستنصر (الثاني) ، وابن الفرضي[4] ، القاضي والمؤلف المشهور ، ومروان ابن يحيى[5] الذي ذهب بعقله عشق غير متبادل . ولقد وصف لنا ابن حزم ، بعد أن فر الى المرية[6] في عبارات تضج بالمرارة ، الخراب الذي حل به وبأهله ، فيقول « ولقد أخبرني بعض الوارد من قرطبة ، وقد استخبرته عنها ، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث ، في الجانب الغربي منها وقد امّحت رسومها ، وطمست أعلامها ، وخفيت معاهدها ، وغيَّرها البلى وصارت صحاري مجدبة بعد العمران ، وفيافي موحشة بعد الأنس ، وخرائب منقطعة بعد الحسن ، وشعابا مفزعة بعد الأمن ، ومأوى للذئاب ، ومعازف للغيلان ، وملاعب للجان ، ومكامن للوحوش ، بعد رجال كالليوث ، وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية ، تبدد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبا ... [7] » .

وزاد البربر فيما بعد ، فطردوا أهل قرطبة من مدينتهم ، واستولوا على بيوتهم [8] ، واستثنوا من كل ذلك فقط حيين من أحياء المدينة . وهكذا وجد ابن شهيد أن الخراب قد حل بماله ، فارتفع الى ذروة الحزن وغاية الفجيعة والغضب العنيف في مرثية بدأها هكذا ، (القصيدة رقم ٢٦) [9] :

(١) Histoire des musulmans ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٢) المراكشي : المعجب ص ٤٢ .

(٣) ابن حزم : الطوق ص ٤٥ .

(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ٢ ص ١٣٠ ، كذلك دعا ربه حينا كان يطوف بالكعبة أن يرزقه الشهادة ، فاستجاب له (انظر ابن خلكان : الوفيات ج ٢ ص ٢٩٦) .

(٥) ابن حزم : الطوق ص ١٠٥ .

(٦) المرجع السابق ص ١١٨ .

(٧) « « ص ٩٤ انظر أيضا ملحق ب

(٨) البيان ج ٣ ص ١١٥ .

(٩) ابن الخطيب : الأعمال ص ١٢٢ – ٣١٢ .

مافي الطُّلولِ منَ الأَحِبَّةِ مُخْبِرُ ... فمَنِ الَّذي عن حالِها نَسْتَخْبِرُ ؟

لا تَسأَلَنَّ سوى الفَراقِ فإِنَّهُ ... يُنبيك عنهم أَنجدوا أَم أَغوروا

ومن الغريب أن مدعى الخلافة ، الذى كانت ترتكب باسمه كل هذه الأعمال البربرية الوحشية ، كان هو نفسه رجلا نبيلا مثقفا ذا احساس مرهف[1] ، ولقد وجد أبو عامر فى نفسه ميلا الى تأييده ، فقد كان هو نفسه معارضا للمهدى ، فلما كاتبه وجد أنه يستطيع أن يسمو الى مستواه الرفيع ، وفى هذا يقول فى قصيدة يخاطبه بها[2] (القصيدة رقم ٤٦) :

فنِلْتَ الَّذي قد نلْتَ إِذ ليس للعُلا
سِواكَ كأَنَّ الدَّهرَ للنَّاسِ مُنتقى

وقد مدحه فوق ذلك فى قصيدة ، (القصيدة رقم ٣٨) ، يتمثل بها الحميرى[3] لكى يبرهن على قدرة ابن شهيد وتفوقه فى « النوريات » ، أى فى وصف الزهور :

وكأَنَّما خِيريُّها تحت الدُّجى ... بين الأَزاهِرِ قامَ كالمُتَطَلِّعِ

يَرْجو زِيارةَ مَن يُحِبُّ لِوَعْدِهِ ... كَلَفاً فباتَ مُراقِباً لم يَهْجَعِ

وكان أبو عامر قد بلغ مبلغ الرجال ، ولكنه صار يحيا حياة بعيدة عن تلك التى كان يرجوها له والده . ويقول ابن بسام[4] : « كان بقرطبة فى رقته وبراعته وظرفه خليعها المنهمك فى بطالته ، وأعجب الناس تفاوتا ما بين قوله وفعله ، واحطهم فى هوى نفسه ، وأهتكهم لعرضه ، وأجرأهم على خلقه » . والصورة التى يرسمها له ابن حيان[5] هى أيضا لا ترحم ، فهو يقول : « من رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل فى آثارها بضياع دين ولا مروءة ، فحطك فى هواه شديدا حتى أسقط شرفه ، ووهتم نفسه راضيا فى ذلك بما يلذه ، فلم يقصر عن معصية ، ولا ارتكاب قبيحة » ، ولكنه مع ذلك يضيف مخففا من وقع ما قال « وكان مع ذلك من أصح الناس رأيا ان استشاره ، وأضلهم عنه فى ذاته ، وأشدهم جناية على الاملاق » فقضى على هذه

(١) البيان ج ٣ ص ١١٨ — ١١٩ ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٤ — ٢٤ .
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٧٤ .
(٣) البديع ص ٣٥ — ٣٦ .
(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٦ .
(٥) فى المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٢

السبيل رحمه الله » . ومن مثل هذه الأقوال ، تبرز لنا صورة ابن شهيد كشخصية متناقضة غاية التناقض ، معقدة غاية التعقيد .

وسرعان ما اكسبته هذه المباذل التي انغمس فيها سمعة لا يحسد عليها ، وأكثرت هجماته في كتاباته على الناس ، من عدد أعدائه ، الذين لم يتوانوا عن انتهاز الفرص الكثيرة التي أتاحها لهم سلوكه الفاجر المعيب[1] . وهناك قصة تحكى ، قد يرجع تاريخها الى فترة لاحقة من فترات حياته ، ولكنها بالتأكيد لم تحدث بعد الفترة مابين الأعوام ٤١٦ – ٤٢٠ (١٠٢٥ – ١٠٢٩) [2] على وجه التقريب . ولكنها تصور مع ذلك السمعة السيئة التي اكتسبها بسلوكه مبكرا . فيحكي ابن خاقان[3] عن الوزير أبي الحسين بن سراج ، أنه كان من عادة شاعرنا أن يجلس عند مدخل المسجد الجامع بقرب الصومعة في ليلة القدر في جمع من أصدقائه . ثم يضيف ، « اذا بجارية من أعيان أهل قرطبة معها من جواريها ، من يسترها ويواريها ، وهي ترتاد موضعا لمناجاة ربها ، وتبتغي منزلا لاستغفار ذنبها ، وهي منتقبة ، خائفة ممن يرقبها مترقبة ، وأمامها طفل لها كأنه غصن آس ، أو ظبي يمرح في كناس ، فلما وقعت عينها على أبي عامر ولت مريعة ، وتولت مروعة ، خيفة أن يشبب بها أو يشهر باسمها ، فلما نظرها ، قال قولا فضحها به وشهرها » . (القصيدة رقم ٣٧) :

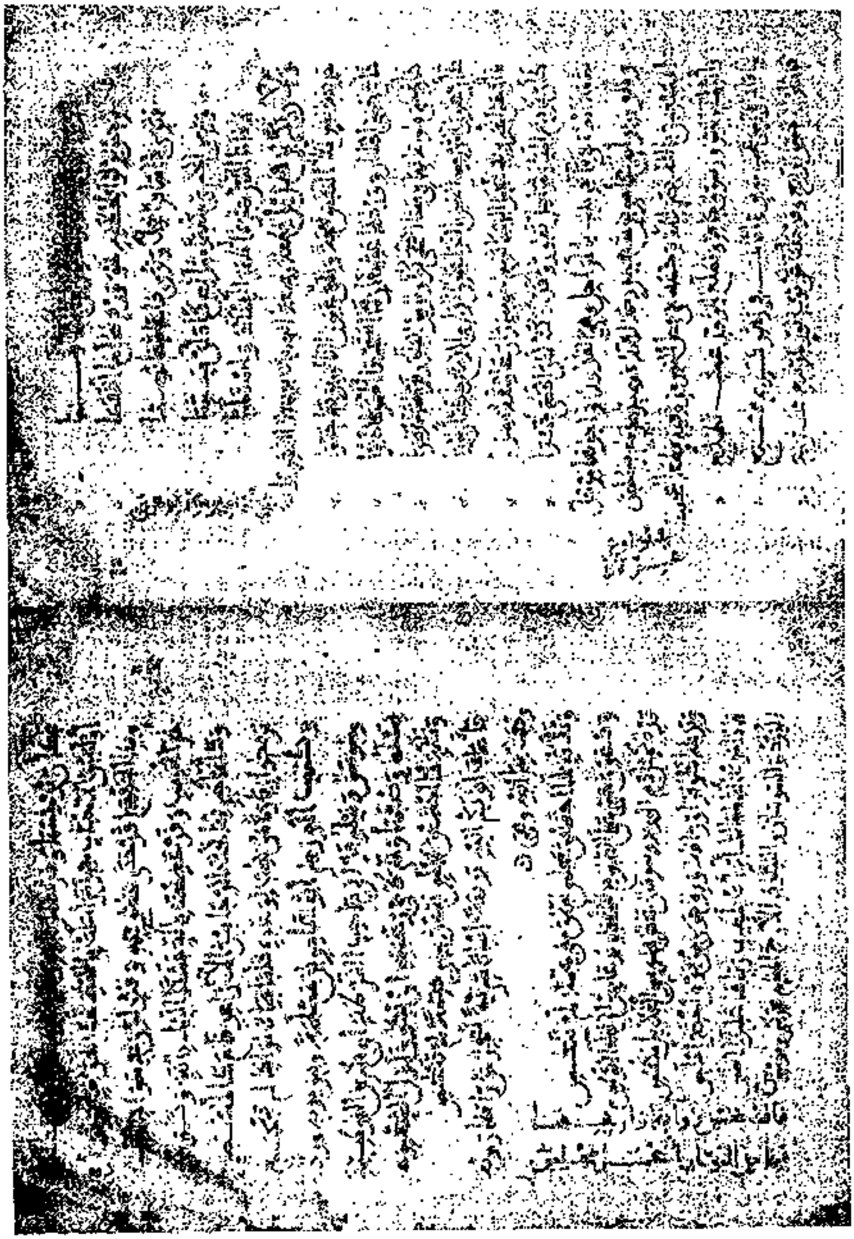
وناظِرةٍ تحتَ طَيِّ القِناعِ دَعاها إلى اللهِ والخَيْرِ داعِ

ولقد زاد من انتشار هذه السمعة السيئة شعر المجون الذي كتبه الشاعر ، وهذه القصائد من المجون شعر رائع ممتاز ، ونراه في « رسالة التوابع والزوابع » [4] يتخيل أن هذه القصيدة قد هزت شيطان أبي نواس – وهو نفسه لم يكن بالنزر المبتدىء في ميدان الشعر المجوني – حتى انه يقفز على قدميه وينطلق راقصا ، وهو يردد أبياتها[5] .

ولقد كانت هذه هي الفترة التي بدأ فيها ابن شهيد يرسي قواعد شهرته ككاتب أديب . وهو يقول عن نفسه في « الرسالة » : « كنت أيام كتاب الهجاء ، أحن الى الأدباء ، وأصبو الى تأليف الكلام : فاتبعت الدواوين ، وجلست الى الأساتيذ ، فنبض

---

(١) انظر بعده ص ٢٢ ، ٢٤ .
(٢) تاريخ تأليف رسالة التوابع والزوابع التي وردت فيها هذه القصيدة .
(٣) المطمح ص ١٨ – ١٩ .
(٤) سأطلق عليها فيما بعد « الرسالة » .
(٥) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥ .



(مخطوطة القصيدة ٣٨)

لى عرق الفهم ، ودر لى شريان العلم ، بمواد روحانية ، وقليل الالتماح من النظر يزيدنى ، ويسير المطالعة من الكتب يفيدنى ، اذ صادف شن العلم طبقه . ولم أكن كالثلج تقتبس منه نارا ، ولا كالحمار يحمل أسفارا . فطعنت ثغرة البيان دراكا ، وأعلقت رجل طيره أشراكا ، فانثالت لى العجائب ، وانهالت على الرغائب[1] » . وظل هكذا حتى صار فى النهاية أبرز نجم فى المجتمع الأدبى ، ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصواب ان أكدنا أن هذا هو الزمن الذى بدأ فيه ابن شهيد يتخذ له أصدقاء من الأمراء والوزراء ورجال الأدب وكثير من هؤلاء تجمعوا فى حركة أدبية كان هو على رأسها . وكان بين هؤلاء الأصدقاء عبد الرحمن ، خليفة المستقبل وشقيق المهدى ، وكان منهم ابن ذكوان قاضى قرطبة ، وأبو عامر بن المظفر ، والوزير الزجالى ، وأبو عبدة ، وعبد الوهاب بن حزم ، وكان منهم فوق كل هؤلاء ابن عم الأخير ، الأديب الشهير أبو محمد بن حزم وهو الذى ارتبطت حياته ارتباطا وثيقا بحياة ابن شهيد . ويعد ذلك يليهم في المرتبة من أعضاء هذه الجماعة مجاهد الموفق [2] ، ملك دانية ، من ملوك الطوائف ، وأبو حفص بن برد [3] ، وأبو بكر المروانى ، وأبو بكر محمد المصحفى [5] ، وأبو عبد الله بن الحناط (وفى قراءة أخرى الخياط)[6] وأبو الأصبغ القرشى[7] ، ومحمد بن يحيى بن أبى مضر الطبنى[8] .

ويقول جارثيا جوميز [9] ان المجتمع العالمى المكون من مختلف الأمم يساعد على خلق شعر مدنى متحضر . ولقد كانت قرطبة فى عهد الخلافة هذا ، بمساجدها وكنائسها وبيع اليهود فيها ، وبسكانها ولغاتهم المختلفة ، من عرب ، ومن مولدين ، ومن صقالبة ، وبربر ، ومن الاسبان « المستعربين » ، واليهود ، البيئة المثالية لمثل هذا الشعر وكان ابن شهيد مثالها الأعلى وصورتها الكاملة . فلقد كان يغشى مجالس اليهود[10] والمستعربين ، حتى أنه حضر ، مرة واحدة على الأقل ، قداسا مسيحيا[11] .

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٠ — ٢١١ .
(٢) نفس المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٦ — ١٩٠ .
(٣) المرجع السابق قسم ١ مجلد ٢ ص ٥١ .
(٤) » » قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦١ .
(٥) » » » » ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .
(٦) النفح ج ٤ ص ٢٤٦ ؛ ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ١٢٣ .
(٧) النفح ج ٥ ص ١٣١ .
(٨) ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٩٢ .
(٩) Poesia arabigoandaluza ص ٥٧ .
(١٠) انظر الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .
(١١) المرجع السابق » » ص ١٨٠ — ١٨٢ .

وهو يحدثنا في رسالة كتبها فيما بعد الى أبي القاسم الافليلي عن مسخ الاسرائيليين الى صورة القردة[1] (كما كان في نعت المسيحيين بالخنازير اشارة الى عادة آكل لحم الخنزير عندهم) . وهو في مكان آخر يشير اشارة مقتضبة الى ما يسميه « لعبة اليهودي »[2] ، ومن الواضح أنه يشير بهذا الى نوع من أنواع التمثيليات ...

ولقد لقى وصف ابن شهيد العجيب لقداس مسيحي عند المستعربين كان من حظه أن حضره ، ما يستحق من شهرة واسعة : « وبات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس ، وعرشت بسرور واستئناس ، وقرع النواقيس يبهج سمعه ، وبرق الحميا يسرج لمعه ، والقس قد برز في عبدة المسيح ، متوشحا بالزنانير أبدع توشيح ، وقد هجروا الأفراح ، واطرحوا النعم كل اطراح ... وأقام بينهم يرشف حميا ، كأنما يرشف من شفة لميا ، وهي تنفح له بأطيب عَرْف ، كلما رشف أعذب رشف ، ثم ارتجل بعد ما ارتحل (القصيدة رقم ٣١) :

وَلَرُبَّ خانٍ قد أَدَرْتُ بِدَيْرِهِ ... خَمْرَ الصِّبا مُزِجَتْ بِعَفْوِ خُمورِهِ

. . . .

وقد يقال ان هذا وصف شاعر فيه من المبالغة كثير ، ولكن ابن عبدون[4] ، بعده بقرن كامل يعطينا في بعض مؤلفاته صورة تؤكد وصف ابن شهيد .

وقد استمرت الفترة الثانية لحكم سليمان « المستعين » من عام ٤٠٣ (١٠١٣) الى عام ٤٠٧ (١٠١٦)[5] . وكان حكم الخلافة الفعلي حينئذ قد اقتصر ، فوق العاصمة قرطبة نفسها ، على أشبيلية ولبلة وأكشونبة وباجة ، اذ أن جسل أرض الأندلس قد انشق عليه[6] بعد الدمار اللاحق عام ٤٠٣ (١٠١٣) . ولقد اختفى هشام الثاني في ذلك العام في ظروف غامضة جدا ، مما أتاح لادريسي من المغرب ، هو علي بن حمود ، صاحب مدينة سبتة ذريعة يتخذها لكي يستولي لنفسه على الخلافة ،

---

(١) انظر القرآن الكريم آية ٦٥ سورة البقرة ، آية ٦٠ سورة المائدة ، آية ١٦٦ سورة الأعراف .

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٠٧ .

(٣) ابن خاقان : المطمح ص ١٨ — ١٩ ؛ النفح ج ٢ ص ٦٦ — ٦٧ . انظر أيضا سيمونت : Historia de los mozárabes ص ٦٤٨ — ٦٤٩ : ليفي بروفنسال : L'Espagne musulmane ص ٣٥ — ٣٦ ، بيريز Poésie andalouse ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٤) انظر ملحق ج .

(٥) البيان ج ٣ ص ١١٢ — ١١٧ .

(٦) المرجع السابق ج ٣ ص ١١٢ ، ١١٥ — ١١٦ .

بينما هو في ظاهر الأمر يسعى لكى يضمن الحرية للخليفة هشام الثانى ، أو ينادى بالانتقام له[1] .

وكانت علاقات ابن شهيد بسليمان حينئذ تتدهور باستمرار ، فان سلوكه العجيب قد زاد من عدد أعدائه ، ولعل أبا محمد كان أهم هؤلاء في هذا الحين ، وقد كان طريقه الى الخليفة سهلا ، فاتخذه لكى يهمس في سمعه بأن شعر ابن شهيد موضع شبهة ، ويقول الشاعر نفسه ، « أما أبو محمد فانتضى علىّ لسانه عند المستعين» [2] . ولقد فشلت كل محاولة للتعرف على شخص أبى محمد هذا ، وقد قيل انه أبو محمد ابن حزم ، صديق شاعرنا ، ولكن ذلك سخيف غير معقول ، ان لم يكن لسبب غير أن ابن حزم كان منفيا بين عامى ٤٠٣ و ٤٠٩ (١٠١٣ – ١٠١٩) ولقد قيل أنه القاضى أبو محمد عبد الله بن الفرضى ، ولكن ذلك أكثر سخفا اذ أن ذلك الرجل قد قضى حينما استباح البربر المدينة ، كما بيّنا من قبل [3] .

ولما تأمل الشاعر كيف تسممت أفكار المستعين ضده بسبب ألسنة الواشين ألف بعض الأبيات التى تبدأ بقوله (القصيدة رقم ٣٠) [4] :

وبُلِّغْتُ أقواماً تجيشُ صدورُهُمْ ... علىّ ، وإنى منهمُ فارغُ الصّدْرِ

وبعد ذلك بقليل كتب قصيدة أخرى بهذا المعنى أيضا ، مشيرا فيها الى رجل فاق المستعين في الجود والكرم ، فهو أحرى بأن يلجأ اليه ليجد ما يستحقه من عطاء وفضل . وفي ذلك اشارة واضحة الى على بن حمود ، الذى كان في ذلك الوقت يتحدى سلطة الخليفة بعد أن عبر المجاز الى مالقة [5] . ولعلنا نرى في هذه القصيدة سخرية الأقدار كامنة ، فيما نراه من نظرة الى المستقبل صادقة أو تنبؤ بالأحداث ، بالنظر الى ما صادف شاعرنا من تجارب لاحقة (القصيدة رقم ٦١)[6] :

لَئِنْ وَرَدْتُ سُهَيْلاً غِبَّ ثالِثَةٍ ... لَتَقْرَعَنَّ عَلَيّ السِّنَّ مِن نَدَمِ

هُناكَ لاتَبْتَغِي غيرَ السَّناءِ يَدِي ... ولا تَخِفُّ إلى غيرِ العُلا قَدَمِي

حتّى تَرانِيَ في أَدْنَى مَواكِبِهِمْ ... على النَّعامةِ شَلَّالاً مِنَ النَّعَمِ

(١) المرجع السابق ص ١٢٠ . (٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٣ .
(٣) بطرس البستانى : رسالة التوابع والزوابع ص ٣٨ .
(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٣ .
(٥) البيان ج ٣ ص ١١٦ .
(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

(٣)

(٤٠٧ - ٤١٣ / ١٠١٦ - ١٠٢٣ م)

كان شاعرنا فى الثالثة والعشرين من عمـــره عندما سقطت قرطبـــة فى يد على بن حمود فى المحرم من عام ٤٠٧ (يوليه ١٠١٦) [١] ، ومع أنه بالطبع لم يكن يدرى ، فانه كان على وشك أن يواجه أزمة من أكبر الأزمات التى واجهته طـول حياته . أما على بن حمود فلا بد أنه شعر بالارتياح الشديد اذ فشلت جهوده للعثور على هشام المؤيد الثانى ، الذى لم يزل اختفاؤه لغزا يحير المؤرخين والباحثين ، وكان ذلك خطوة كبرى فى طريق تدهور الخلافة كنظام . ولقد اتهم سليمان بقتل الملك ؛ وحوكم وأعدم[٢] . أما الخليفة الجديد ، فكان قد أصبح ، بالرغم من أصله العربى، من البربر فى كل شىء ، طبعا وتطبعا حتى أن لغته العربية كانت ركيكة[٣] . ولقـد حاول جهده أن يحد من سوء تصرف أعوانه من البربر ، ولكن أهل قرطبة امتنعوا عن التعاون معه بتاتا حتى نفد صبر على وبدأت حينئذ حملة ارهاب[٤] .

أما أعداء شاعرنا ، فان جهودهم فى سبيل فضيحته لم تلن ، ومن المحتمل أن هذا الوقت الذى وصل فيه الارهاب الحموى أقصى مداه (٤٠٨ : ١٠١٧) ، هو الوقت الذى فيه صادف مسعاهم النجاح . وقد ذكر ابن شهيد نفسه ثلاثة أسماء فى «الرسالة» [٥] لثلاثة أشخاص بذلوا كل جهد حتى النهاية فى سبيل تحقيره ، وهم أبو محمد وأبو القاسم وأبو بكر . ولما كان أولهم كما بيّنا مسئولا عن غضب سليمان عليه ، فمن المحتمل أن يكونوا مسئولين عن سوء المعاملة التى يذكر ابن خاقان أن شاعرنا لقيها « أيام العلويين » [٦] ولكن من غير المحتمل أن يكون القاسم بن حمود

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١١٨

(٣) ابن الخطيب : الأعمال ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٤) البيان ج ٣ ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٣٢ .

(٦) المطمح ص ٢٠ .

هو المسئول عن ذلك ، فقد كان سمحا لين العريكة ، بينما ليس معقولا أن يكون المسئول يحيى ، فقد كان صديقا لابن شهيد[1] .

ولقد وضحنا من قبل أنه ليس من السهل التوصل الى معرفة شخصية أبي محمد، ولكن الأمر يختلف بالنسبة الى أبي القاسم الذي انقلب فيما بعد صديقا من أصدقاء شاعرنا . وهو يقول في « الرسالة » : « أما أبو القاسم الافليلي فمكانه من نفسي مكين ، وحبه بفؤادي دخيل[2] . وقد مدحه أيضا في قصيدة له (القصيدة رقم ٤) [3] :

التَّقِيُّ النَّقِيُّ كَهْلًا وطِفْـلًا فارِسُ الجَيْشِ راهِبُ المِحْرابِ

ولقد كان أبو القاسم لغويا مشهورا ، لذا وجد مكانه كلغوي بين أهـل العلم الذين ذكرهم ابن شهيد في « الرسالة » [4] . وهناك أيضا صورة هزلية ماجنة يداعب بها ابن شهيد صديقه ، وتمثل أروع تمثيل وأكمله أسلوب ابن شهيد البديع في النثر فهو يقول « ومن العجب أيضا في أمره أن كل كاتب كتب للسلاطين عندنا، وكل شاعر مدحهم ، رويت أشعاره ورسائله غير أبي القاسم وحده .... والمحروم محروم . ولو أنه اشترى الزبيب لصبيان المساجد ، وقشور أصل الجوز لصبغ شفاه حراجيات الخانات ، وروّى الطبقتين ما عنده ، لعرضنا رسوله وجمائله ، وروينا أشعاره ورسائله ، وغنتا بها على قوارع الطرق ومناقع المياه ومطارح الزبول ، كما تثنيان أشعارهما ، وتسمعان حماقتهما ، فيكون ذلك سببا الى أن تدب وتدرج ، وتشاد الطيران فتطير ، ويراها الناس فتعرف » [5] .

ولم نتمكن من التحقق من شخصية أبي بكر على وجه التحديد . فقد يكون هو أبو بكر المعروف باشكمياط ، الذي تقاذف مع ابن شهيد مرة بأقذع الألفاظ [6] . وقد تكون هذه حالة مماثلة لقصة الافليلي ، فيكون أبو بكر هذا هو أبا بكر بن حزم الذي اليه وجهت « الرسالة » [7] . وأكثر احتمالا من هذين أن يكون هو أبو بكر

---

(١) يرى دوزي في كتابه Historia Abbadidarum (ج ١ ص ٣٦١) أن مسئولية علي ثبتت من ورود الكلمتين « سطوة علوية » (قصيدة ١٨ بيت ٢٩) وبالرغم من أن الصفة « علوي » أطلقت على ثلاثة أفراد من الأسرة في نفس السياق ، فانه قد يبدو أن الشاعر عنى عليا .

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٣٣ .
(٣) » » » » ص ١٨٤ .
(٤) » » » » ص ٢٣٤ .
(٥) » » » » ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .
(٦) » » » » ص ١٩٥ — ١٩٦ .
(٧) » » » » ص ٢١٠ .

ابن ماء السماء وهو شاعر ممتاز اشتهر في عهود آل عامر وآل حمود بآرائه الشيعية ، وكان من متملقي علي بن حمود[1] . ويقول ابن شهيد انه مات في مالقة عام ٤١٩ (١٠٢٨)[2] .

ولقد نجح هؤلاء في تحريض علي بن حمود ، فسجن ابن شهيد . ولم تكن آراء أبي عامر في البربر مما تجعله مقربا محببا الى علي بن حمود . ولم يكن علي ابن حمود على أي حال بقادر على فهم شعر ابن شهيد ، ولا شك أن هذه العوامل جميعا ساعدت على الوصول به الى السجن ، ولكن أعداءه اتخذوا مما اشتهر به من فجور وفسق أساسا لهجماتهم . ويرى بيريز[3] في هذا برهانا على وجود ضغط شيعي من العلويين على دوائر البلاط مقصده تقويم أخلاقهم ثم تغيير مذهبهم ، فقد كان القاسم ابن حمود يذكر عنه أنه يتشيع[4] . ويقول ابن خاقان « ودبت اليه أيام العلويين عقارب ، وبرئت بها منه أباعد وأقارب ، واجهه بها صرف قطوب ، وانبرت اليه منه خطوب ، نبالها جنبه عن المضجع ، وبقي بها ليالي يأرق ولا يهجع ، الى أن علقته من الاعتقال حبالة ، وعقلته في عقال أذهب ما له ، وأقام مرتهنا ، ولقي وهنا »[5] . ولقد ألف أبو عامر قصيدة من أشهر شعره عن تجاربه في السجن ، وفي « الرسالة »[6] أن ما في هذه القصيدة من أسى وشجن هاج قلب شيطان أبي نواس حتى ذرف الدمع الغزير : (القصيدة رقم ١٨)[7] .

قَرِيبٌ بِمُحْتَلِّ الهَوانِ بَعِيدُ يَجُودُ وَيَشْكُو حُزْنَهُ فَيُجِيدُ

والشاعر هنا يدفع عن نفسه ما اتهم به من الخفة والطيش ، معترضا بأن كل ذنبه هو أنه لا يجد السعادة الا في قرض الشعر . وهذه القصيدة أساسية في دراستنا اذ أنها تصور رأي ابن شهيد في الشعر كضرورة نفسية . وشجن هذا الشاعر صاحب الآراء السامية عن الشعر وقيمة الشاعر مثل حق بين ما اتصف به حكام البربر من جهل في الحقيقة وادعاء للعلم مضحك .

---

(١) أنظر المرجع السابق قسم ١ مجلد ٢ ص ٩ — ١٠ ؛ النفح ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ٢ ص ٣ . عن هذا الشاعر انظر الضبي ؛ البغية ، ص ٣٨٣ — ٣٨٥ ؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ج ١ ص ٤٦٥ — ٤٦٩ .

(٣) La Poésie andalouse ص ٦٥ — ٦٦ ، ٩٥ — ٩٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٢٨٦ .

(٥) المطمح ص ٢٠ .

(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥ .

(٧) ابن خاقان : المطمح ص ٢٠ — ٢١ .

وقد تكون مدة سجن أبي عامر قصيرة ، وقد تكون طويلة لم تنته حتى تاريخ اغتيال ابن حمود في ذي القعـــدة عام ٤٠٨ (مارس ١٠١٨) واعتلاء أخيه القاسم العرش مدة ثلاث سنوات امتازت بهدوئها النسبي ، ولم يقطع هذا الهدوء غير حدث واحد هو الثورة الفاشلة التي أشعل نارها مدعي الخلافة الأموي عبد الرحمن المرتضى الذي قتله بربر غرناطة قبل أن يتمكن من التوجه الى قرطبة[1] ، وكما تقدم ابن حزم يعاون المرتضى ويعمل له وزيرا[2] ، فان ابن شهيد وغيره من الناس رأوا في المدعي الجديد أملهم في انقاذ الأندلس ، ولقد كتب فيما بعد[3] قصيدة (القصيدة رقم ٧٠)[4] تبين بوضوح الى أية وجهة كان ولاؤه :

يا سَخْطَ رَبِّ العُلا عليْهِ   إذ أدّتِ المُرْتَضى يَـــداهُ

ولقد كان في عودة ابن حـزم الى قرطبة في شوال ٤٠٩ (فبراير ــ مارس ١٠١٩)[5] بعد غيبة ست سنوات ما أعاد حبل الصداقة من جديد بينه وبين ابن شهيد في تحالف كان من الممكن أن يقيم ثورة كبرى في عالم الأدب العربي الاسباني لولا أن حطمت الفتنة حياة ذلك الجيل ، ولقد كانت حياة ابن حزم حتى ذلك الحين في غاية الاضطراب ، أكثر اضطرابا حتى من حياة صديقه ، ولقد ولد ابن حزم عام ٣٨٤ (٩٩٤)[6] ، من أسرة ظاهرة الولاء لبني عامر ، فقـــد طرد والده من منصبه وعاش موضع ريبة من السلطات حتى مات في عام ٤٠٢ (١٠١٢)[7] ، وفي العام التالي وعمره تسعة عشر عاما هرب الفتى من المدينة عندما استباحها البربر[8] ، ولقد اتجه أولا الى « المرية » وبعد تجوال طويل سجن خلاله مرتين لأسباب سياسية[9] ، عاد الى قرطبة وهي تنعم بالسلام في حكم القاسم[10] ، وكان ابن شهيد أكبر عمــرا من صديقه بعامين ، فكان هو دائما الشريك الأقوى ، وظل ابن حزم تحت تأثيره الى أن بلغ هو من عمره ثلاثين عاما على الأقل ، وشعر ابن حزم أقل مرتبة من شعر ابن

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٢٥ – ١٢٨ .

(٢) الطوق ص ١١٨ ، ابن الخطيب في دوزي : Catalogus ج ١ ص ٢٣٠ .

(٣) انظر بعده ص ٤٧–٤٨ .

(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٨ .

(٥) الطوق ص ١١٢ .

(٦) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٤١٠ .

(٧) الطوق ص ١١١ .

(٨) المرجع السابق ص ١١٢ .

(٩) « « ص ١١٨ .

(١٠) « « ص ١١٩ .

شهيد ، ولكنه يختلج حياة بهذه الفورة التي استحدثتها في الأدب الأندلسي حركتهما الشعرية الجديدة . وهذه قصيدة[1] من شعر ابن حزم ، تمثل في عنف عاطفتها وجسارة التجديد والابتكار في صورها أروع تمثيل هذا الفتح الجديد :

وَدِدْتُ بأَنَّ القلْبَ شُقَّ بمدية
وأُدْخِلْتِ فيه ثُمَّ أُطبِقَ في صَدْرِي
فأَصْبَحْتِ فيه لا تَحِلِّينَ غيرَهُ
إلى مُنْقَضَى يَوْمِ القِيامَةِ والحَشْرِ
تَعِيشِينَ فيه ماحَيِيتُ فإنْ أَمُتْ
سَكَنْتِ شَغافَ القَلْبِ في ظُلَمِ القَبْرِ

ولقد كانت هذه المشاركة الأدبية مثمرة جدا ، على الأخص ، في ميدان التراسل . فهذا هو ابن شهيد يمدح صديقه بشعر متقن أنيق (القصيدة رقم ٢٧)[2] .

وأَنْتَ ابنَ حَزْمٍ مُنْعِشٌ من عِثارِها
إذا ما شَرِقْنا بالجُدُود العَواثِرِ

. . . .

فَسَلَّ مِن التأْوِيلِ فيها مُهَنَّدًا أَخُو شافِعِيَّاتٍ كَرِيمُ العَناصِرِ
لمُعْتَزِلِيّ الرَّأْيِ ناءٍ عن الهُدَى بعيدِ المرامِي مُسْتَمِيتِ البَصائِرِ

وهذا البيت يعني أن القصيدة كتبت قبل أن يتحول ابن حزم الى المذهب الظاهري في عام ٤٢٠ (١٠٢٩)[3] ، ويوحي بأن أبا عامر كان حينئذ يتبع نفس

---

(١) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٣) هذا أكثر تاريخ احتمالا لتأليف « الفصل » لابن حزم . انظر طه الحاجري : ابن حزم ، صورة أندلسية ، ص ١٦٦–١٦٧ .

المذهب الذى يتبعه صديقه • وسنورد أمثلة من مراسلات الشاعرين كلما دعت الحال • ويورد المقرى [١] قصة عن صداقتهما ، فيقول : « حكى أن الحافظ أبا محمد ابن حزم قصد أبا عامر بن شهيد فى يوم غزير المطر والوحل شديد الريح ، فلقيه أبو عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال ، وقال له : يا سيدى ، مثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم ، فأنشده أبو محمد بن حزم بديها :

وَلَوْ كانَتِ الدُّنْيا دُوَيْنَكَ لُجَّةً ... وفى الجَوِّ صَعْق دائِم وحَرِيقُ
لسهَّلَ وُدى فيكَ نَحْوَكَ مسلكا ... ولم يتعذَّرْ لِى إليكَ طَـرِيقُ

وقد كتب ابن حزم عام ٤٢٠ (١٠٢٩) [٢] « رسالة فى فضائل الأندلس [٣] » ، وهى تأريخ قصير للأدب الأندلسى ، كتبه كجزء من جهد عام يهدف الى خلق أدب أندلسى عن طريق اثارة مشاعر الفخر عند مسلمى أسبانيا « فهو يقول • ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا ، وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال ، وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل » [٤] •

ولا يمكن فصل الصداقة الوثيقة بين أبى عامر وابن حزم عن الود والصداقة الشديدة بينه وبين ابن عم هذا الأخير ، عبد الوهاب بن حزم [٥] ، وهو عضو آخر فى جماعتهم • ويقول ابن خاقان [٦] ، « وكان هو وأبو عامر خليلى صفاء ، وخلفى وفاء ، ولا ينفصلان فى رواح ولا مقيل ، ولا يفترقان كمالك وعقيل ، فكانا بقرطبة رافعى ألوية الصبوة ، وعامرى أندية السلوة ، الى أن أخذ أبو عامر فى حبالة الردى وعلق ، وغدا رهنه فيما قد غلق ، فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان ، واسترد من سبقه ما فاته منذ زمان ، فلم يذكر له مع أبى عامر حسنة ، ولا سرت له فقرة مستحسنة ، لتعذر ذلك وامتناعه ، بشفوف أبى عامر وامتداد باعه » •

وكما أن كل صالح الى ذهاب سريع ، فقد انتهى سريعا عهد السلام تحت حكم

(١) النفح ج ٢ ص ٢٨٨ .
(٢) انظر بلا : Al — Andalus فى Ibn Hazm , bibliographe et apologiste de l'Espagne musulmane) ج ١٩ (١٩٥٤) ص ٩٤ .
(٣) النفح ج ٤ ص ١٧٦ .
(٤) أى عمرو بن بحر الجاحظ وسهل بن هارون .
(٥) عن هذا الشاعر انظر ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٣٧٤ ؛ الحميدى : الجذوة ص ٢٧٣ .
(٦) المطمح ص ٢٢ .

القاسم ، اذ ثار عليه يحيى ، ابن أخيه علي بن حمود ، ففر القاسم في ربيع الثاني عام ٤١٢ (أغسطس ١٠٢١) ولجأ الى أشبيلية [١] . وبعد فراره بثمانية أيام أعلن يحيى نفسه خليفة واتخذ لنفسه لقب « المعتلى » وقد كان ابن شهيد على أحسن صلة بالخليفة الجديد ، كما تدل القصائد التي توجه بها اليه ، ومن بينها القصيدة (رقم ٢٤) [٢] ، ولعلها كتبت عند اعتلاء يحيى العرش ، وهي قصيدة مشهورة بوصفها البديع ، خاصة في الجزء الذي يصف الرحلة فيه منها . ويلي ذلك وصف كئيب لعهد الفتنة المظلم يمهد الطريق لظهور الخليفة الجديد :

وسِرْنا تَجُوزُ النَّهجَ حتى بَدا لنا ... بغُرَّةِ يَحْيي ساطِعُ اللَّوْنِ أزْهَرُ

ويبدو أن هذه الفترة التي تفاقم فيها العداء بين ابن شهيد ومن يدعى ابن فتح، ولكن ابن فتح كانت تحميه قرابته من يحيى . والقطعة النثرية التي ننقلها ، بأسلوبها الخشن المعقد ، مثال لابن شهيد في أروع أحواله ، وهي تبني لبنة لبنة حالة من الحنق المجنون والعداء والكراهية ، اذ يقول الشاعر في رسالة الى الوزير أبي جعفر ابن عباس ، «وما كان هذا القرد أهلا لأن يحمل عليه حر كلام ، ولا ليرمى بفضل بيان . وبالحرا أن يرقم على عتبة دكان ، أو يصوّر على باب حمّام ، وقد غرس في وجناته رأس نخلة ، وحيي في معفها عش نحلة ، أو ينقش في خاتم ، وقد علاه خنزير ، وعطس مستنجاه بابرة زنبور ، فانه بقية من بني اسرائيل الذين استحلّوا الحرام ، واجترحوا السيئات والآثام ، فلما عتوا عما نهوا عنه ، قيل لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلت نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين[٣] .

ولولا أنه منتسب الى آل هاشم ، الى عصابة أقلّتني كرمهم ، وأظلتني نعمهم ، ومسند على العلات من أبي جعفر ، الى وزير كان لي وزرا ، ورقق شرابي ، وأخصب به جنابي ، لأدرت بداره دائرة السوء ، وسريت اليها في لمة من صعاليك الأحرار ، وصميم الرجال ، فأحرقتها على نازلها ، وجعلت عاليها سافلها ، امتثالا لقوله تعالى في ديار قوم لوط ، فالشائع لدينا أنها قرار لبنات السحق . وبركة لسمكات المشق، يتناكح بها النسوان بعضهن الى بعض بالصدقات ، ويستعملن خرز جلود البقر في الكيرنجات . فالله الله في قبول هذا القرد والالتباس به ، فانه قدار من لزمه ، وهو الفوضى[٤] رضيعا لبان ، وفرسا رهان ، [٥] »وقد نظم اجتماع هام بين وزيرين

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٣١ .

(٢) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٣٥ — ٣٦ ؛ الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢٤٦ .

(٣) القرآن الكريم آية ٦٥ سورة البقرة ، آية ١٦٦ سورة الأعراف .

(٤) أنظر بعده ص ٣٨ — ٤٠ . (٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٢ .

برغبة من ابى جعفر المذكور سابقا ، ولكن ابن فتح تدخل فأفسد ذلك ، مما أوحى الى ابن شهيد أن يهجوه هجاء مقذعا فى (القصيدة رقم ٦٧) [١] ، ملوحا مرة أخرى بتكرار كلمة « القرد » الى عادة اللواط عنده :

هَــلاَّ سَتَرْتَ الشَّيْنَ بالزَّيْنِ   مِن قَبْلِ إحْضارِ الوَزِيرَيْنِ

وفى رجب عام ٤١٣ (نوفمبر ١٠٢٢) لما كان ابن شهيد فى الثلاثين من عمره، فقد صديقا من أقرب الأصدقاء الى قلبه ، وهو ابن ذكوان ، قاضى قرطبة الذى مات وهو فى التاسعة والستين[٢] ، وكانت جنازته فى مدافن العباس فرصة لتجمع عدد غفير من الناس ، عامة وخاصة ، وكان من بينهم الخليفة يحيى ، وقام أبو حازم أخو الخليفة بؤم صلاة الجنازة على جثمانه ، وقد بكى أبو عامر صديقه فى مرثية (القصيدة رقم ٧) [٣] ومن المحتمل أن هذه المرثية كتبت لتلقى عنــد قبر الفقيد ، على عادة أهل الأندلس :

ظَنَنّا الذى نادى محقًّا بمَوْتِهِ   لعظمِ الذى أنعى مِن الرُّزءِ كاذِبَا
وخِلْنا الصَّباحَ الطلقَ لَيْلاً وإنَّما   خَبَطْنا خُداريًّا مِن الحُزْنِ كارِبَا

وتلك الصلة الوثيقة الغريبة بين ذلك الفتى الشاعر العربيد ، وهذا الشيخ الوقور العالم الفاضل الذى كان يلقى خطبة الجمعة كل أســبوع فى المسجد الجامع فى قرطبة ، انما هى واحدة من غرائب أطوار ابن ذكوان فى حياته الطويلة . ولقد ولد ابن ذكوان عام ٣٤٢ (٩٥٣) وعينه المنصور عام ٣٩٢ (١٠٠٢) قاضيا لقرطبة وواعظا وخطيبا لمسجدها الجامع ، فظل فى منصبه هذا (فيما عدا فترات متقطعة) وفى مناصب أخرى حتى وافته منيته[٤] . ولما قرر المنصور عام ٣٦٩ (٩٧٩) تقريبا ، أن يطهر مكتبة الحكم المستنصر الشهيرة من الكتب الذميمة ، كان ابن ذكوان أحد العلماء الذين وكل اليهم أمر تصفية الكتب . ولقــد ذكرنا من قبل أن ابن ذكــوان أقر وساعد

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٨١ — ١٨٢ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٥ .

(٣) ابن خاقان : المطمح ص ١٩ — ٢٠ ومن الغريب أن موت أبي بكر ولد ابن ذكوان فى ربيع الأول سنة ٤٣٥ (سبتمبر — أكتوبر ١٠٤٣) كان موضوع مرثية لشاعر أشهر من ابن شهيد وهو ابن زيدون (الديوان ٥٣٠ — ٥٢٨) . انظر عياض بن موسى : ترتيب المدارك ج ٩ ص ١٠٤ (مخطوط) .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٥٠ .

عبد الرحمن بن المنصور شنجول (سانتشويلو) [1] على أن يعتلي عرش الخلافة ، مما دعا الشاعر ابن أبي يزيد المصري[2] الى أن يهجو نفاقه ويسخر من مداهنته . ولقد أنقص من قدر نفسه أكثر ، حينما أسرع بعد ذلك بوقت قصير الى معاونة المهدى ، قاتل شنجول ، في الخدعة الفظيعة عن هشام المؤيد ، حينما أتي بجثة تشبه الخليفة المخلوع ، فدفنت في المدافن الملكية حتى يصدق الناس أن هشاما قد مات حقيقة . فان ابن ذكوان ، لم يكتف بأن شهد بأن الجثة حقا هي جثة هشام ، وانما قام أيضا بمراسم الجناز والدفن[3] . ولما وجد هشام حيا ، وقدمه المهدى الى المجتمعين من شعب قرطبة في ربيع الأول عام ٤٠٠ (نوفمبر سنة ١٠٠٩) ، وقع الاختيار غير الموفق على ابن ذكوان ، لكي يكون البشير الذي يحمل هذه الأخبار السارة الى البربر ، فسألوه كيف شهد بموت هشام من قبل[4] ، وهشام الآن حي يرزق . وكان من الطبيعي حين أعيد هشام الى عرشه (٤٠٠ ـ ٤٠٣ هـ / ١٠١٠ ـ ١٠١٣) أن يقصى ابن ذكوان عن منصب القضاء في عام ٤٠١ (١٠١١) [5] . ولكن ما ان مضت سنتان حتى كان ابن ذكوان على رأس الوفد الذي أرسل الى البربر الذين أحاطوا بقرطبة ، لكي يتفقوا على شروط التسليم [6] .

ويحكى أن أبا عامر كان يزور ابن ذكوان القاضي وعنده جمع من الأدباء . وكانت الباكورة من محصول الفول قد ظهرت ، وجيء ببعضها هناك ، وقال ابن ذكوان ان حبات الفول لا يمكن وصفها وصفا كاملا ، ولكن قوة الارتجال الجبارة التي عرفت عن ابن شهيد أثبتت في هذه الفرصة كفاءتها ، فارتجل على التو (القصيدة رقم ٤١) [7] :

إنَّ لآلِيكَ أَحْدَثَتْ صَلَفَـــا فاتَّخَذَتْ مِن زُمُرُّدٍ صَـــدَفَا
تَسْكُنُ دُرَّاتُها البُحُــورَ وذِي تَسْكُنُ المُحْسِنِ رَوْضَـــةً أُنُفَا

وكان الخليفة يحيى في هذه الأثناء قد فقد عطف البربر الذين كان يعتمـــد

---

(١) البيان ج ٣ ص ٣١٥ .
(٢) ابن الأبار : الحلة في دوزي Notices ص ١٥٠ وبتحقيق حسين مؤنس ٢٧١/١ – ٢٧٢ .
(٣) البيان ج ٣ ص ٧٧ ، ٨٩ .
(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٩ .
(٥) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٥ .
(٦) البيان ج ٣ ص ١١٢ .
(٧) الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٢٨ – ٢٩ .

عليهم ، ولما كان غير واثق من موقفه أبى المخاطرة ، فلجأ هاربا الى مالقة[1] . وعاد القاسم الى قرطبة فى ذى القعدة عام ٤١٤هـ (فبراير ١٠٢٣م) ، ولكن جمهور الناس قابلوه بالعداء فلم يتمكن من أن يوطد مركزه ، وفى جمادى الثانية (سبتمبر) من نفس العام غادر العاصمة [2] . وقد خابت آماله فى أهل اشبيلية ، أنصاره القدماء ، وانهزم جنده من الزنج خارج أسوار المدينة أمام جيوش يحيى . وقد ألف ابن شهيد فى فرحته قصيدة مدح يحيى بها ذلك الانتصار الكبير ، وأرسل القصيدة الى يحيى (القصيدة رقم ٤٤) [3] :

أَجرَيْتَ للزَّنْجِ فوق النَّهْرِ نَهْرَ دَمٍ
حتّى اسْتَحالَ سماءً جُلِّلَتْ شَفَقَا

وهرب القاسم الى شريش ، وما أن وصلها حتى وقع فى اسار[4] ابن أخيه الذى أمر بقتله بعد ذلك بسامين ، رغم تحذيرات روح أبيه [5] . ومع أن يحيى قدر له أن يعود فيما بعد فى عام ٤١٦ (١٠٢٥) الى قرطبة ، فانه من الممكن اعتبار عام ٤١٣ (١٠٢٥) نهاية العهد الحمودى .

ولقد أمكننا أن نكشف فى هذه الأزمة الخطيرة التى اعترت حياة الاسلام فى أسبانيا ، نسقا من التحلل والتدهور . تبينا من مراحله الآن مرحلتين ، ونحن بصدد بدء بحثنا فى المرحلة الثالثة والأخيرة . ومن البين أن حياة ابن شهيد تتبع فى تقدمها النسق نفسه ، وأن فشله فى حياته صورة مصغرة تعكس فشلا فى طبيعة الحياة فى أسبانيا الاسلامية كلها . ويبدو لنا ذلك على أوضح وجه وأتمه فى المراحل الأخيرة من حياته .

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٣ ، ١٤٤ .
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٤ .
(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .
(٤) البيان ج ٣ ص ١٣٤ – ١٣٥ .
(٥) النفح ج ٢ ص ٣٣ .

(٤)

(٤١٣ – ٤٢٥ هـ / ١٠٢٥ – ١٠٣٤ م)

والأمر فى الشهور الثلاثة التى انقضت منذ أن هرب القاسم ، الى أن اعتلى العرش خليفة جديد ، مضطرب غاية الاضطراب ، فالناس قد ضجوا من حكم الغرباء ، ومدعو الحق فى الخلافة من الأمويين كثيرون ، ولكن كان يبدو أن أقربهم الى النجاح سليمان بن المرتضى ، وكان حتى قبل اجتماع البيعة عليه صاحب السلطة الفعلية فى المدينة ، بل ان اجتماع البيعة لم يعقد الا لتثبيته فى مركزه رسميا . وفى الرابع من رمضان (٢ ديسمبر سنة ١٠٢٣) اجتمع أهل قرطبة فى مسجدها الجامع لاختيار خليفة كعادة المسلمين الأوائل ، وكان هناك مرشحون ثلاثة كلهم من نسل الناصر ، وأولهم سليمان وهو كما قلنا المرشح الأثير ، وثانيهم محمد العراقى ، وثالثهم شاب فى الواحدة والعشرين من عمره اسمه عبد الرحمن . ولقد كانت ثقة الذين قاموا بتنظيم البيعة من الوزراء تامة فى نجاح سليمان ، الى درجة أنهم حرروا الوثائق وكتبوا فيها اسمه قبل البيعة . ولكن عبد الرحمن دخل بقوة أدهشت الجمع ، وضمنت له الغلبة فى ذلك اليوم ، والوزراء فى هم وكرب ، واختار لنفسه لقب المستظهر [1] .

ويبدو أن النصيب الأكبر من الجهد فى سقوط سليمان يعود الى أبى عبد الله القرضى ، وهو رجل لم يعطه المؤرخون المحدثون ، فيما يبدو ، ما يستحق من التفات ، وكان القرضى أعدى أعداء ابن شهيد ، وكان يمثل الخطر الداهم كلما ألمت بشاعرنا أزمة . ويقول ابن شهيد : « وأكد ذلك (أى كراهيته) أيضا معاملة عاملنى بها أيام حرب المدينة ، وكانت حبالها اذ ذاك متينة ، أعقبته وقع السوط على رأسه ، وعض الحجل على ساقه ، وكان الأمير بها (أى قرطبة) أبو أيوب بن المرتضى رضى الله عنهما ، فأعددت شعرا نويت أن أنشده اياه أول بيعته ، وكان ما كان ، وبلغته

---

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٥ – ٣٦ ؛ البيان ج ٣ ص ١٣٦ – ١٣٧ .

الشعر ، فزادت نفسه لي خبثا . »[1] والقصيدة التي يشير اليها ابن شهيد هي (القصيدة رقم ٥٠)[2] ، وفيها هجاء مقذع في الفرضي :

هُوَ الدّاءُ فاسْتأْصِلْه تَلْبَسْ جَمالَها

وَداءُ كُعُوبِ المُنْجِبِينَ عُضالُ

وقد هاجمه في قصيدة (رقم ٧٠) كتبها بعد موت أبي أيوب سليمان في عهد هشام الثالث :

نالَتْ سُلَيْمانَ منه رِجْلٌ من قَبْلُ ما أرْجَلَتْ أباهُ

واقد كتب أبو عامر أيضا ، في تاريخ لاحق ، الى مجاهد الموفق ، ملك دانية، الذي استقبل الفرضي في بلاطه ، رسالة طويلة يقص فيها كيف نشأت هذه العداوة ، فيقول « صحبته منذ أعوام ، أيام اختلافنا الى الزاهرة ، واذ تلك المواطن قائمة غير دائرة ، وبالغرر من آل عامر عامرة ، وكنا كثيرا ما نتدارس ضروب العلم : من أدب وخبر وفقه وطب وصنعة وحكمة ، على أنه في أهل الفهم واو عمرو ، أو لسان بطرء وكان ــ ولا أشعر ــ يدالس ويوالس ، قد استهتر في الفلوس ، واستهلك على التدليس ، وصار في ذلك وضح النهار ، ونفخة المزمار ، لو لمس البدور لعادت زيوفا ، أو تناول الشموس لغشاها كسوفا ، وقصدته يوما على جهل بتلك الخليقة منه لأستريح اليه ، وألقى من شيئي عليه ، فألفيته قد خلا بابه ، وغاب بوابه ، فولجت فنار الى صبي غرير أصبته هنالك قائلا لي : طال انتظارنا لك ، وتقدمني وسرت حتى انتهيت الى دار ذات أجوان ، قد غشيها دخان ، كقطع العنان ، تعبق منها صنان ، من زرنيخ وكبريت ، وزنجفور وأنزروت[3] ، فتذكرت « يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس ، هذا عذاب أليم »[4] فاستشعرت الشر وأردت الفر ، ثم التفت فاذا أنا بأكداس جمر ، وآلات تبر ، وأشخاص سود وصفر ، ثم أفضيت الى بيت فيه عدة أشباح ، كأنها قباض الأرواح ، غسرابيب ، بأيديهم كلاليب ، رزادق ، قد تقلدت مطارق ، فلما نظرت الى المنية ، وخشيت فصل القضية ، ضحكت اليهم وقلت : تخطتكم النعمة ، ولا هديتم سبيل الحكمة ، أهكذا تعجلون ، ولا تدرون من تريدون ؟ قالوا :

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(٢) » » » » » ص ١٨٨ .

(٣) ثمرة شجرة تنمو في فارس ، وهي مرة ذات رائحة طيبة (انظر ديوسقوريدس ، Materia Medica ج ٢ ص ٢٨١ ، ج ٣ ص ٣٢٩ ، تطوان وبرشلونه (١٩٥٢ — ١٩٥٧) .

(٤) القرآن الكريم . . . آيات ١٠ — ١١ سورة الدخان .

ومن أنت ؟ قلت : من أخذ الطلق ، فسحقه بالمدق ، وشق بيد الذكاء ، عن زهرة الأشياء ، فبشر الآباء بالأبناء . فقالوا : بنار أم بساء ؟ قلت : بهما جميعا وبهواء . فأومضوا الى ضاحكين ، واستقبلونى معتذرين ، وقالوا : كدت والله أن تلتهم ، وتكون السواد المخترم ، قلت : وأين أبو عبد الله ؟ قالوا : انفرد يرقق ماء بيض ، ويصفق دم حيض ، وغرضه استخراج دهن الحجر الكريم ، فقلت : حبس قديم أو حديث؟ فنادوا : أواه ، أواه ! على الخبير سقطتم . ثم تلطفت وخرجت ، تطير بى رجلاى وقد حقن الله دمى بعطفه ، واستنقذنى من يدى منيتى بلطفه ، ووصفت لمن استوثقته ذلك بعد أن استكتمته ، فجاس وخاس ، وكأنى أودعت سرى ريحا ، فاضطغن ذلك على » . (1)

فاذا عدنا الى الميدان السياسى ، وجدنا فى السياسة تغيرا جذريا ، اذ أن الخليفة الشاب ازور عن الساسة القدماء ، فملأ المناصب الوزارية بأصحابه ورفاقه ، من من الشبان الموهوبين فى الدوائر الثقافية التى كان الخليفة يغشاها . ولقد كان من حظ ابن شهيد ، صديق الخليفة الحميم ، أن عين وزيرا(2) ، فكان ذلك ، وهو فى الحادية والثلاثين من عمره ، قمة تطور حياته . ولقد ترك لنا أبو عامر حديثا يبدى فيه رأيه فى المواهب الأدبية عند سيده الجديد ، اذ يقول : « وكان يتهم فى أشعاره ورسائله ، حتى كتب أمان يعلى بن أبى زيد حين وفد عليه ارتجالا ، فعجب أهل التميز منه ، وأما أنا فقد كنت بلوته ، وكان ورود يعلى فجأة ولم يبرح من مجلسه حتى ارتجل الأمان ، وأنا والله أخاف أن يزل فأجاد وزاد » (3) .

ولقد كان ديوان الوزارة يجمع الى ابن شهيد غيره من الشخصيات المعروفة ، من أمثال ابن حزم الذى كان وفيا دائم الاخلاص لبنى أمية ، وابن عمه عبد الوهاب الذى تولى ديوان الكتابة ، وكذلك أبى عبدة حسان بن مالك(4) . ولقد أثارت تلك التعيينات حقد النبلاء القدامى ، فبدأوا يدبرون المؤامرات ضد نظام الحكم الجديد، مما دعا الى سجن عدد منهم ، فكان ذلك سببا فى تمرد كثير من الأرستقراطيين(5) . وبالاضافة الى هذه التهديدات الخارجية المختلفة للنظام الجديد ، كان على ابن شهيد أن يواجه فى صفوف جماعته نفسها غيرة شديدة من الفرضى ، يعاونه فيها أشد من يدعى بأبى الحسن على . وفى ذلك يقول الشاعر نفسه : « ثم اشتدت وطأة هذا

---

(1) الذخيرة قسم 1 مجلد 1 ص 186 — 187 .

(2) المرجع السابق قسم 1 مجلد 1 ص 36 ؛ النفح ج 2 ص 43 — 44 .

(3) الحميدى : الجذوة ص 25 .

(4) الذخيرة قسم 1 مجلد 1 ص 36 ؛ النفح ج 2 ص 34 .

(5) النفح ج 2 ص 34 .

الخبيث أيام المستظهر ، فلم يبق غاية من اهتضامى الا امتد لها ، وأجرى نحوها ، وقصرت به الأقدار دونها » . [1]

ولم يكف الحكم الجديد أنه أثار عداوة النبلاء ، فقد كانت خـــزائن الدولة خاوية ، فاضطر عبد الرحمن المستظهر (الخامس) الى أن يفرض ضرائب باهظة ، مما أثار عداء الطبقة الوسطى ، وعداء العامة أيضا [2] . ولقد أضاع أثر ما يتصـف به الخليفة الجـــديد من مواهب مكنوزة ، ما اجتمع فى المـــوقف من عوامل غلبت مواهبه ، وأدت بالحال الى تدهور سريع ، فقبـــل فى ضيقه واضيا معاونة عرضتها عليه جماعة من البربر [3] . وكان هذا كافيا لاثارة ثورة عارمة ، فاقتحم العامة القصر ، فوجدوا فيه فتى من بنى أمية ، سرعان ما أقاموه خليفة ولقبوه بمحمد (الثالث) المستكفى (الثالث من ذى القعدة عام ٤١٤ هـ / ١٧ يناير عام ١٠٤٤ م) [4] . ولقد كان أول أعمال الخليفة الجديد ، أن أمر بسلفه عبد الرحمن ، الذى قبض عليـه مختفيا داخل مدخنة فى الحمامات الملكية ، فقتل . وكانت مدة حكمه لا تتجاوز سبعة وأربعين يوما [5] فكان مجد ابن شهيد اذن قصير العمر جدا . ولقد عبر عن رغبته فى الهجرة الى مالقة فى القصيدة (رقم ٦٣) التى مبدؤها [6] :

أرى أَعْيُنًا ترنُو إلىَّ كأنَّما   تُساوِرُ منها جانبىَّ أراقِـمُ
أَدورُ فلا أَعْتام غَيْرَ محارِبٍ   وأَسْعَى فلا أَلْقَى امْرَءاً لِى يُسالِمُ

والخليفة الجديد محمد (الثالث) هو والد الأميرة الشهيرة « ولادة » التى كانت فيما بعد مصدر تعاسة شديدة لابن زيدون . وكان من أول هذا الاهمال السىء الذى لحق عباد الهة الشعر عنده أن أمر بسجن ابن حزم وابن عمه [7] . فدب الذعر فى قلب ابن شـــهيد ، فاشـــترك مع غيره ممن حط من قدرهم فى العهد الجديد ارتباطهم الوثيق بالعهد القديم ، فى الهرب الى مالقة ، حيث لجأوا الى حمى يحيى ابن حمود ، يتوسلون اليه أن يضع حدا للفوضى فى قرطبة . ولكن يحيى رغم ذلك

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٧ — ٣٨ .
(٢) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٧ .
(٣) » » » » ص ٣٨ .
(٤) البيان ج ٣ ص ١٢٨ — ١٢٩ ، ١٤٠ — ١٤١ .
(٥) المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٨ — ١٢٩ .
(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .
(٧) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٢ .

لم يبد عليه أي تعجل ، فان أملاكه في الأقاليم الجنوبية كانت تدر عليه من الدخل ما هو أكثر مما هو منتظر من العاصمة المنعزلة في الشمال ، وعرشها الاسمي .

وقد حدث ذات مرة في أيام المنفى هذه ، أن دخل ابن شهيد مرة على يحيى، في مجلسه ، وهو ، كما يقول ابن شهيد ، « قد صدر عن ابن الشرب ، ومدحه عدة شعراء ، صدور أشعارهم لزينب والرباب ولميس وقرتي ، وأعجازها للجود والكرم وبذل اللهى ، ولم يلم أحد منهم بذلك الغرض والمغزى الا في بيتين أو ثلاثة ، فأنشدته أنا يومئذ من جملة قصيدة » (القصيدة رقم ٤٣) يقول في أولها :

فَرِيقُ العِدا مِن حَدِّ عَزْمِكَ يفرَقُ
وبالدَّهرِ مِمَّا خافَ بَطْشَكَ أولَقُ

عَجِبْتُ لمَن يعتَدُّ دُونَكَ جُنَّةً وَسَهْمُكَ سَعْدٌ والقضاءُ مفوَّقُ

. . . .

ومن المحتمل أن ابن شهيد كان يقيم داخل قصر يحيى في القصبة . وبالرغم من أن طراز مبناه الآن نصري يعود الى عهد بني الأحمر ، فان جـزءا من القصر أقدم من ذلك مبني على الطراز المعروف في عصر الخلافة الأموية ، ويرى جوميز-مورينو (٣) أن هذا الجزء القديم يعود الى حكم يحيى لتلك المدينة (٤١٤ — ٤٢٦ هـ / ١٠٢٣ — ١٠٣٥ م) ومن المحتمل كثيرا أن يكون ابن شهيد قد شهد ذلك البناء كما هو ابان منفاه من عام ٤١٤ الى ٤١٦ هـ (١٠٢٤ — ١٠٢٥ م) ، فان كان الأمر كذلك فان هذا هو الأثر الرئيسي الباقي حتى الآن مما عرفه في حياته ، بالاضافة الى الباب الكبير للمسجد الجامع في قرطبة كما هو ظاهر من القصيدة رقم ٣٧ . فقد اختفى الى الأبد كل ما أشار اليه ابن شهيد من آثار ، فلم يبق من أثر لقصر الزاهرة، ولا لبيته (٤) ، ولا قبره ، ولقد دمرت الجهالة البربرية باب اليهود في القرن الحالي.

وأخيرا وبعد تردد كثير قرر يحيى أن يتحرك ، فلما وصلت أنباء غزوته

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٧٢ — ٢٧٣ .

(٢) « « « « ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(٣) Ars Hispaniae ج ٣ ص ٢٤٨ .

(٤) دار ابن شهيد كانت موجودة في رحبة المزيزة في مدينة قرطبة (انظر ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ص ٢٥٧) .

المرتقبة الى قرطبة فر المستكفي ، ولكنه قتل بعد ذلك بأسابيع قليلة[1] . ولقد وصل يحيى الى قرطبة في رمضـــان عام ٤١٦هـ (نوفمبر ١٠٢٥ م)[2] . ومن المحتمـل جدا ان يكون في صحبته ابن شهيد ، فما كان شاعرنا ليعود الى المدينة قبل أن يزول كل خطر . ولقد غادر يحيى المدينة في شهر محرم التالي (مارس ١٠٢٦ م)[3] ، ولكن ابن شهيد لم يكن في هذه المرة في رفقته . ولعله كان في تلك الآونة يعـاني آلام الخلق الأدبي ، فان هذا أول تاريخ يمكن أن نقدره بداية لكتابة مؤلفه الشهير « رسالة التوابع والزوابع » . ولقد ظهر في هذه الفترة أيضا « طوق الحمامة » لابن حزم ، وهو النتاج النثري الرئيسي الآخر من انتاج هذه المدرسة الأدبية . وقد كتب « طوق الحمامة » في شاطبة في عام ٤١٨هـ (١٠٢٧م) تقريبا[4] .

ومن سوء الحظ أننا لا نعرف كذلك تاريخا محددا لتأليف « الرسالة » فكل التواريخ التي تقدم بها الباحثون من قبل خاطئة ، فالبستاني[5] يقول انها كتبت بعد عام ٤١٤هـ (١٠٢٣م) ، ويقول أحمد هيـــكل[6] انها كتبت في ٤١٥هـ (١٠٢٤م) ، ويؤكد لنا بروكلمان ، دون أن يبدي أي دليل ، أنها كتبت قبل « رسالة الغفران» للمعري بعشرين سنة . ولما كانت رسالة أبي العلاء قد كتبت حوالي عام ٤٢٤هـ[8] فان التاريخ الذي يقول به بروكلمان هو عام ٤٠٤هـ (١٠١٣م) . أما زكي مبارك[9] فهو يجازف فيقول انها كتبت بين عامي ٤٠٣ و ٤٠٧هـ (١٠١٢ - ١٠١٦م) .

ومن الواضح أن اختيار بروكلمان قـد جانب الصواب ، اذ أن « الرسـالة » تحوي قصيدة ابن شهيد عن سجنه ، ولم يكن من الممكن أن تكتب قبل عام ٤٠٧ (١٠١٦) وهي أيضا تشير الى المرثية التي قيلت بمناسبة وفاة ابن ذكوان ، وذلك في عام ٤١٣ (١٠٢٢) وهي فوق كل ذلك ، تقتبس أبياتا من المرثية الجافة التي رثى بها

---

(١) البيان ج٣ ص ١٤٣ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) نفس الموضع .

(٤) يستنتج هذا من اقامة ابن حزم في شاطبة (انظر الطوق ص ٨٥) عندما كانت المعارك دائرة ضد خيران العامريين في ٤١٨ هـ - ١٠٢٨ م (البيان ج ٣ ص ١٦٦) ، ولكن موت خيران غير مذكور في كتاب ابن حزم . وابن حزم (الطوق ص ٤٠) يحدثنا عن الحكم بن منذر (توفي حوالي ٤٢٠ - أنظر ابن بشكوال : الصلة ص ١٤٩) على أنه ما زال على قيد الحياة .

(٥) رسالة التوابع والزوابع ص ٩٥ .

(٦) الأدب الأندلسي ص ٤٢٣ .

(٧) History of the Islamic Peoples ص ١١٦ .

(٨) أحمد هيكل : الأدب الأندلسي ص ٤٢٢ .

(٩) النثر الفني ١ ص ٢٥٩ .

الوزير أبا عبدة حسان بن مالك ، الذى توفى فى شوال عام ٤١٦هـ (١٠٢٥م) [١] . وهناك أيضا دليل آخر قاطع ، فى القصيدة التى يخاطب فيها ابن حزم ، مادحا اياه باعتباره من أنصار المذهب الشافعى ، وهى قد ألفت بالطبع قبل أن يتحول صديقه الى المذهب الظاهرى حوالى عام ٤٣٠ (١٠٢٩) [٢] . فالتاريخ الصحيح الذى كتبت فيه « الرسالة » اذن ينحصر بين عامى ٤١٦ ـ ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ ـ ١٠٢٩م) .

وليس هذا بالموضع الذى نبحث فيه احتمال تأثير أدب شاعرنا الأندلسى على « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، ولكننا نلاحظ أن أسبقية الأول على الثانى قد ثبتت دون أدنى شك . وقد تكون الأصول التى أخـذ عنها الشاعران واحدة ، فمصدرها عموما فى قصة « المعراج » التى مهدت الطريق أيضا لظهور « الكوميديا الالهية » [٣] ويبدو أن المصدر المباشر الذى أوحى لابن شهيد « بالرسالة » انما هو « المقامة الابليسية » [٤] لبديع الزمان الهمذانى ، الذى يذكره ابن شهيد فى « الرسالة » [٥] .

ولقد كان اهداء الكتاب الى أبى بكر بن حـزم مصدر حيرة وبلبلة بين الباحثين[٦] ، فان الرجل الوحيد الذى عرف بأبى بكر بن حـزم بين أصدقاء ابن شهيد ، كان شقيقا لابن حزم ولكنه مات فى الثانية والعشرين من عمره عندما انتشر الطاعون بقرطبة عام (٤٠١هـ) (١٠١١م) [٧] ، وكان ابن شهيد حينئذ فى التاسعة عشرة من عمره فحسب . أما التفسير الصحيح لهذه المشكلة فنجده عند الحميدى[٨] الذى يقول بأن « الرسالة » موجهة الى من يدعى أبا بكر يحيى بن حزم ، وهو من أسرة مختلفة تماما عن أسرة ابن حزم الشهير .

وكانت « الفتنة » فى هذه الأثناء تسرع الخطا نحو النهاية المحتومة ، فقد كانت الخلافة كنظام حى قادر على التطور قد انتهى أمرها فى الحقيقة ، ان لم يكن بالفعل . وبالرغم من ذلك ، عقدت الارستقراطية فى قرطبة نيتها على بذل محاولة واحدة أخيرة لاستعادة سيادتها وسلطانها على الأندلس . وقرروا ، بزعامة أبى الحزم بن

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ١٥٦ .

(٢) انظر ما سبق ص ٣٢ .

(٣) انظر كل ما ورد من هذا الموضوع عند أسين بلاثيوس : La escatologia musulmana

(٤) شوقى ضيف : المقامة ص ٣٠ — ٣٢ .

(٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥ .

(٦) أنظر أحمد هيكل : الأدب الأندلسى ص ٤١٩ — ٤٢٠

(٧) ابن حزم : الطوق ص ١١٧ .

(٨) الجذوة ٢٥١ .

جهور الكلبى ، أن يتيحوا لهذه المحاولة الأخـيرة كل فرصة ممكنة للنجاح ، بأن ضمنوا ولاء أمراء الثغور[1] . ولقد أبدى هؤلاء الحكام موافقتهم على الأرجح لثقتهم الوطيدة فى أن هذه المحاولة لن تنجح . واتفق الجميع على اختيار هشام ، وهـو الأخ الأكبر للمرتضى ، ليتقلد منصب الخلافة الرفيع . ولكن هشاماً لم يكن متلهفا ، فظل يؤخر وصوله الى قرطبة مدة عامين ، ولما وصل أخيرا فى ذى الحجة عام ٤٢٠هـ (ديسمبر ١٠٢٩م) ، كان لقذارة مظهره الأثر السىء . ورغم ذلك قابلته الجماهير بالترحاب والفرح الغامر ، فقد كان أملهم فى القضاء على عهـد العذاب الطويل ، واستعادة عظمتهم الغابرة[2] . ولكن سرعان ما خابت الظنون ، فقد كان هشام عاديا، لا يميزه عن أسلافه الفاشلين أى شىء . ولقد بدأ حكمه بأن جعل الارستقراطية ، وهو مدين لها بعرشه الذى أجلسته عليه ، تنفر منه ، اذ عين فى منصب وزيره الأول نساجا سابقا اسـمه الحكم بن سعيد[3] . ولقد عين ابن شهيد أيضا وزيرا ، وصـار هو والوزير الأول ، رغم أصله المتواضع ، صديقين حميمين[4] . أما ابن حـزم ، الذى كان حتى النهاية المرة مناصرا لسلطة الخلافة الشرعية ، فقد صار هـو أيضـا وزيرا[5] .

وقد كان هم الحكم بن سعيد القزاز ومشكلته الكبرى أن يجـد طريقه لملء الخزانة الخاوية[6] . وكانت الوسائل التى اتخذها للوصول الى غرضه هـذا وسـائل شائنة ، لا لسبب الا لأنه لم يجد أمامه وسيلة قويمة . وكان من أوائل ضـحايا حكمه أبو عامر[7] ، أحد أبناء المظفر ، وأحد أصدقاء ابن شهيد المقربين ، فان الحكم اتهمه بقتل من يدعى بسليمان بن هشام الناصرى ، فرسم أبو عامر هذا خطة فراره، واستصحب معه فريقا من أصدقائه ورفقائه وحمل معه أثمن ما يمـلك من متاع ، وأجمل من فى حريمه من نساء ، وذهب بكل ذلك الى شاطبة ولكن الأرض ضاقت به ، ولجأ الى حمى أبى حمامة حرزة اليمدرانى فى قصره الحصين على ضفة الوادى الكبير ، حيث ظل يذوى ويذوى من الكمد والغصة حتى مات[8] .

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٤٦ .
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٤٧ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٠ وجه (جوتا) .
(٣) البيان ج ٣ ص ١٤٦ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٠ ظهر (جوتا) .
(٤) الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .
(٥) ياقوت ، معجم الأدباء ج ٥ ص ٨٧ .
(٦) البيان ج ٣ ص ١٤٧ - ١٤٨ .
(٧) انظر رواية ابن حزم عن هذه الشخصية العجيبة توجد فى ملحق د .
(٨) ابن حيان فى الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٢٦٠ .

وعندما سقطت الدولة العامرية ، لم يترك أبو عامر بن المظفر مدينة قرطبة ، وفضل أن يظل فيها متمتعا بالصحبة الراقية ، ومرحبا بابن شهيد وغيره من الأدباء في منزله[1] . ويحكي ابن شهيد أنه حدث يوما ما هو في الحمام مع بعض أصدقائه أن جاءهم رسول من أبي عامر يطلب أن يستخدم لنفسه حمام ابن شهيد ، اذ كانت الاصلاحات تجرى في حمامه هو . فكتب ابن شهيد ردا ، يشير فيه الى حمامه (القصيدة رقم ٣٩)[2] .

فانْعَمْ أبا عامرٍ بنَعْمتِـهِ وَاعْجَبْ لأمرَيْنِ منه قد جُمِعَا
نِيرانُهُ مِن زِنادِكُم قُدِحَتْ ومـاؤهُ مِن بَنـانِكُمْ نَبَعَا

وفي مناسبة أخرى وجه ابن شهيد اليه مقرظا ، (القصيدة رقم ١٥)[3] ، ولم يصل منها الينا غير هذه الأبيات :

جُمِعَتْ بطاعةِ حُبِّكَ الأضْدادُ وتَـآلَفَ الأفْصاحُ والأعْيادُ
كَتَبَ القَضاءُ بأنَّ جَدَّكَ صاعِدٌ والصُّبْحُ رقٌّ ، والظَّلامُ مِدادُ

ويصف لنا ابن حيان[4] ، حفلة استمرت طوال الليل ، كان الساقي فيها جارية صغيرة السن ، وأبدوا جميعا عجبهم من أن تظل طفلة مثلها يقظة الى تلك الساعة المتأخرة ، فطلب أبو عامر من ابن شهيد أن يصفها فارتجل أبياتا ، (القصيدة رقم ١١) ، تبدأ هكذا :

أفدى أُسَيْماءَ من نديم ملازم للكـؤوس راتب

وكان الحكم منشغل البال بخواء خزائنه ، وكان من الوسائل التى لجأ اليها لملئها ما أعاد ابن شهيد الى البروز في الصف الأول ، لآخر مرة . فقد استعان الحكم بفقيه سيء السمعة اسمه ابن الجيار ، فتح له طريق الحصول على المال من الأوقاف المحبوسة على المساجد[5] ، فأثار هذا الاحتيال عاصفة من الحنق والاشمئزاز عند الرأي العام ، كما أثار غضب الفقهاء على حكم هشام . ولكن كان

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .
(٢) « « « « ص ٢٥٧ .
(٣) « « « « ص ٢٥٩ .
(٤) « « « « ص ٢٦٠ .
(٥) « « قسم ٣ ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .

من حسن حظ الحكم أن هؤلاء الفقهاء كانوا قد أساءوا سمعتهم لدى الناس قبل ذلك بزمن وجيز بقبولهم زيادة فى رواتبهم جاءتهم من أموال ضرائب غير مشروعة، وأصدر الخليفة أمره الى ابن شهيد ليهجوهم ، فهجاهم فى مقطوعة لاذعة قرأها الشاعر على الناس فى القصر أولا ثم بعد ذلك فى المسجد الجامع فى جمادى الثانية عام ٤٢١هـ (يونيه ١٠٣٠م) . أما المستمعون اليه « فصك أسماعهم بأصلب من الجندل، وغشى وجوههم بأحدّ من المرجل ، وانصرفوا يتدارسون نوادره[1] » . ولكن الحكومة كانت قد تزعزع أمرها . وكتب ابن شهيد قصيدة يخاطب بها هشاما ، ويقول ابن حيان[2] : « وكانت من مكتوماته أنشدها هذا الخليفة يوم مهرجان[3] العام المؤرخ اثر قتل عبد الرحمن بن محمد بن الخياط الوزير ، يحسن له سطوته ، ويغريه بمن بقى من أصحابه ، وهى قصيدة ذميمة المعانى استهدف بها الى سفك دماء المسلمين ، وجسر هشاما على الفتك بالعالمين » . وابن شهيد فى الحقيقة ينادى هنا باضطهاد « العمائم الطويلة » كما يسمى هو الفقهاء ، ويصيح مخاطبا الخليفة (القصيدة رقم ١)[4] .

أَحْلَلْتَنِى بِمحـلَّةِ الجَوْزاءِ ورَوِيتُ عندكَ مِن دَمِ الأَعْداءِ

....

أتَاصِلُّهم عند الخصامِ فَخَلُّهمْ للِسانِ هذى الحَيّةِ الرَّقْشاءِ

وفى وصف الرجال الذين عينهم الحكم فى مختلف الوظائف ، أن « أكثرهم صبية أغمار من نمطه ممن ديدنه حث الكاس ، وتنضيد الآس ، وطبخ الترفاس ، والتفكه بأعراض الناس ، ان ضج مظلوم سخروا منه وحاكموه »[5] . وقد يكون فى هذا الوصف اشارة مباشرة لابن شهيد وندمائه ، اذ كان الموقف الآن غير مختلف عنه أيام عبد الرحمن الخامس ، وكأنما التاريخ يعيد نفسه . ويبدو أن الشاعر كان يدرك حرج موقف سيده الخليفة ودقته ، وفى قصيدة (رقم ٧٠)[6] ينم بها كل الذم القرضى ، عدوه اللدود ، يقول ، بعد أن ذكر المرتضى :

(١) المرجع السابق قسم ٣ ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .
(٢) « « « ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .
(٣) الرابع والعشرون من يونيه . وكان « المهرجان » أحد احتفالين من أعياد الفرس ، أدخلهما إلى الأندلس زرياب ، وكان الاحتفال الآخر عيد « النيروز » (انظر قصيدة ٣٨) .
(٤) الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤١ وجه وظهر (جوتا) .
(٥) ابن حيان فى البيان ج ٣ ص ١٤٨ — ١٤٩ .
(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٨٨ .

لم يُبْقِ من زُمْرة المعالى إلّا هشامَ العُلا أخاهُ
يارَبِّ فاحْرُسْهُ لِي بعَيْنٍ تَمْنَعُهُ الدَّهْرَ من أَذاهُ

ولقد بذل الأشراف بقيادة أبى الحزم بن جهور جهدا بعد جهد ، ولجأوا الى المؤامرة بعد المؤامرة للتخلص من الحكم ، ولكنهم فشلوا فاضطروا الى الوسيلة التى كانوا يكرهونها أشد الكره ، وهى ايقاد نار الثورة الشعبية . ولقد قرروا سرا أن يقضوا على الخلافة القضاء الأخير ليحلوا مكانه جمهـورية تتحكم فيها أقليتهم من الأشراف ، وتقدموا الى فتى من بنى مروان اسمه أمية ، وأثاروا فى قلبه الأمل بأن يعين خليفة[1] ، اذا قبل أن يقود الثورة ضد هشام والحكم . ولقد وافق ذلك أمانى أمية ، فقاد أتباعه فى ذى الحجة عام ٤٢٢هـ (نوفمبر ١٠٣١ م) الى قتل الحكم فى أحد شوارع المدينة ، وحمـل رأس الحكم على طـرف رمح الى القصر ليتملى بمنظره هشام . ولما رأى الخليفة رأس وزيره هكذا أصاب قلبه الذعر على حياته ، ولكن ابن جهور نجح فى اجبار الرعاع الذين انطلقوا فى القصر سلبا ونهبا ، على ايقاف اراقة الدماء ، فخاب ظن أمية ، ونجحوا فى حمله على الاختفاء[2] . وفى اليوم التالى أخبر هشام الثالث بقرار مجلس الدولة بالغاء الخلافة ، ونفيه هو[3] . ويقول كونديه[4] ان ابن شهيد كان من بين من رافقوا هشاما عند نفيه الى حصن أبى شريف . ومن المحتمل أنه عاد الى قرطبة بعد ذلك بزمن وجيز وربما فعـل ذلك عندما هرب هشام الى لاردة[5] .

وبسقوطه ضاعت كل آمال أبى عامر . فقد كان ابن شهيد وثيق الصلة بخليفتين من قبله ، هما يحيى بن حمود ، وعبد الرحمن المستظهر . أما الآن وقد سقط آخر راع ملكى كان يرعاه ، فقد فقد ابن شهيد كل أمل فى وظيفة عامة . وهكذا تسدل ستارة النهاية فى ذات الوقت على المنظر الرئيسى للتـاريخ الأندلسى كله ، وكذلك على حياة ابن شهيد العامة .

ومع ان الاشراف مواصـولهم عربية صرف ، تصرفوا فى حكمة محمودة ، وتعقل عجيب بعكس ما اتصف به الرعاع من جهالة أو البربر من رعونة ، فان ذلك

(١) البيان ج ٣ ص ١٤٩ — ١٥٠ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٢ ظهر (جوتا) .
(٢) البيان ج ٣ ص ١٥٠ — ١٥١ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٣ ظ . (جوتا) .
(٣) البيان ص ١٥١ ؛ الذخيرة نفس الموضع السابق .
(٤) History of the Dominion of the Arabs in Spain ج ٢ ص ١٢٥ . لم أنجح فى اكتشاف المصدر الذى استق منه كونديه معلوماته هذه .
(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٩٠ .

لا يقلل بحال من الشجي الذي تضفيه المناسبة ، أو يقلل من عظم المأساة التي واجهت الاسلام في أسبانيا . ولقد اعترف الأشراف بالحقيقة الواقعة حين قرروا انهاء نظام لا معنى له ، وقد فعلوا ما فعلوا والحزن في قلوبهم ، مدركين بحق كل المعاني التي يتضمنها قرارهم . وهكذا انتهت الفتنة وانتهى ليل قرطبة وعذابها الطويل ، ولكن المرارة والأسى نتاج هذه السنين الخمس والعشرين ، تتخللان كل صحيفة كتبها كل المؤرخين ، من ابن حيان الى من أتى من بعده . ورغم أن ابن شهيد كان طرفا في المأساة ، فانه كان هو أيضا شريفا ، ولم يكن عليه من خطر يخشاه حين تولت جمهورية الأشراف مقاليد السلطة . أما ابن حزم ، فانه هو أيضا فقد كل آماله في الحياة العامة ، فاختار لنفسه ميدانا يبذل فيه جهده ، ميدانا جافا هو ميدان التشريع[1] ، مما قاده في النهاية بعيدا عن المثل الشعرية العليا التي كان يسعى اليها من قبل .

وفي شعبان عام ٤٢٥ (يونيه ١٠٣٤) تمكن زهير الصقلبي ، خليفة خيران في حكم المرية ، من دخول قرطبة ، وظل فيها عاما وربع عام[2] . وكان يرافقه وزيره الشهير ، أبو جعفر أحمد بن عباس . وما كان من الوزير عند وصوله قرطبة ، الا أن أرسل في طلب ابن شهيد[3] . وقد اشتهر عن هذا الوزير الغريب مهارته في كتابة الرسائل ، وغناه الفاحش ، وبخله وغروره ، وكان في مكتبته الخاصة ٤٠٠،٠٠٠ مجلد[4] ، فكانت في غناها كمكتبة الحكم الثاني . ويذكر لنا ابن بسام[5] أن « من عجبه أنه دخل قرطبة — ومنها منتماه ، وهم بقية الناس — فحجب كبيرهم الشيخ أبا عمر ابن أبي عبدة من غير عذر ، وما عرف عباس أبوه الا بخدمة ابن عمه ، وتنقص أديبهم أبا عامر بن شهيد ولم يلقه بحسن مستمليا له . ثم أجمل وصف جماعتهم ، وقد سئل عنهم ، فقال : « ما رأيت بقرطبة الا سائلا أو جاهلا » وكان ابن شهيد ، كما هو واضح ، واحداً ممن شملهم هذا الوصف . فما السبب في كل هذا ؟ من حسن الحظ أن ابن بسام في كتابه الفريد قد حفظ لنا في صفحاته تفاصيل القصة كما أوردها ابن شهيد بنفسه ، مما نستطيع به أن نتتبع في دقة منشأ العداوة بين الرجلين ، وتطورها بعدئذ .

فعندما وصل أبو جعفر الى قرطبة ، ذهب الى منتدى أدبي ، كان يجتمع فيه ابن برد ، وأبو بكر المرواني ، وابن الحناط ، والطبني ، فسأل عن ابن شهيد ،

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ ص ٨٧ .
(٢) ابن الخطيب : الاحاطة ج ١ ص ٣٣٨ .
(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦١ — ٢٦٢ .
(٤) النفح ج ٥ ص ٧٨ .
(٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ٢ ص ١٧٦ .

وكان يلح في حضوره ، حتى انه أرسل رسولا ليأتي به . فلما جاء ابن شهيد ، كان ابن عباس قد غادر الندوة . وقام الجمع كله عند دخول أبي عامر ، ووقفوا تحية له . وعندما عاد ابن عباس الى الندوة ، حياه أبو عامر في احترام ، ورد ابن عباس على تحيته بأدب ولكن الشاعر يقول « علمت أن في أنفه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام » . ولقد وجد ابن شهيد رفاقه منشغلين فسألهم عن السبب ، فقال ابن الحناط ان الوزير قد أتاهم بشطر بيت من الشعر ، هو « مرض الجفون ولثغة في المنطق » ثم تحدى جمعهم أن يأتوا بالشطر الآخر . وقد أدرك ابن شهيد أنه هو المقصود بالتحدي ، فقال لهم « لا تجهدوا أنفسكم فلستم المراد » ، وأمسك بالقلم وكتب الشطر الثاني هكذا « سببان جرا عشق من لم يعشق » ثم استمر على التو فكتب ثلاثة أبيات أخرى ارتجالا (القصيدة رقم ٤٥) .

ويقول ابن شهيد « ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا علي ، وأخبروا أن أبا جعفر لم يرض ما جئنا به من البديهة ، وسألوني أن أحمل مكاوي الكلام على حتاره . وذكروا أن ادريس هجا فأفحش ، فلم أستحسن الافحاش ، فقلت فيه معرضا اذ التعريض من محاسن القول (القصيدة رقم ١٧) [1] :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كَاتِبٌ مليحُ شَبا الخَطِّ حُلْوُ الخَطَابَهْ
تَمَلَّأَ شَحْماً ولَحْماً ومـا يليقَ تَمَـلُّؤهُ بالكِتَـابَهْ

ونحن نعرف عن الشهور الأخيرة من حياة ابن شهيد أكثر مما نعرف عن أية فترة أخرى من فترات حياته ، وهي في الحق تحمل من المعاني والمدلولات ، ما يتطلب دراسة خاصة في فصل منفصل .

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد١ ص ٢٦٣ . كل التفاصيل السابقة تجدها في الصفحات من ٢٦١-٢٦٣ .

(٥)

(٤٢٥ – ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ – ١٠٣٥م)

يقول الحارثة بن المغلس ، شيطان المتنبي ، في « الرسالة » عن ابن شهيد « ان امتد به طلق العمر ، فلا بد أن ينفث بدرر ، وما أراه الا سيحتضر ، بين قريحة كالجمر ، وهمة تضع أخمصه على مفرق البدر »[1] . ولقد قدر لنبوءته هذه عن نفسه ، وهي التي صدرت منه في موعد ما بين عام ٤١٦ وعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ – ١٠٢٩م)[2] ، أن تتحقق وشيكا . ولم يكن هناك من تضاد بين هذين الأمرين ، أمر موته وأمر طموحه هذا الى القمـــر ، فان أخصب فترة خلق أدبي مر بها ابن شهيد ، كانت بالذات هي الفترة التي سبقت موته مباشرة . فقد كان ابن شهيد في سني حياته الأخيرة يقاسي من فالج نصفي ، ولا بد أنه قد أصيب به مرة واحدة في ذي القعدة عام ٤٢٥هـ (سبتمبر الى أكتوبر ١٠٣٤ م) فقد تدهورت حالته وساءت صحته في أول ذلك الشهر الى درجة خطيرة[3] . ونستطيع أن نفترض أنه قاسى من الظواهر العادية للفالج النصفي ، من شلل يصيب نصف الجسم من جانب ، وعلة تصيب الجانب المقابل من المخ . ولكن كان ابن شهيد رغم ذلك قادرا على أن يتحرك من مكان الى آخر متكئا على عصا أو معتمدا على رجل آخر[4] .

وفي الشهور السبعة التي مرت بين اصابته بالفـــالج ووفاته ، قام ابن شـــهيد بتأليف ما لا يقل عن عشر قصائد ، من بينها آيته الكبرى وأعظم قصائده[5] . وفي هذه القصائد التي يمزقها الأسى والعذاب ، تبين جلية واضحة عبقرية ابن شـــهيد الأصيلة ، فهو قد جاوز الحد الذي يقيده فيه محصول المدح والملق ، فلا حاجة له

---

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٨ . انظر الى قصة أبي تمام (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٨) .

(٢) أنظر ما سبق ص ٤٣ – ٤٤ .

(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨١ ؛ ابن خاقان : المطمح ص ٢١ .

(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٢٨٢ .

(٥) « « « ص ٢٧٩ – ٢٨٧ .

اذن بروح النفاق والأسلوب الوشى المنمق الذى يتمشى مع ما يميز قصائد المديح ، لذلك صار شعره شعرا خالصا عاريا يقف فيه الشاعر أمام ربه وجها لوجه ، فيسترجع بين يديه مراحل حياته كلها ، فيقرر أن لا قيمة لها . وهو فى كل ذلك لا يتخذ طريق النفاق الدينى كما هى العادة ، وهو لا يتحول الى الدين فى آخر لحظة قبل الموت كما يحدث فى بعض الأحيان ، ولكنه فى صراحة تفوق صراحته فى أى وقت مضى ، يقر بأن الجسد يعذبه حتى فى مواجهة الموت ، وهو يعرض نفسه فى هذه القصائد الأخيرة التى أكملت حياته وجعلت منها وحدة فنية متكاملة . فهو يقول فى (القصيدة رقم ٢٨)[١] :

وليس عَجيباً أن تدانَتْ منيَّتى
يُصَدِّقُ فيها أوّلى أمْرَ آخِرى

. . . .

وهذه القصائد تركز أشد التركيز على موضوعين مترابطين دائما فيها هما الصداقة والموت . فمن الواضح أن الصداقة كانت تعنى الشىء الكثير عند أبى عامر، وهو صاحب الحياة الاجتماعية النشطة ، التى يحكى الكثير عنها فى قصص كثيرة وصلت الينا ، نراه فيها وأصدقاءه الحزانى عليه حوله متجمعون ، وكأنه سقراط فى آخر أيامه . وفى قصيدة كتبت فى أوائل مرضه ، يحدثنا عن تعهده بالتوفيق بين صديقين من معارفه ، اختلفا . ويقص ابن المصحفى[٢] ، « دخلت يوما على أبى عامر وقد ابتدأت علته التى مات منها فتأنس بى ، وجرى الحديث الى أن شكوت اليه تجنى بعض اخوانى علىّ ، ونفاره عنى ، فقال لى : سأسعى فى اصلاح ذات البين . فخرجت عنه ، واتفق لقائى بذلك المتجنى مع بعض اخوانى ، وأعزهم علىّ ، فلما رآنى موليا عن ذلك الصديق أنكر علىّ ، وسأله عن السبب الموجب ، فأخبره وزادا فى مشيهما حتى لحقا بى وعزما علىّ فى مكالمة صاحبى ، وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى ، وأشهى من الماء على الظما ، حتى جئنا دار أبى عامر ، فلما رآنى ضحك وقال : من كان الذى تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده ؟ قلنا : قد كان ما كان ، فأطرق قليلا ثم أنشد (القصيدة رقم ٧٣) :

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٦ .
(٢) » » » » ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .

مَن لا أُسمِّي ولا أَبــوحُ به   أَصْلَحَ بيني وبينَ مَن أَهْوَى

. . . .

وابن المصحفي [1] نفسه مصدر قصة أخرى تاريخها بدء مرض ابن شـهيد ، فهو يقول : « ودخلت عليه يوما في تلك العلة ومعي غلام وسيم من اخواننا ، وكان أبو عامر قبل ذلك يحب ممازحته فينـافره ، حتى خاطب أبو عامر بعض اخوانه بشعر مسه فيه بطرف لسانه ، فقال له ذلك الغلام : هجوتني يا أبا عامر دون أن تستثبت في أمري ، وأن تعلم من سري ما يوجب ذلك . فقال : على تكفيره بمـا يمحوه من القراطيس والصدور ، وكان ذلك اثر صلاة العشاء الأولى فطفنا بالجامع ثم انصرفنا اليه وأنشدنا (القصيدة رقم ٦٢) :

أَلا بأَبِي زائرِي في العَتَـمْ   بوَجْـهٍ يُجلي سـسـوادَ الظُّلَمْ

. . . .

وقبل أن تسوء حاله أكثر من ذلك ، سمع ابن شهيد أن صديقه أبا جعفـر ابن اللمائي (كاتب علي بن حمود [2]) قد أتاه موته ، فكتب مرثية (القصـيدة رقم ٧٤) [3] ، ربما ضاعف من الشجى فيها علمه بأن ساعته هو أيضا آتية عن قـريب :

فقلتُ والسُّقْمُ منْشورٌ على جَسَدِي
يحدُو الرَّدَى ورداءُ العيشِ مَطْوِيُّ

أَهْدَى اللَّمائيُّ مِن أَزْهارِ فكْرِتِه
نَشْرًا ، فقال النَّجِي : مَرَّ اللَّمائيُّ

فقِيلَ : ماتَ ، فقالَ اللَّيلُ : قاربَ ذَا
فانهلَّ مِن مُقلَتَي نَوْءٌ سمائِيُّ

وبِتُّ فَرْدًا أُناجِي مُقْلَتي شَـغَفًا
كأَنَّني في نُقُـوبِ الدارِ جِنِّيُّ

(١) الذخيرة ق ١ – مجلد ١ ص ٢٨٠ – ٢٨١ .
(٢) ابن خاقان : المطمح ص ٢٥ . انظر عن هذا الشاعر الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ١٢٢ – ١٣٩ .
(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

ومن الواضح من شعر ابن شهيد أنه كان مغرما بالفتيان ، ولكننا لا نجد في شعره غراما كغرام ابن زيدون بولادة ، ولا غراما بمن يماثلها بين الذكور ، الى أن نصل الى هذه الشهور السبعة الأخيرة ، حين يأتي ذكر غلام اسمه عمرو ، يضفى على شعر ابن شهيد وهو كما قلنا شعر طافح بالشجن والعذاب من ذكر الموت ، روحا جديدة هي مزاج من الحنق الشديد واليأس . انظر الى ابن شهيد يقول في قصيدة (رقم ٥٨)[1] يخاطب فيها عمرا :

وإنْ أَحَبَّ الثَّرى جِسْماً ليــأْكلَهُ

أَسْمَحْ بجِسْمِي له يفديكَ تعظِيمِى

وهو يقول في قصيدة أخرى (رقم ٤٧)[2] :

وكَوْكَباً لِيَ منهمْ كانَ مَغْرِبُهُ   قَلْبِي ومَشْرِقُهُ مابينَ أَطْواقِي
اللهُ يعْلمُ أَنِّيَ ما أُفــارِقُهُ   إلَّا وفى الصَّدْرِ منِّى حَرُّ مُشْتاقِ

وقد وجه ابن شهيد في ذلك الوقت أيضا ، رسالة (القصيدة رقم ٢٣)[3] الى أصدقائه الذين كانوا يراسلونه ابان مرضه بانتظام والرسالة حديث مباشر عن فكرة موته ، الذى لم يعد لديه أدنى شك في أنه لا بد آت وشيكا :

هذا كِتابِي وكفُّ المَوْتِ تُزْعِجُنى

عن الحَيــاةِ وفى قَلْبِي لكم ذِكَرُ

وسرعان ما تسلطت هذه الفكرة ، فكرة موته ، على عقله تماما ، فهو يرى نفسه في قصيدة رائعة (هى القصيدة رقم ٢٨)[4] وهو يقترب من عالم الأموات :

وما أَنا إلَّا رَهْنُ ما قَدَّمَتْ يَدى   إذا غادَرُونِى بينَ أَهْلِ المَقَابِرِ

وفى نهاية تلك القصيدة يتذكر الشاعر عمرا ، فيزيد ذلك من عذابه :

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .
(٢) » » » » ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .
(٣) » » » » ص ٢٨٥ .
(٤) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٥ — ٢٨٦ .

وليسَ عَجِيبًا أنْ تدانَتْ مَنيَّتى يُصَدِّقُ فيها أَوَّلِى أَمْرَ آخِرِى
ولكنْ عَجِيبًا أَنْ بينَ جَوَانِحِى هَوًى كشَرارِ الجَمْرةِ المُتَطَايرِ

ولقد ظل ابن شهيد فى شهور المرض الأخيرة هذه ، قادرا على الحركة ، ولكنه قبل موته بعشرين يوما أصابته نكسة ثانية شلت كل حركة له فكان يحمل على محفة لا يحتمل أن يحرك لتألمه الشديد ، ولم يكن يستطيع أن يتقلب فى فراشه ، فجافاه الصبر ولحقه اليأس ، وفكر فى الانتحار [1] ، ولكنه تخلص من فكرته هذه بعد مجالدة ونضال مع نفسه ، والقصيدة (رقم ٥٥) [2] التى كتبها بعد ذلك مباشرة تسجل مراحل ذلك النضال :

أَنُوحُ على نَفْسِى وأَندبُ نُبْلَهَا
إذا أَنا فى الضَّراءِ أَزمعتُ قتلَهَا
رَضِيتُ قَضَاءَ اللهِ فى كلِّ حالةٍ
علىّ وأَحكاما تَيَقَّنْتُ عدلَهَا

والقصيدة تنتهى بأبيات من أجمل ما كتب ابن شهيد من شعر :

عليكم سلامٌ من فَتًى عَضَّه الرَّدَى
ولم يَنْسَ عَيْنًا أَثْبَتَتْ فيه نبْلَهَا
يُبِينُ وكَفُّ المَوْتِ يَخْلَعُ نَفْسَه
وداخِلُهَا حُبٌّ يهوِّنُ ثُكْلَهَا

والبيت الثانى من هذه القصيدة مثال لتلك القدرية القاسية التى يقول بيريس [3] عنها انها ليست اسلامية فحسب ، وانما هى أيضا ايبيرية ، ولذلك يقف ابن شهيد وكأنه أحسن مثال بارز لمثله الأدبى الأعلى ، وهو الشاعر الأسبانى العربى وليس الشاعر العربى فى اسبانيا ؛ ويقول الباحث نفسه عن هذه القصيدة « يشعر

(١) الذخيرة : قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨١ — ٢٨٢ ؛ المطمح ص ٢١ .
(٢) « « « « ص ٢٨٢ .
(٣) La Poésie andalouse ص ٤٦٧ .

المرء بحدة العذاب الشديد تنفذ خلال هذه الأبيات ، وهذا العذاب المضنى ، رغم زيادته عن الحد ، لا يفقد الشاعر تحكمه في نفسه ، [1] . ويرى بيريس أن أبا عامر يعيد الى الحياة في القرن الحادى عشر ، تلك الرواقية الخلقية الايبرية التى كانت عند سينيكا في القرن الاول ، وتلك نظرية يثبتها ، لا ذلك الصبر والجلد اللذان تحمل بهما ابن شهيد مرضه الأخير فحسب ، وانما نرى ما يؤيدها في كل قصيدة من قصائده تقريبا .

ومن حسن الحظ أن الفالج الذى أصاب ابن شهيد لم يصب كل ملكاته بالعجز ، فقد ظل ذهنه وظلت أعضاء الكلام عنده تعمل كما كانت ، حتى أنه كان يجد بعض العزاء وبعض التخفيف من عذابه وألمه في الحديث مع أصدقائه وفي التأليف . ولقد أعمل فكره كثيرا في طبيعة مرضه ، وفي القصد من دائه ومن عذابه ، فقوى اعتقاده بأن الله سبحانه وتعالى أصابه به حتى يكفر عن ذنوبه عن طريق الشعور بالألم . وهنا نرى بوضوح مرة أخرى ذلك التوتر العصبى في شخصيته المتناقضة المعقدة ، فبالرغم من أنه لم يعد قادرا على ركوب الذنوب ، فان الشهوة العارمة لم تزل تقض مضجعه . ويقول ابن خاقان : « وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه وطلاقه من ذنب كان قنيصه » [2] . والشاعر نفسه يقول (القصيدة رقم ٧٤) [3] :

إنِّى إلى اللهِ مِن عُقْبَى بُليتُ بها   جَرَى بِها الحكمُ والأمْرُ الالٰهِيُّ

وفى هذا الجو وهذا المحيط ، ألف ابن شهيد ، وقد طهرته الآلام ، القصيدة التى تعتبر آيته العظمى . وهذه القصيدة التى يخاطب فيها صديق عمره ابن حزم، تعتبر واحدة من عدد قليل يعد على الأصابع من أروع القصائد العربية التى كتبت فى اسبانيا . فان عملية انكار الذات والتغلب على النفس قد اكتملت عند ابن شهيد، وانتصر فى جهاد نفسه ، فهو يشعر وكأنما هو يتحدث من عالم هدوؤه غريب نادر، وفى أسلوب حى مرن قوى ولكن فى جمال رصين تبدأ القصيدة (رقم ٤٧) :

ولمَّا رأيتُ العَيْشَ ولَّى برأسِه

وأيْقَنْتُ أنَّ المَوْتَ لا شَكَّ لاحقِي

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦٨ .

(٢) ابن خاقان : المطمح ص ٢١ .

(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

تَمنَّيتُ أنى ساكنٌ فى غيابةٍ
بأعْلى مَهَبِّ الرِّيحِ فى رأسِ شاهِقِ

أُدَرُّ سقيطَ الحَبِّ فى فَضْلِ عِيشةٍ
وحيدًا ، وحِسىُ الماءِ ثِنْىُ المَفالِقِ[1]

والشاعر يطلب من ابن حزم أن يلقى تأبينه ، ثم يستمر ويشتد بالتدريج انفعاله ، حتى يكاد يصل الى أعلى درجات اللظى والوهج :

وحَرِّكْ به باللهِ مِن أهْلِ فَنِّنا
إذا غَيَّبُونى كلَّ شَهْمٍ غُرانِقِ[2]

ولكن الشاعر على أى حال يتحكم فى نفسه ، رغم انفجار عواطفه ، وانفعالاته ، والقصيدة فى بيتها الأخير تتحول وتنتهى الى نسق أسوى من نغمها ، عندما يرج ذاكرته ذكر الموسيقى ، ويدعو الله أن يغفر له ذنوبه :

وإنِّى لأرْجُو اللهَ فيما تَقَدَّمَتْ
ذُنوبِى به مما دَرَى مِن حَقائِقِ[3]

وقصيدة ابن حزم [3] ردا على رسالة ابن شهيد اليه أضعف كثيرا من قصيدة ابن شهيد ، كما هى الحال فى عامة شعره :

أبا عامرٍ ناديْتَ خِلًّا مُصافِيًا
يفدِّيكَ مِن دُهْمِ الخُطُوبِ الطَّوارِقِ

وألفيتَ قَلْبًا مُخْلِصا لكَ ، ممْحضًا
بوُدِّكَ ، موصُولَ العُرى والعَلائِقِ

---

(۱) المرجع السابق قسم ۱ مجلد ۱ ص ۲۸۲ .
(۲) الحميدى : الجذوة ص ۱۲٥ .
(۳) الذخيرة قسم ۱ مجلد ۱ ص ۲۸۲ .

شَدائِدُ يجلُوها الإلهُ بلُطْفِه

فلا تأْسَ إنَّ الدَّهْرَ جَمُّ المضائِقِ

ورُبَّ أَسِيرٍ فى يَدِ الدَّهْرِ مُطْلَق

ومُنْطَلِق والدَّهْرُ أسوقُ سائِقِ

سَفِينَةُ نُوحٍ لم تضِقْ بحُلُولِها

وضاقَ بهم رَحْبُ الفَلا المُتَضايِقِ

فإنْ تَنْجُ قلتُ : الحمدُ لِلّهِ مُخْلِصًا

فمِنْ أعْظَمِ النُّعْمَى بقاءُ المُصَادِقِ

ومن المحتمل أن قصيدة ابن شهيد الاخيرة كانت مشكلة [1] شغلت بال ابن شهيد نفسه ، تماما كما تشغل القصيدة الأخيرة بال كل شاعر . ولو أن الشاعر لا يصل فى قصيدته هذه الى القمم التى وصل اليها فى آيته الكبرى ، فانها هى (القصيدة رقم ٤٢) [2] أيضا عمل قيم يختم بها حياته ويجعل منها كلا فنيا متكاملا والقصيدة تبدو كوداع يوجهه الشاعر الى أصدقائه ، ولكن موضوعها الحقيقى هو عمرو ، ويظهر أن حبه لعمرو قد عذبه وأضناه حتى آخر أنفاسه كما يظهر من البيت الأخير ، وهو بيت فى الحق مريع :

إنِّى لأَرْمُقُهُ والمَوْتُ يَضْغَطُنِى فَأَقْتَضِى فُرْجَةً مُرْتَدَّ أرماقِى

ومن المحتمل أن يكون هذا هو الوقت الذى بين فيه رغباته بخصوص جنازته : فقد طلب أن يدفن بجوار صديقه أبى مروان الزجالى فى بستان هذا الأخير ، الذى كان قد وهبه لأهل قرطبة يستعملونه متنزها عاما ، هو المشهور بحير الزجالى [3] : وكان موقعه الى الغرب من باب اليهود [4] ، فى الجانب الشمالى من

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٣) » » » » ص ٢٨٧ ؛ أنظر بيريس La Poésie andalouse ص ١٢٨ — ١٢٩ والزجالى من أسرة أصلها من البربر (انظر ابن حيان فى النفح ج ٥ ص ٨٢) .

(٤) ابن خاقان : القلائد ص ١٥٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٢٤ .

سور المدينة كما هو ظاهر في تخطيط المدينة المرفق بهذا البحث • وهذا الموقع الآن قد غطته مباني قرطبة الحديثة ، وهو يقع بين طريق القائد الأعظم (Avenida del Generalisimo) وميدان كوليس • ولا زال جزء من السور الذي كان به « باب اليهود » ، باقيا حتى الآن تحجبه بعض المباني الحديثة خلف طريق القائد الأعظم • ولقد توالت على تلك البوابة أسماء عديدة ، قبل أن تهدم في عام ١٩٠٣[1] • ولا زال أحد أبراج هذه البوابة قائما ولكن في حالة بلى وخراب ، مشيرا الى موقع الباب القديم ، ويظهر جزء منه مدفونا وسط مبان تافهة • ولقد سمي « باب اليهود » فيما بعد بباب الهدى [2] ، ثم باب ليون ، ثم باب طليطلة ، وأخيرا في العصور المسيحية سمي بباب « أوساريو » [3] ، أي باب « مكان حفظ عظام الموتى » وفي هذا اشارة الى المقابر التي كانت تقع عبر الباب ، خارج السور • وقد كتب ابن شهيد عنها بيتين من الشعر (القصيدة رقم ٤٠) [4] :

لقد أطْلَعُوا عند بابِ اليَهُو . دِ شَمْسًا أَبَى الحُسْنُ أَنْ تُكْسَفَا

تَراهُ اليَهُــــودُ على بابِها أَميرًا فَتَحْسِبُهُ يُوسُفَــا

وبالشرق من البوابة كانت مدافن اليهود في مقبرة « قونة راشو » ، وقد كشفت أعمال الحفر والتنقيب في ذلك الموضع عن قبور كثيرة ، بينما كانت تقع الى الغرب منها في موقع به مقبرة رومانية « مقبرة أم سلمة » [5] الاسلامية الشهيرة ، التي كان في قلبها قبر الاميرة التقية التي سميت المقبرة باسمها [6] • وبجانبها من الغرب كان الطريق الذي يقود الى حي « الرصافة » الأرستقراطي • ومن المحتمل أن « باب اليهود » هذا ، كما يظن ليفي بروفنسال[7] ، وكان يقود الى شارع

---

(١) ليفي بروفنسال : Histoire de l'Espagne musulmane ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) النفح ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) ليفي بروفنسال : Histoire de l'Espagne musulmane الجزء الثالث ص ٣٦٧ — ٣٦٨ ؛ وكذلك نفس المؤلف : L'Espagne Musulmane ٢٠٠ ؛ أوكانيا خيمينث Las Puertas de la Medina de Cordoba في Al—Andalus ج ٢ (١٩٣٥) ص ١٤٩

(٤) ابن خاقان : القلائد ص ١٠٣ .

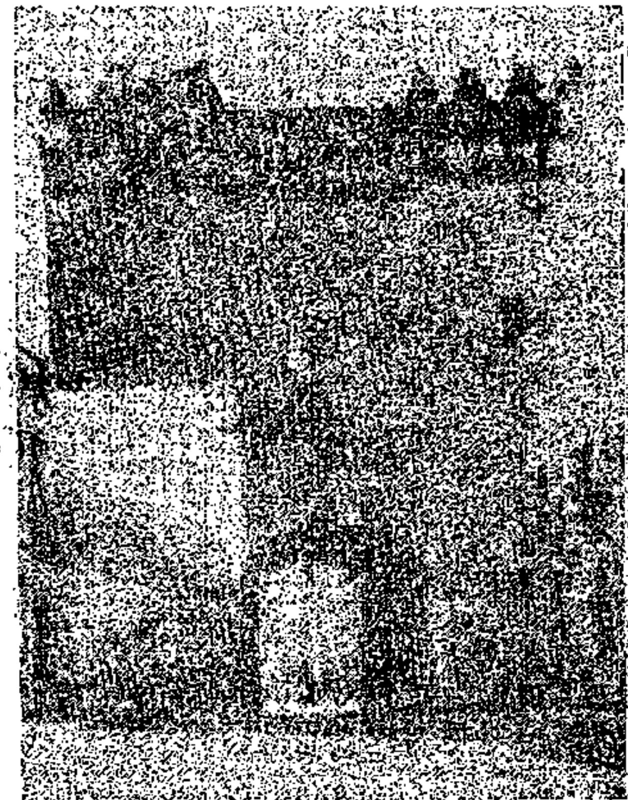
(٥) ويقول الحميدي (الجذوة ص ١٢٧) نقلا عمن يدعى بأبي محمد علي بن أحمد (وهو ابن حزم) إن ابن شهيد قد دفن في مقبرة أم سلمة . ومن رأينا أن هذا الخلط بين مقبرة أم سلمة ومدفنه في حير الزجالي ، مرجعه الى أن الموقعين متجاوران. أما شهادة الضبي ، وشهادة ابن دحية فلا قيمة لها البتة ، فان قصة حياة ابن شهيد عندهما منقولة حرفيا من الجذوة .

(٦) ابن حزم : جمهرة ص ٩٦ .

(٧) Histoire de l'Espagne musulmane ج ٢ ص ٣٦٨ .

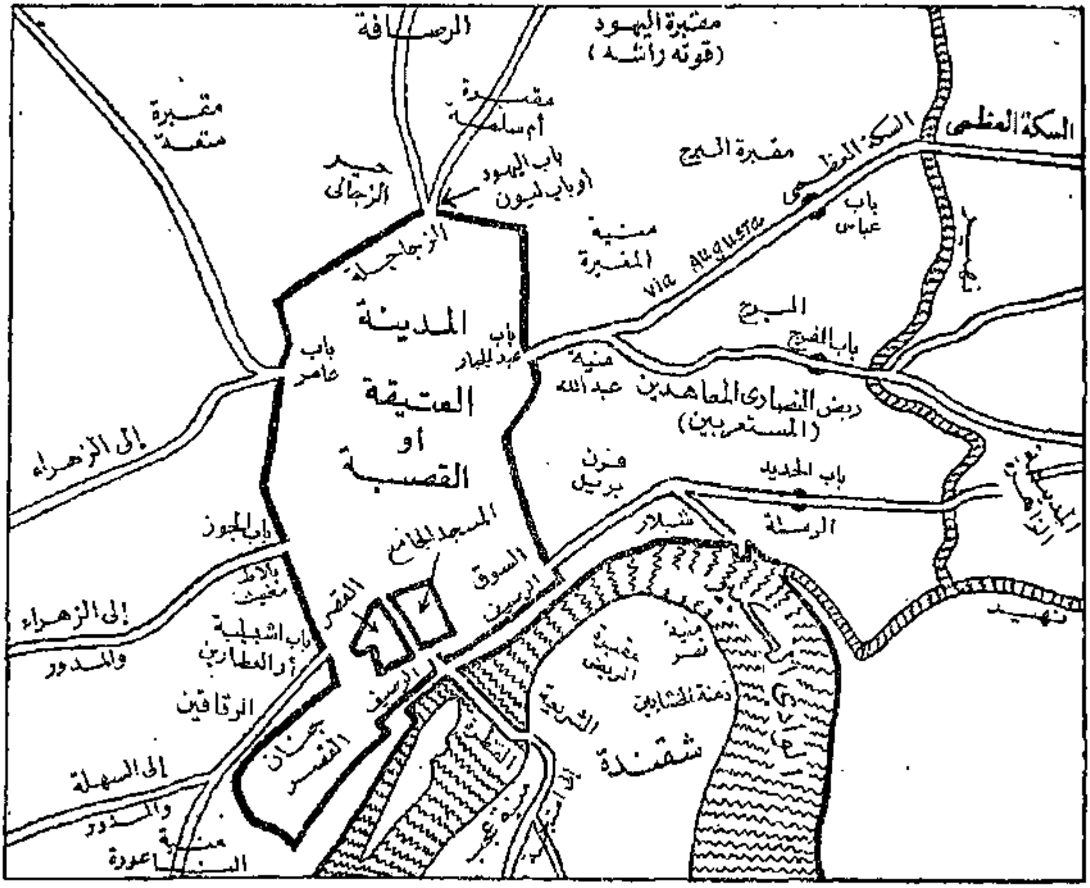
المدينة الرئيسى ، كان يقود أيضا فى عصر الخلافة الى حى يهودى أخر غير الحى اليهودى الذى كان يقع بين باب الجوز والمسجد الجامع •

وبعد أن بين ابن شـــهيد مكان مقبرته ، طلب أيضا أن يهـال التراب على جثمانه ، فلا يقام فوقه قبو من طوب نىء أو حاجز من أخشاب ، وطلب أن يقوم أبو عامر الحصار بمراسم الدفن [1] • ولما كنا نعرف أن القصيدة رقم ٤١ آخـــر ما كتب من شعر ، فان الشعر الذى طلب الآن أن يكتب على شاهد قبره ، لا بد أن يكون مكتوبا فى تاريخ قديم •



باب اليهود

(١) الحميدى : جذوة ص ١٢٧ .



خريطة قرطبة فى القرن العاشر الميلادى

منقولة عن ليفى بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية

ومهما كانت الطريقة التي عاش بها أبو عامر ، فان موته كان مثالا رائعا ، ويقول الحميدى [1] : وهو يدعو الله عز وجل ، ويشهد شهادة التوحيد والاسلام، ويضيف ابن بسام [2] الى ذلك أن أبا عامر « كان كثيرا ما يخشى صعوبة الموت ، وشدة السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب الى الله أن يرفق به، ويكثر من ذكره » . وقبض الله نفسه ضحى الجمعة ، التاسع والعشرين من جمادى الأولى عام ٤٢٦ (١٢ ابريل عام ١٠٣٥) [3] ، وكان ابن شهيد فى الثالثة والاربعين من عمره .

ولما أبلغ الرشيدى خبر موته الى ابن الحناط ، صديق الشاعر الحميم ، بكى وارتجل هذين البيتين [4] :

لمَّا نعَى النَّــاعِى أبا عامرٍ ... أيقَنْتُ أنِّى لَسْتُ بالصَّابِرِ
أوْدى فتَى الظَّرْفِ وتِرْبُ النَّدَى ... وسَيِّدُ الأوَّلِ والآخِــــرِ

وفى اليوم التالى ، وورى جثمانه الثرى فى الحير . ولم تحترم رغباته فى دفنة متقشفة ، بل كانت جنازته ودفنه مما يملأ قلوب الملوك . وأقيم تاووس مشيد ثم أرسل فى طلب الحصار ليقوم بمراسيم الدفن ، فلم يكن موجودا ، وقام بها بدله حاكم قرطبة أبو الحزم بن جهور [5] بنفســه . ويقول ابن بسام [6] : « ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعــويل ، وأنشد على قبره من المراثى جملة موفورة لطوائف كثيرة » ، وقد وصلتنا أجزاء من قصيدتين من هذه المراثى ، أولاهما من شعر أبى الاصبغ القرشى ، والثانية من شعر أبى الحفص بن برد الاصغر ، وكذلك بقى لنا جــزء من مرثية أخـــرى كتبها بعد ذلك بمــدة أبو الأصبغ القرشى [7] . ولو أن اسم ابن حزم لم يذكر فى هذا المجال ، إلا أن لنا أن نفرض أنه قام بالقاء خطبته فى الجناز كما وعد . وهناك فى قبره تركوه ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٧

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٨

(٣) الذخيرة : نفس الموضع السابق ؛ الحميدى : جذوة ص ١٢٧

(٤) انظر النفح ج ٤ ص ٢٤٩ . ويقول ابن سعيد (المغرب ج ١ص ١٢٣) إن ابن الحناط سئل مرة عن هشام الثالث ، فأجاب « يكفى من الدلالة على اختياره أنه استكتبنى واتخذ ابن شهيد جليسا » وكان ابن الحناط أيضا أصم كصديقه ابن شهيد (المرجع السابق ج ١ ص ١٢٣)

(٥) لهذه التفاصيل انظر الحميدى : الجذوة ص ١٢٧ .

(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٨ ..

(٧) انظر ملحق س

كما يقول جارثيا جوميز [1] ، فى لفظ جميل « ليلى جسده تحت الزهور » .

ولربما كان شكل القبر من ذلك النوع الذى يسمى « بالشاهد » ، ذلك النوع المكون من لوح قائم الزاوية بالتركيبة أو بدونها ، وكان مصنوعا من الرخام [2] ، ونكاد نؤكد أنه كان رخاما أبيض ، ولربما كانت الكتابة فوقه بماء الذهب على أرضية لازوردية زرقاء . وكانت الكتابة التى حفرت على القائم هى الأبيات التى سبق للشاعر أن ألفها بنفسه ، كما كانت العادة فى تلك الأيام [3] . وبالرغم من أن هذه الأبيات فيها من الزخرف والتانق ما هو فوق العادة ، الا أنها تتبع نفس النسق الذى تتبعه كتابات القبور الأندلسية فى العادة كما بيّن ليفى بروفنسال [4] :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون [5] . هذا قبر أحمد بن عبد الملك شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وان الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور [6] . مات فى جمادى الأولى عام ست وعشرين وأربعمائة [7] » . ثم يأتى بعد ذلك النقش التذكارى الحقيقى (القصيدة رقم ١٧) [7] على شكل محادثة بينه وبين صديقه . فبدأ بابن شهيد يخاطب صديقه الزجالى ، فيقول له :

يا صاحِبِي قُمْ فَقَدْ أَطَلْنَا　　أَنحن طولَ المَدَى هُجُودُ

وعلى لسان الزجالى ، يضع ابن شهيد أبياتا تبين عمق ندمه هو واستغفاره . ثم ينتهى بالدعاء :

فقالَ لِي : لن نَقُومَ منها　　مادامَ من فَوْقِنا الصَّعِيدُ

....　　.......................

يَاربِّ عَفْوًا فأَنْتَ مَوْلًى　　قَصَّرَ فى أَمْرِكَ العبيدُ

(١) Poemas arábigoandaluces ص ٢٩
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٧ .
(٣) Histoire de l'Espagne musulmane ج ٣ ص ٤٠٧ .
(٤) Inscriptions Arabes d'Espagne ج ١ ص
(٥) القرآن الكريم آيات ٦٧ — ٦٨ سورة ص .
(٦) القرآن الكريم آية ٧ سورة الأعراف .
(٧) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٧ .

ويصف لنا ابن خاقان[1] الحديقة التي رقد فيها الصديقان ، فيقول « وهذا الحير من أبدع المواضع وأجملها ، وأتمها حسنا وأكملها ، صحنه مرمر صافي البياض ، يخترقه جدول كالحية النضناض ، به جابية ، كل لجة فيها كابية ، وقد قرنست الذهب والأزورد سماؤه ، وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه ، والروض قد اعتدلت أسطاره ، وابتسمت من كمائمها أزهاره ، ومنع الشمس أن ترمق ثراه ، وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه ، شهدت به ليالي وأياما كأنما تصورت من لمحات الأحباب ، أو قدت من صفحات أيام الشباب ، وكانت لأبي عامر بن شهيد به فرج وراحات ، وغدوات وروحات ، أعطاه فيها الدهر ما شاء ، ووالى عليه الصحو والانتشاء ، وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه أليفي صبوة ، وحليفي نشوة عكفا فيه على جريا لهما ، وتصرفا بين زهوهما واختيالهما ، حتى رادهما الردى ، وعداهما الحمام عن ذلك المدى ، فتجاورا في الممات ، تجاورهما في الحياة ، وتقطعت عنهما وارقات تلك الفيئات ، والى ذلك العهد أشار وبه عرّض ، وبشوقه صحيح وما مرض ، حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه وأمر أن يدفن بازائه ويكتب على قبره ... » ولم يكن ابن خاقان وحده الذي يكثر من التردد على هذا المكان الجميل ، وانما كان من بين الزوار الدائمين أبو بكر بن القبطرنة، وزير بطليوس ، الذي حضر فيه حفلات عدة يصفها في نشوة وسرور[2] :

وَاذْكُرْ لهم زَمَنًا بِهِ نَسِيمُهُ ... أُصُلاً كنفْثِ الراقياتِ عَلِيلاَ

مَوْلى ومَوْلى نِعْمَــةٍ وكرامةٍ ... وأَخا إِخاءٍ مُخْلِصًا وخَلِيلاَ

بالحَيْرِ لاعَبَسَتْ هُناك غَمامةٌ ... إِلاَّ تُضاحِكُ إِذْ خرًا وجَلِيلاَ

يَوْمًا ولَيْلاً كانَ ذلِكَ كُلُّهُ ... سَحَرًا وهذا بكرة وأَصِيلا

لا أَدْرَكَتْ تِلْكَ الأَهِلَّةَ دَهْرَها ... نَقْصًا ولا تلكَ النُّجُومُ أُفُولاَ

ومن غير المحتمل أن يكون « الحير » اذن متنزها عاما بمعنى الكلمة ، لاستعمال كافة الناس ، وانما الأرجح أن تكون بلدية المدينة قد حفظته متنجعا خاصا للطبقة الراقية من مجتمع قرطبة[3] .

---

(١) القلائد ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢ — ١٥٣ . أنظر ياقوت (معجم البلدان ج ٢ ص ٣٧٤) نفيه نص يختلف عن نصنا هذا اختلافا يسيرا .

(٣) أنظر بيرس La Poésie andalouse ص ١٢٩ .

ولم يترك ابن شهيد ذرية ، وبموته انتهت سلالة أبيه [1] . ويبدو أنه كان مفردا لم يتزوج ، وليس ذلك بغريب ، ففى قصائده ما يوحى بأنه كان ينتمى الى ما يسمى بالجنس الثالث . ومع أن مضاجعة الجنس ذاته ، والولع بالغلمان كان متفشيا فى المجتمع العربى تفشيه عند اليونان وعند الأزتيك أى قدماء المكسيكين ، فان هذه العادة تستحق الاهتمام خاصة عند الشعراء ، فعلماء النفس يدعـون أن العبقرية دائما تتصف بازدواج الجنس ، ففى الأديب من صفات المرأة أكثر مما فى غيره من الرجال . ولقد كان من حظ هذا الشاعر ، الذى اعترف به الجميـع كأعظم من أنبتت الأندلس من شـعراء حتى ذلك الوقت ، أن يموت بدون ذرية حتى فى ميدان الأدب ، ويقول الحميـدى[1] ، « وكان حين وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة ، لم يخلف لنفسه نظيرا فى هذين العلمين جملة » . ولعل ما حدث أمر طبيعى لا غرابة فيه ، اذ كان شاعرنا شاعرا شاذا فذا لا قياس عليه . ويقص علينا ابن حيان[2] أن « لم يوجد له ـ رحمه الله ـ فيما بلغنى بعد موته كتاب يسـتعين به على صناعته » ، وقول ابن حيان يبدو عليه الصـدق اذا تذكرنا أن ابن شـهيد اشتهر بنفوره الشديد من مدعى العلم والعاكفين على القراءة والحفظ دون فهم . واربما أصاب الحميدى دون قصـد كبد الحقيقة أكثر مما كان يدرى ، اذ كان مولد الأدب العربى الاسبانى الأصيل أملا قضى عليه موت ابن شـهيد قبل أوانه ، قضى عليه الخراب الذى ألحقته الفتنة بحياة جيله ، وكانت الأمجـاد الثقافية التى أبدعها عصر ملوك الطوائف بعد ذلك ، وهى بلا جدال ذروة الشـعر العربى فى اسبانيا ، الا انها كما يقول غومس[3] ، ذروة مزيفة كاذبة .

---

(1) الجذوة ص ١٢٧ .
(٢) فى الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٦٢ .
(٣) Poesia arábigoandaluza ص ٦٦ – ٦٨ .

(٦)

آراء ابن شهيد

« ومن الضرورى هنا فى البداية أن نذكر بأن الشعر الغنائى الأندلسى عامة، الا فى بضع قصائد قليلة ، فقير غاية الفقر من الناحية العقلية الفكرية ، حتى ان المتنبى الذى كان تأثيره عظيما ، لم يكن أثره من ناحية فكره ، وانمــا من ناحية براعته الفنية الفائقة . ولقد كان الشعراء المسلمون فى الأندلس ، مثل زملائهـم من شعراء المشرق ، أسرى مكبلين بقوالب شكلية جامدة ، فلم يتمكنوا من تغيـير شىء فى صلب الشعر ، بل غيروا فيما يحيط به ، فحاولوا استحداث الجـديد فى الشعر ، باستخلاص الرحيق فى أنابيق من البلاغة والفصـاحة زادت حتى أثقلت الشعر الأندلسى بما فيه من تلك الزخارف الشعرية المنمقة التى تشبه زخارف الفن العربى الاسلامى الهندسية ، والتى تكاد تشبه قصر الحمراء ولكن فى بناء شـامخ من الألفاظ . وهذه القصائد الأندلسية المترفة على غناها وتعقيدها تفتقـر عامة الى التنظيم الفكرى العقلى ، وتفتقر أحيانا حتى الى الشعور الانسانى ، حتى لتكاد تكون مجرد نظم زخرفى خالص ، ليس فيه تلك المرونة والتلطف والدمائة اللينة التى هى صمة القصيدة الاتباعية القديمة . وهذه القصائد مثقلة بصور الخيال ، بل هى مرهقة بها الى درجة لم يتيسر معها حفظ أغلبها أو تقييمه ككل كامل » .

ولعل هذا التعليق من يد باحث اسبانى كبير[(١)] يجعل من أى فصل يكتب عن آراء أى شاعر أندلسى أو أفكاره ، أمرا يبدو فى طياته تناقض بين . ولكننا نلاحظ أنه يستثنى فى تعليقه بعض الشـعراء ، وابن شهيد واحد من هؤلاء ، فان ذلك الباحث يقول فى مكان آخر [(٢)] « أما ابن شهيد (٩٩٢ ـ ١٠٣٥) الشاعر الناقد ، فهو المفكر العقلى الخالص ، الذى لا يتخذ ، بفضل منزلته وأصله النبيل ، من ميدان الأدب حرفة للتكسب ، وانما يجد فى الأدب فنا خالصا للتعبير عن طبيعة نفسه . ولشعره فى بعض الأحيان رنة من الأسرار الغامضـة ، وكأنها من نتاج المصور

---

(١) غرسية غومس : Poemas arábigoandaluces ص ٢١ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٩ .

الحديثة » • وعبارة (فى بعض الأحيان) تحديد لازم لا غناء عنه ، فان غرسية غومس بحاسته النقدية النفاذة ، وفطنته المعروفة قد أدرك أن ابن شهيد وشعره يمثلان استثناء « جزئيا » من التعميمات التي أوردها في تعليقه هذا •

من أي ناحية كان ابن شهيد ، استثناء من القاعدة العامة ؟ والى أي حد من ذلك وصل ؟ لا بد لنا قبل الاجابة على هذين السؤالين ، أن ندرس بدقة نظريات ابن شهيد الأدبية ، ففى ابن شهيد ناحيتـــان متباينتان ، فى شعره من ناحية ، وفى نثره من ناحية أخرى ، وهو في نثره أكثر أصالة بلا جدال منه في شعره ، اذ كان أدبه في الواقع تطبيقا جـــزئيا لنظرياته • وليس من شـك فى أن نظرياته كانت نظريات ثورية ، متقدمة جدا عن آراء أي عصر قبل هذا القرن العشرين •

والحق أن هذه القضية ، قضية الاختلاف بين العصور في نظرتها الى الأدب، أو بمعنى آخر ، نظرية التجديد الدائم فى الأدب ، انما ظهرت بوضوح أول مرة عند ابن شهيد ، فهو يقول ، « وكما أن لكل مقام مقالا ، فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطـابة ، وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ولا تهش لسواه • وكما أن للدنيا دولا ، فكذلك للكلام نقل وتغاير في العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ؟ ••• فكل شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تمجه الآذان ، والتوسط في الأمر أعدل ، ولذلك فضل أهل البصرة صريع الغواني على أبي تمـام ، لأنه لبس ديباجة المحدثين على لأمة العرب ، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب»[1]• ونتيجة كل هذا ، هو أن الأندلس يجب أن يكون لها أدبها الخاص الذي يناسب طبيعتها • ولكي يبرهن على أن هذا في حيز الامكان ، كتب ابن شهيد « رسالة التوابع والزوابع » ، فانه في رحلاته ، يلقى القصيدة تلو القصيدة من شعره يقارع بها عمالقة الأدب العربي في المشرق ، فيغلبهم أحيـانا ، أو يسـتولي على اعجابهم أحيانا • وقد سعى ابن شهيد سعيه لخلق أدب أصـيل يكون أندلسيا في روحه وليس فقط في موطنه ، مما قاده الى نبذ الاتجاهات الأدبية الواردة من بغداد • ولعل ابن شهيد اذا استثنينا انتـاج ابن حزم الشعري الضئيل ، هو نفسه المثـل الأوحد للمعارضة التي تقف في وجه المدرسة الاتباعية الحديثة في ذلك العصر • ولقد كاد انتصار تلك المدرسة أن يكون أمرا محتوما ، اذ جاء ظهور شعر عربي

---

(١) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

يستحق أن يسمى شعرا في الأندلس ، معاصرا لتلك الأيام التي وصلت فيها المدرسة الاتباعية في المشرق الى أوج شهرتها .

الى أي حد ومن أية ناحية أثر ذلك في تحديد موقف ابن شهيد النقدي ؟ لقد أدرك ابن شهيد أن طغيان هذه المدارس ، وأن حب العربي لسمة العلم لذاتها ، وولعه بالحماسة التقليدية ، كلها أمور تمنع ظهور أدب أندلسي أصيل . ولهذا السبب بالذات نراه يهاجم بشدة كل المعلمين ، حتى علماء النحو المشهورين من أمثال سيبويه[1] ، ويهاجم الكتب . ومن رأيه أن الله تعالى هو الذي يهب الفصاحة للانسان ، وليست الكتب ولا المعلمين ، وأن « الشعر موهبة طبيعية تولد من الانسان ولا تكتسب » ، وتلك بديهية في الغرب ، ولكنها في العالم العربي ليست بهذا القدر من الوضوح . ويؤيد ابن شهيد نظريته بالاشارة الى القرآن وحكمه القاطع ، فيصف لنا في « الرسالة »[1] كيف أنه في رحلته السماوية يقابل واحدا من هؤلاء المتعالين المتقطرسين ، فيدور بينهما الحديث التالي : فقال لي : دع عنك . أنا أبو البيان . قلت : لا . والله انما أنت كمذن وسط ، لا يحسن فيطرب، ولا يسيء فيلهي . قال : لقد علمتنيه المؤدبون . قلت : ليس هو من شأنهم ، انما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان[2] » .

ولم يكن ابن شهيد متفائلا في نظرته الى مستقبل اللغة العربية في الأندلس ، فقد كان يرى أن الأندلس ، لا يمكنها أبداً ، بدون الأسس اللغوية القديمة القوية أن تقف على قدم المساواة مع المشرق العربي ، وتتحداه . وحينما سئل عن ذلك في رحلته أجاب في صراحة ، « قال : فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . انما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط . فصاح : انا لله ، ذهب العرب وكلامهم ! »[3] .

ويمضي أبو عامر في جدله هذا فيقول بأن المسئولية في الحالة المؤسفة التي وصلت اليها اللغة العربية انما ترجع الى سوء مستوى مدرسي اللغة في قرطبة .

وفي فقرة لاذعة ، غنية بتلك الصور الخيالية الغريبة التي كان مولعا بهما ، يكشف لنا ابن شهيد دقائق الحال : « وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على

---

(١) نفس المرجع ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٣٤ .
(٢) القرآن الكريم ، آيات ١ — ٤ ، سورة الرحمن .
(٣) الذخيرة قسم ١ ، مجلد ١ ، ص ٢٢٩ .

أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات عن اللغة ، يحنون على أكباد غليظة ، وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن حمئة ، وأذهان صدئة ، لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في أنوار البيان ، سقطت اليهم كتب في البديع والنقد فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان ، فهم يصرفون غرائبها فيما يجرى عندهم تصريف من لم يرزق آلة الفهم ؛ ومن لم تكن له آلة الصناعة ، مما هي مخصوصة بهـا ، لا تقوم تلك الصناعة الا بتلك الآلة ، فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور ، لتوتد رسغه ، واستدارة حافره ، ولا له بنان يجس به على دستبان ، ولو جاز أن يكون حمار يغني :

ما بالُ أَنْجُمِ هذا اللَّيْلِ حائِـرةً
أَضَلَّتِ القَصْدَ أَم لَيسَتْ على فَلَكِ ؟

وشبهه ، من أجل أن له حنكا ولسانا وقصبة رئة ، لما جاز أن يوقع بالمضراب على الأوتار ، ويتمم بجس الأنامل ، ويرخى الوتر في مجرى السبابة والبنصر ، فيلبلب بنشيده ، ويولول في ضربه على بسيطه .

فهذه حال العصابة من المعلمين : يدركون بالطبيعـة ، ويقصرون بالالة ، وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة من فساد الآلة القابلة للروحانية ، والخادمة لآلات الفهم ، الباعثة لرقيق الدم في الشريانات الى القلب ، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ ونقصانها عن المقدار الطبيعي ، ومما يعين على ذلك بالحدس وطريق الفراسة فساد الآلة الظاهرة ، كفرطحة الرأس وتشفيطه ، وتتـوء القمحدوة ، والتواء الشدق ، وخزر العين ، وغلظ الأنف ، وانزواء الأرنبة [1] » .

وهذه الفقرة برهان قاطع على كرهه الشديد لادعاء العلم والمتعالمين ، وذلك ظاهر أيضا في شعره (القصيدة رقم ٥٤) :

وناقِلِ فِقْـهٍ لم يَرَ اللهَ قَلْبُه   يَظُنُّ بأَنَّ الدِّينَ حِفْظُ المَسائِلِ

وفي مقابل ادعاء المتعـالمين ، يضع ابن شـهيد دور الذكاء والفطنة : « أول أدوات الكاتب العقل ولا يكون كاتب غير عاقل [2] » ، وهـو يرى أن حالة الأديب

---

(١) نفس المرجع ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .
(٢) نفس المرجع ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٠٨ .

تتوقف على طبيعة الأديب ، ولا تتوقف كما يرى المدرسيون والمتعالمون على سعة اطلاعه وكمال علمه بالنحو والصرف . والأدب عنده نتاج معقد ، يمتزج فيه بناء جسم الأديب ، وتركيب ذهنه وعقله . وابن شهيد يناقش هذه الآراء بالتفصيل ، مما يقوده الى بحث في طبيعة علم الجمال ، ينتهى منه أخيرا الى القول بأن طبيعة الجمال غير قابلة للتحليل ، فيقول : « واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو ، بل بالطبع مع وزنه من هذين ، ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه من جسمه ، فمن كانت نفسه فى أصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعا روحانيا ، يطلع صور الكلام والمعانى فى أجمل هيئاتها ، وأروق لباساتها ، ومن كان جسمه مستوليا على نفسه ـ من أصل تركيبه ـ والغالب على حسه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى فى الكمال والتمام ، وحسن الرونق والنظام ، صور رائقة من الكلام تملأ القلوب ، وتشغف النفوس . فاذا فتشت لحسنها أصلا لم تجده ، ولجمال تركيبها أسا لم تعرفه ، وهذا هو التركيب ، أن يتركب الحسن من غير حسن ، كقول امرىء القيس[1] :

« ألا عِمْ صَبَاحًا أيُّها الطَّلَلُ البَالِي[2] »

وبالرغم مما فى لغة ابن شهيد من روح عصرية حديثة مدهشة ، فانه هو أيضا مثل علماء علم الجمال فى العصر الحديث لم يقترب قيد أنملة من الوصول الى تحليل للغز الخالد فى عملية الخلق الفنى . ولكن النقطة التى تستحق الذكر انما هى الثنائية الكامنة فى فلسفة ابن شهيد ، وهى ثنائية تتفق مع العقائد الاسلامية من مثل النقيضين الدنيا والآخرة ، ولكن ابن شهيد يفصل بين طرفى فلسفته فى حدة نافذة تكاد تشبه حدة المانوية . والثنائية دائما تقود الى اليأس والتشاؤم ، ولعل فى يأس ابن شهيد ارهاصا لما يأتى بعده فى عقيدة أبى العلاء المعرى ، ولو أن الأمر عند ابن شهيد أقل ترتيبا ونظاما . ولقد لاحظ نيكل[3] فى عام ١٩٤٦ ما فى أدب ابن شهيد من تشاؤم ، ومن الملاحظ أن تشاؤم ابن شهيد أعم وأشمل من تشاؤم المعرى ، الا أنه يصل من حين الى حين الى درجة أعلى من التركيز والتحديد ، كما يظهر من هذه الأبيات الرائعة (القصيدة رقم ٣) :

---

(١) الديوان ص ٢٧ حيث ورد « ألا انعم صباحا ... الخ » .

(٢) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٩٧ .

(٣) Hispano—Arabic Poetry ص ١٠٤ .

وَلَو انَّ الدُّنْيا كريمةُ نَجْر   لم تكن طُعْمَةً لقَرْسِ الكِلابِ
وإذا ما نظرْتُ ما حازَ غيرى   قلّ عمّا حملتُـــهُ فى ثِيابى
جيفةٌ أَنْتَنَتْ فطارَ إليهـــا   مِن بنِى دَهْرِها فِراخُ الذُّبابِ

وهذه النظرة اليائسة المتشائمة السوداء عند ابن شـــهيد تظهر على مستويين اثنين ، أولهما تشاؤم شخصى ذاتى ينبع من تقلبات الحياة وطبيعتها المؤسية ، كما يتبين فى القصيدة الثامنة والقصيدة السادسة عشرة ، أما الثانى فيأس تاريخى يقوم على الاعتقاد بأن العالم يمر بعملية انحطاط تاريخى درجة درجة ، فهو لا يتقدم الى الأمام ولا يتطور الى الأحسن ، كما فى القصيدة رقم ٥٧ :

مَضَى السَّلَفُ الوضَّاحُ إلاَّ بقيــةً
كغُرَّةِ مُسْــوَدِّ القَميصِ بَهيمِ

والقصيدة رقم ٥٤ :

كأنَّ الدُّجَى همِّى ودَمْعِى نُجُومُهُ
تَحَـــدَّرُ إشفاقًا لدَهْرِ الأَراذِلِ

ويقول ابن شهيد ان عملية الانحطاط هـــذه ، لا يمكن أن يوقفها ويمنع اكتمالها الا رجال ورثوا الفضيلة عن آباء كان من حظهم السعيد أن عاشوا فى عالم أفضل وعصر قديم أنبل (قصيدة ٥٤) :

وما طَابَ فى هَذِى البَرِيَّةِ آخِــرٌ
إذا هُو لم يُنْجَدْ بطِيبِ الأَوائِــلِ

وهو يحدثنا فى موضع آخر (فى القصيدة رقم ١٠) عن « جسوم بضة من حسب » وهو لا يتركنا نشك لحظة فى أنه مدرك نبل محتده هو ، كما يظهر من القصائد (رقم ٣ ، ٣٠ ، ٥٤ ، ٦٨) ، ولا شك فى أن هـــذا الشعور التاريخى باليأس ينبع أغلبه من تلك الحالة المؤسفة التى كانت عليها الأندلس فى تلك الأيام، حين كان يمسك دفة الأمور فيها أناس ليس عندهم من الشـــعور بالمسئولية أى نصيب ، وحين كانت كل الطبقات تتساوى فى عدم شعورها بمسئوليتها تجاه الدولة،

ولعل هذا الموقف المؤسي ، وشعور ابن شهيد بقـدره العظيم ، قاداه الى نوع من الكره للانسانية ، يظهر بوضوح في القصائد (رقم ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٥) .

ولقد ذكرنا من قبل أن ابن شهيد ليس الا استثناء جزئيا للقاعدة الأندلسية العامة ، والوقت لم يحن بعد ليتقرر بصفة مؤكدة أي مقام سيقدره نقاد الأدب لشعر ابن شهيد في النهاية ، ولكن من المؤكد أن انتاجه الشعرى لا يعلو الى مرتبة شعر ابن زيدون ، أعظم شعراء الاندلس بلا جدال ، ولا الى مرتبة شعر المعتمد ، ثانى شعراء الأندلس عظمة ، اذا ما استبعدنا شعر ابن هانىء الذى لم يكن أندلسيا الا في مولده . ولكننا يمكننا على أي حال أن نقارن ونوازن شعر ابن شهيد بشـعر شعراء المرتبة الثانية في الاندلس ، من أمثال ابن عمار وابن خفاجة وابن سـهل الاسرائيلي . ومن بين مجموع قصائد ديوانه التى تبلغ أربعاً وسـبعين قصـيدة ، منها ثلاثون تقريبا غير مكتملة نصوصها أو هى مجزاة ، نجـد عشر قصـائد هي بالتأكيد من الدرجة الاولى ، ويمكن مقـارنتها باعظم ما انتج اى شاعر أندلسى آخر ، وهى القصـائد (رقم ٣ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٦) ومن بينهما ثماني قصائد أخرى تكاد تبلغ هذه المرتبة الممتازة ، ولكنها تقصر عن بلوغها لأنها لاتحتفظ على طولها بنفس المستوى العالى ، وهذه هي القصائد (رقم ٩ ، ١٠ ، ١٩ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٧٤) . وهناك بضعة قصائد غثة في مجموعها الا من بيت رائع أو صورة أصيلة من صور الخيال تلمع كالمصباح وسط وحل من الألفاظ . وما أكثر ما يكون شعر ابن شهيد صناعة مجردة . تتهاوى فيها القصيدة تحت وقر من التعابير الطريفة والصور الخيالية الغريبة المستحدثة التى تفشل فشلا ذريعا في أن تصل بين الشاعر وقارئه . ونرى ابن شهيد في أروع حالاته حينما تضطره الى كتابة الشعر عواطف تجيش عارمة في ذاته ، كما في تلك القصـيدة التى كتبها ابان مرضه الأخير . ولكنه من ناحية أخرى قد ضغط عواطفه ومشاعره الى درجة يفقد معها التحكم في قواه . وهو ، مثله مثل غالبية الشـعراء العرب ، أقوى في الغزل منه في المدح ، ولكن موضع القوة الحقيقية فيه ، انما هى قدرته الفائقة على الوصف في صور مرئية كثيرة الايحاء ، مما تجده ظاهرا في أية قصيدة من قصائده الممتازة التى ذكرناها من قبل .

أما تلك « الرنة من الأسرار الغامضة ، كأنها من نتاج العصور الحديثة » مما جلب لب جارثيا جوميز ، فنحن نجـد أمثلة منها مبثرة هنا وهناك في قصائده . وبعضها يكاد يذكرنا بفرويد ، اذ فيها نفاذ الى المناطق المظلمة من النفس البشرية ،

وفيها تلك الصلة الوثيقة بين الجنس والموت ، فهو فى القصيدة (رقم ٣٢) مثلا ينهى النسيب بهذا البيت :

زَمَنٌ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى فكأنَّه   حُلُمٌ قَرَأتُ المَوْتَ فى تفسيرِهِ

حيث ترى نمط المستقبل يكشف عن نفسه خلال تجربة تشبه تجربة جنسية • وكل شاعر يعرف ذلك الاحساس بالفكرة وما تثيره فى النفس ، مما لا يجد له فى اللغة اسماء ولكن قلة نادرة من الشعراء هى التى نوهت بتلك اللحظة الحرجة القلقة التى تبدو فيها أفكار الانسان وكأنها ترتجف عند الحافة فى طريقها الى البزوغ الى عالم الحقيقة الواقعة المتميزة • ويقول ابن شهيد فى القصيدة رقم ٦٠ يصف حركة النحل :

وطائِرة تَهْوِى كأنَّ جناحَها   ضَميرٌ خَفِيٌّ لا يُحَدِّدُهُ وَهْمُ

وكثيرا ما تجد عنده الفكرة الدقيقة التى يصوغها فى عبارة دقيقة محكمة :

وما أنا إلاَّ رَهْنُ مَا قَدَّمَتْ يَدِى

إذَا غَادَرُونِى بَيْنَ أَهْلِ المَقَابِرِ

(القصيدة رقم ٢٨)

أو خذ مثلا آخر من القصيدة نفسها :

ولَيْسَ عَجِيبًا أنْ تدَانَتْ مَنِيَّتِى

يُصَدِّقُ فيها أوَّلِى أمْرَ آخِرِى

أو من القصيدة رقم ٧٤ :

إنِّى إلى اللهِ مِن عُقْبَى بُلِيتُ بها

جَرَى بها الحكمُ والأمْرُ الإلهىُّ

وفى كل ذلك نجد أن المحتوى الذهنى والفكرة الرائعة تضفى على القصيدة تلك الأصالة التى كانت عند ابن شهيد أثمن من كل شىء آخر ، فترتفع بشعره الى مستوى المدح والتقريظ الذى أضفاه عليه النقاد الأوربيون بسخاء •

(٧)

المصادر

يمكن تقسيم مصادر نصوص شعر ابن شهيد ، وفق أهميتها ، الى أقسام ثلاثة : منها ما هو في الدرجة الأولى ، وما هو في الدرجة الثانية ، ومنها ما هو في الدرجة الثالثة من الاهمية . والطبقة الأولى تشمل كتاب « الذخيرة » لابن بسام ، وكتاب « اليتيمة » للثعالبي ، وكتاب « المطمح » لابن خاقان . أما أهم المصادر على الاطلاق من ناحية عدد القصائد التي فيها وتوعها ، فانه كتاب « الذخيرة » بلا جدال ، ففيه نجد بشكل أو بآخر ست وثلاثين قصيدة ، من مجموع قصائد ديوان ابن شهيد هذا ، البالغ عددها جميعا أربع وسبعون قصيدة ، ومن بينها ثماني عشرة نجدها هنا ولا نجدها في أي مصدر آخر . وهذا التباين العظيم بين هذه الاعداد لا يعني فقط أننا اذا فقدنا كتاب « الذخيرة » فاننا نفقد فقط ثماني عشرة قصيدة من شعر ابن شهيد ، فان بقية القصائد ، وعددها خمس وأربعون قصيدة ، هي أيضا لا نجدها في معظم الأحوال ممثلة في المصادر الأخرى الا بأبيات قليلة العدد . أما الثعالبي ففي كتابه أربع عشرة قصيدة ، قصيدتان منها فقط هي التي لا توجد في أي مصدر آخر . ومع ذلك فان النصوص التي نجدها في كتاب الثعالبي ذات قيمة لايمكن تقديرها ، فقد يوجد جزء من نفس القصيدة التي يوردها في غيره من المصادر ، ولكن الثعالبي يأتي منها في أغلب الأحيان بأبيات أخرى من نفس القصيدة لا توجد في أي مصدر آخر . أما ابن خاقان ففي كتابه تسع قصائد، كلها نعرف عنها من مصادر أخرى أيضا ، ولكنه يحفظ لنا هو الآخر من هذه القصائد أبياتا لا توجد في المصادر الأخرى ، فالنصوص التي نجدها عند ابن خاقان تتمة لما نجده عند ابن بسام والثعالبي .

ونحن لا نأخذ في الاعتبار ، عند تقديرنا القيمة النسبية لمصدر ما ، العامل العددي ، أي عدد القصائد التي تأتينا به فحسب ، والا كان كتاب « المطمح » أقل قيمة من كتاب «المغرب» ، وانما نأخذ في الاعتبار أيضا العامل النوعي ، مما يعتمد على ما اذا كان جامع الكتاب أو مؤلفه معاصرا أو قريبا عصره من عصر ابن شهيد، وعلى درجة اتصال هذا المؤلف أو الجامع بالمادة الأصيلة للقصائد من مثل النسخ

الخطية لقصائد ابن شهيد . والثعالبى المؤلف الشرقى هو الوحيد من بين أصحاب المختارات الشعرية هؤلاء ، الذى كان معاصرا لابن شهيد ، فقد مات بعد موت شاعرنا بأربع سنوات فقط . ولولا أنه حصل على مادته من شعر ابن شهيد بالسماع فقط ، لكان كتابه أصدق وأحسن مصدر لشعر هذا الشاعر . ومن حسن حظنا ان اسناده يعتمد على درجتين اثنتين فقط هما راوية فارسي . ينقل عن فقيه أندلسى . ولقد عانى كتاب الثعالبى الكثير على يد ناشريه ، وقد يكون السبب هو هذا ، أو كان السبب على الأرجح هو نقل النصوص على السماع ، ولكن نتيجة كل ذلك على أى حال أن كانت قراءته من قصائد ابن شهيد أقل قيمة من قراءات ابن بسام . ولقد جمع ابن بسام مختاراته الشعرية التى لا تقدر بثمن فيما بين عامى ٥٠٠ ـ ٥٠٣ (١١٠٦ ـ ١١٠٩) [1] تقريبا ، فبين حياة ابن شهيد وتاريخ جمع مختارات ابن بسام ما يقرب من ثمانين عاما . ولكن كان ابن بسام على معرفة مباشرة بالمادة الأصلية ، فهو يستعمل فى بعض الأحيان نسخة بخط يد الراوى الذى سمع القصيدة أول مرة بنفسه ، وهو أغلب الأحيان ينقل حرفيا من كتاب ابن حيان ، وهو أقدم المصادر وأحسنها . وبالرغم من أن ابن خاقان عامة كذاب أشر عندما يتصل الأمر بتجاربه الشخصية ، الا أننا نستطيع أن نثق به هنا ، اذ أن القصائد الاحدى عشرة التى يورد تسعا منها فى كتاب « المطمح » وقصيدتين فى « القلائد » تأتى أيضا فى مصادر أخرى ، فلا احتمال اذن فى أى خداع أو تزوير فى نسبة هذه القصائد الى قائلها . ولقد جمع ابن خاقان مختاراته الشعرية فى « المطمح » على وجه التقريب بين عامى ٥٢١ ـ ٥٢٨ (١١٢٧ ـ ١١٣٤)[2] .

أما مصادر الدرجة الثانية ، فهى تلك الكتب التى لا تمدنا بكثير من شعر ابن شهيد ، ولكن تمدنا بقصيدة واحدة أحيانا ، وأحيانا بأكثر من قصيدة لا وجود لها فى مصادر أخرى ، ومن هذه المصادر كتاب « البديع » للحميرى ، الذى مات بعد ابن شهيد باثنين وعشرين عاما ، فهو يكاد يكون معاصرا له ، وهو الذى أمدنا بجزء من القصيدة اللطيفة (رقم ٣٨) . ومن هذه المصادر أيضا كتاب « أعمال الأعلام » لابن الخطيب ، وفيه حفظ لنا من الضياع رثاء قرطبة (القصيدة رقم ٢٦) ، ومنها كذلك « الخريدة » وهى مؤلف متأخر خطى لم ينشر بعد جزؤه الثانى عشر ، حيث نجد ثلاث قطع صغيرة من قصائد كلها أسلوبها أسلوب ابن شهيد، ولا نجدها فى أى مصدر آخر : (القصائد رقم ١٤ ، ٤٨ ، ٥٩) .

---

(١) نيكل : Hispano—Arabic Poetry ص ٢١٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

وهذا التقسيم الذي نضعه للمصادر بالطبع تقسيم من عندياتنا قد يكون به بعض العنت ، لذلك نضيف الى مصادر الدرجة الثانية هذه مؤلفا آخر ، أحرى بطبيعته أن يضاف الى مصادر الدرجة الثالثة . هذا هو كتاب « الجذوة » للحميدي الذي توفي عام ٤٨٨ ، والذي نقلت كل مادته في كتاب « البغية » للضبي ، ونصوص القصائد الأربعة التي نجدها في كتاب « الجذوة » هـذا ، لا نجد لها نظيرا في المصادر الأخرى ، تماما كنصوص تلك القصائد التي وردت في المصادر الرئيسية الثلاثة . وكان الحميدي مثل الحميري وابن بسام قريبا من عصر ابن شهيد ، وقد حدث بالفعل أن سمع من شعر ابن شهيد قصيدة (رقم ٤٧) ينشدها ابن حـزم نفسه .

أما المصادر العشرة الباقية ، بعد استبعاد « القلائد » وقد تكلمنا عنه من قبل ، فإنها كلها من الدرجة الثالثة ، متأخرة في الزمن ، غير موثوق بنصوصها ، ومنقولة في الغالب من مصادر أقدم منها . وينحصر مدى تواريخها من القرن الثالث عشر ، كما هو الحال في كتاب « المطرب » وكتاب « البغية » الى القرن السابع عشر ، مثـل كتاب «نفح الطيب» . وعندما نصل في المدى الى التاريخ الأخير ، أي القرن السابع عشر ، نجد أن القصيدة الواحدة تتعدد نصوصها بشكل غير معقول ، وأن فسـاد النص لا يقل عن تعدد النصوص درجة ولا أهمية . ولقد استعملنا في ديواننـا هذا ، من المقري ست نسخ خطية ، وثلاث طبعات ، أحسنها بلا جـدال الطبعة القاهرية الثانية . ونحن نشير فقط الى طبعة ليدن والطبعة القاهرية الأولى فقط في حالة اختلافهما عن الطبعة القاهرية الثانية أو في حالة اختلافهما عن النص الأصلي كما حققناه . والسبب في هذا هو أن طبعة « دوزي » طبعة مركبة نصوصها من توفيق بين النصوص ، كما هي عادة النشر في القرن التاسع عشر ، فهي ليست طبعة محققة منقحة لكتاب «نفح الطيب» وحده ، وانما يستعين المحقق في تصحيح النص بكتب ككتاب « الجذوة » ، بينما كان المقري في « النفح » ينقل بعض نصوصه من « المطمح » مثلا .

ومصادر الدرجة الثالثة من مثل كتاب « المسـرب » وكتاب « المسالك » هي عامة لا تزيد في معرفتنا بنصوص قصـائد ابن شهيد ، بل هي تفيض علينا بفيض زاخر من مختلف النصوص المتباينة غير المحتملة . ولو أن هذه كلها لم توجـد بتاتا ، لما خسرنا أي شيء ، بل لصارت مهمة النقد وأداته سهلة هينة . ولكن هناك دائما احتمال كامن ، أن يكون المؤلف المتأخر قد نقل نصوصه من مخطوط أهم

وأعظم مما بين أيدينا الآن ، وهذا هو ما حدث بالنسبة الى القصيدة (رقم ٧) فقد نقل المقرى من نسخة خطية من كتاب « المطمح » نصا أحسن من النص المطبوع الذى بين أيدينا الآن ، والباحثون من العرب يتهمون رصفاءهم المستشرقين عادة بأن الدقة فى نقل النصوص الخطية والريبة فيها عندهم زائدة عن الحـــد ، ومن الحق أن كثيرا من الأخطـــاء الاملائية أو الخطية فى النسخ ، مما يضـــيع بعض المستشرقين الجهد الكثير فى نسخه ، لا تستحق حتى أن توضع فى حاشية ، بينما هم يضمنونها نصوصهم ، لذلك رأينا ، كما فعلنا فى حالة بعض المصادر الخطيـة بالذات من مثل كتاب « المسالك » وكتاب « العيون » ، أن لا نضمن بحثنا هذا كل الصور المتباينة للنص الواحد ، اذا اختلفت فقط فى ايراد أو حذف بعض النقـاط غير ذات القيمة الأساسية ، اللهم الا اذا كانت للنسخة الناتجة من ذلك فائدة لغـوية أو أهمية خاصة فى فهم معنى النص الذى وردت فيه .

وفن نقد النصوص الحديث قد تطـــور حتى صار المشـــتغلون به يعرفون بالتحديد حدود فنهم ، فهم يفضلون أن ينقلوا فى أمانة تامة نسخة خطية معينة لنص من النصوص ، على أن يوجدوا نسخة واحدة مركبة تمتزج بها صورتان مختلفتان للنص الواحد ، ولو أنها لم تر النور قبل ذلك أبدا ، ولمثل هذا الاتجاه مزايا بلا شك ، ولكننا فى حالة ابن شهيد لايمكننا أن نتجنب مبدأ المزج بين النسخ المتباينة، فقد تكون للقصيدة الواحدة مثلا تسع نسخ مختلفة، كما هو الحال فى القصيدتين التاسعة عشرة والحادية والستين ، أو قد يكون لها نسخة واحدة ، وقد نجد النص الكامل لقصيدة ما فى كتاب كالذخيرة أو كتاب كاليتيمة ، وقد لا نجد ، فان اختيار القصائد يعود أولا وأخيرا الى ذوق الراوى فى الكتاب الذى نحن بصدده ، ولما كان لكل بيت من أبيات القصيدة فى الشعر العربى وحدته فى المعنى ، كانت القصيدة العربية فى العادة مثل عقد من اللآلىء انفرطت حباته ، فأعاد صوغها صائغ كثـــيرا ما يكون غير صناع ، فتضيع بعض اللآلىء ، وتأتى بعض اللآلىء فى موضـــع غـير موضعها الأصلى الصحيح ، فمن الواضح اذن أننا لا بد لنـــا من بعض المزج بين النسخ المتباينة للقصيدة الواحدة ، اذا أردنا أن نعيد نصـــها أقرب ما نستطيع الى صورته الأولى ، ولكننا على أى حال حاولنا قدر طاقتنا أن نقصر المزج على ترتيب الأبيات فى القصيدة ، وأن لا نلجأ اليه بحال عند تباين القـراءات المختلفة فى نص البيت الشعرى الواحد ، ولكننا فى حالات نادرة ، حينما نجد قراءة أخـــرى من مصدر آخر أوضح وأحسن من أية قراءة أخرى ، وجدنا من الخير أن ندمجها فى صلب البيت الواحد ، ومن الواضح أن نصوص شعر ابن شهيد أصابها التلف الى حد كبير ، ولذلك اضطررنا الى الرجوع الى ما لا يقل عن ثمانية عشر مصدرا،

ولما كنا قد فضلنا قراءة ابن بسام على قراءة الثعالبي ، فانه من الممكن قياسا على تلك المقدمة ، اذا وجدنا خمسة أبيات متتالية مثلا في مصدر واحد هو كتاب «اليتيمة» أن يقال ان نص القصيدة في هذا الموضع لا يمكن أن يكون كما كتبه ابن شهيد، ولكن ردنا على ذلك هو أننا قد أعدنا النص الى ما يقرب من صورته الأولى بأحسن ما يستطيع الانسان .

والسبب الأكبر في فساد نصوص شعر ابن شهيد انما يعود الى عدم وجود « ديوان » يحدد النصوص ويثبتها . ولو كان هناك « ديوان » ، لكان لنا فيه أنموذج عال موحد ، يمنع هذا الطوفان المتكاثر من القراءات المتباينة . والشعراء ، سواء في العالم القديم أو الحديث ، يهتمون بجمع شعرهم في « ديوان جامع » ، عندما يمتد بهم العمر ، ويكون أغلب شعرهم قد كتب ، ولكن ابن شهيد ، مثله في ذلك مثل كثير من شعراء الأمس واليوم ، قد وافته منيته في شبابه المبكر ، قبل الوقت الذي يفكر فيه الشاعر عادة في جمع شعره ، بمدة طويلة . ومن الممكن بل المحتمل طبعا أن يقوم شخص آخر بجمع شعر الشاعر بعد موته ، ولكن الظروف السياسية والاجتماعية في الأندلس عامة ، وفي قرطبة خاصة جعلت مثل ذلك الأمر بعيد التحقيق ، فقد كان كل امرىء منشغل البال بأمر واحد ، لا مجال لغيره ، هو كيف يظل الانسان في مثل تلك الأحوال على قيد الحياة ! ولقد كان الموقف هنا شبيها بالموقف في اشبيلية بعد نفي المعتمد ثم وفاته في « أغمات » ، ومن الغريب أن شعر المعتمد أيضا لم يجد من يجمعه في ديوان الا في قرننا هذا . ونحن واثقون تمام الثقة بأنه لم يكن هناك أبداً « ديوان جامع » لشعر ابن شهيد ، ولم نجد أي ذكر أو اشارة الى « ديوان » له في أي مصدر من مصادر شعره أو مصادر تاريخ حياته . وذلك هو المبرر الأول لوجود بحثنا هذا ، اذ لا يمكن أبدا تقدير شاعر ما، أو تقويم شعره ، أو تحديد الدور الذي لعبه في تطور الأدب الأندلسي ، حتى نصل أولا الى جمع كل أعماله ونشرها بعد تحقيقها تحت ضوء النقد الأدبي الحديثة ومناهجه .

الديـــوان

حرف الألف

١

هجاء الفقهاء من مديح هشام المعتد

أَحْلَلْتَنِي بِمَحَلَّةِ الجَـوْزاءِ ... وَرَوِيتُ عِنْدَكَ مِن دَمِ الأَعْدَاءِ
وطَعِمْتُ[١] لَحْمَ المارقينَ فَأَخْصَبَتْ[١] ... حالي وبَلَّغَنِي الزَّمَانُ شِفائِي
وحَمَلْتَنِي[٢] كالصَّقْرِ[٣] فَوْقَ مَعَاشِرٍ ... تحتِي كَأَنَّهُمْ بَنَاتُ[٤] الماءِ
ولَمَحْتُ إِخْوَانِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُمْ ... مِمَّا رَفَعْتَهُمُ نُجُومُ سَمَاءِ

* * *

لا يَرْحَمِ الرَّحْمٰنُ مَصْرَعَ مارِقٍ ... عَبِثَتْ[٥] بطاعتِهِ يَدُ الأَهْواءِ
أَلْحِقْ به إِخْوانَهُ فَحَيَاتُهُمْ ... نَكَدٌ وقد أَوْدَى أَخُو السُّفَهاءِ
ساعِدْ بذاكَ ودَعْ مَقالَ[٦] مَعاشِرٍ ... بَخِلُوا فنالُوا خُطَّةَ البُخَلاءِ
مَن لم يُفِدْكَ سِوَى الزَّمَانِ[٧] فَخَلِّهِ ... للشَّمْسِ يَرْقُبُهَا مع الحِرْباءِ

---

(١) الذخيرة (ج ، لب) : « وطعمت عندك لحم المارقين فأخصبت » .
(٢) « (ج ، لب ، م) : « ورأيتني » .
(٣) « (ج) : « القصر » .
(٤) « (ج) : « نبات » .
(٥) « (ج) : « عثيت » .
(٦) « (لب ، ج) : « مقالة » .
(٧) « (لب ، م) : « الرماح » .

ودعِ القَلانِسَ في السَّحابِ يَشُقُّها[١] ومفاخِرَ الآبـاءِ للأبنـاءِ
إنَّ الرِّجالَ إذا تأخَّـرَ نَفعُهُمْ في كُلِّ مَعْنًى شُبِّهـوا بنِساءِ
أَناصِلُهُمْ[٢] عِنْدَ الخِصامِ فخَلِّهِمْ للِسانِ هذي[٣] الحَيَّةِ الرَّقشاءِ

٢

في مديح أبي مروان

مَنازِلُهُمْ تَبْكِي إليكَ[٤] عَفاءَها سَقَتْها[٥] الثُّرَيّا بالغَرِيِّ نِجاءَها
أَلَثَّتْ علَيْها المُعْصِراتُ بقَطْرِهـا وجَرَّتْ بها هُوجُ الرِّياحِ مُلاءَها
حَبَسْتُ بهـا عَدْوًا زِمامَ مَطِيَّتِي فَحَلَّتْ بها عَيْنِي علَيَّ وِكاءَهـا
رَأَتْ شُدُنَ الآرامِ في زَمَنِ الهَـوى ولم تَرَ لَيْلَى فهي تَسْفَحُ ماءَها[٦]
خَلِيلَيَّ عُوجا بارَكَ اللهُ فيكمـا بدارتِها الأُولَى نُحَيِّ فِناءَهـا
[٦] ولا تَمْنَعانِي أَنْ أَجُودَ بأَدْمُعٍ حَوَاها الجَوى لمّا نَظَرْتُ جِواءَها
فأُقْسِمُ ما شِمْتُ الغَداةَ وَقُودَها[٧] وقد شِمْتُ ما رابَ الحِمى وأساءَها

---

(١) « (ج) : « يسقها ».
(٢) « (ج ، لب ، م) : « أناصلهم ».
(٣) « (ج ، لب) : « هذه ».
(٤) الذخيرة (ب ، لب) : « عليك ».
(٥–٥) ن في الذخيرة.
(٦–٦) ن في الذخيرة.
(٧) «وقودها» في أصل «اليتيمة».

مَيادِينُ أَفْرَاسِ الصِّبـا ومَراتِـعٌ رَتَعْتُ بها حتَّى أَلِفْتُ ظِباءَهَا

فلم أَرَ أَسْرَابًا كأَسْرَابِهَا الدُّمَى[1] ولا ذِئْبَ مِثْلِي قد رَعَى ثَمَّ شاءَهَا

وَلا كضَلالٍ كانَ أَهْدَى لصَبْوَتِي لَيالِيَ يَهْدِينِي الغَرامُ خِباءَهَـا

وما هاجَ هَذا الشَّوْقَ إلاَّ حَمائِمٌ بَكَيْتُ لها لمَّا سَمِعْتُ بُكَاءَهَا

تَغَنَّ فلا يَبْعُدْ بذِي الأَيْكِ عاشِقٌ بَكَى بَيْنَ لَيْلَى فَاسْتَحَثَّ غِنَاءَهَا[2]

عَجِبْتُ لنَفْسِي كَيْفَ مَلَّكَها الهوَى وكَيْفَ اسْتَفَزَّ الغانِيَاتُ إِبَاءَهَا[3]

[4]أَنا البَحْرُ لايَسْتَوْهِنُ الخَطْبُ طاقَتِي وتَأْبَى الحِسانُ أَنْ أُطِيقَ لِقَاءَهَا

تَيَمَّمَ قَصْدِي النَّائِباتُ فرَدَّهـا فتًى لم يُشَجِّعْ حِينَ حَانَ رِيَاءَهَا

إِذَا طَرَقَتْهُ الحادِثَاتُ أَعارَهَـا شَبا فِكَرَاتٍ قد أَطالَ مَضَاءَهَـا

أَما وأَبِي الأَعْدَاءُ مـا دَفَعَتْهُـمُ يَدٌ سَبَقَتْهُمْ يَتَّقُونَ عَدَاءَهَـا

جَزَاهُم بما حازُوا مِن الجَهْلِ حِلْمُهُ كَرِيمٌ إِذَا راءَ المَكَارِمَ جاءَهَا[4]

ولَوْ أَنَّنِي أَنْحَتْ علىّ أَكَـارِمٌ تَرَضَّيْتُ بالعِرْضِ الكَرِيمِ جَزَاءَهَا

وَلَكِنْ جِـرْذَانَ الثُّغُورِ رَمَيْنَنِي فأَكْرَمْتُ نَفْسِي أن تُرِيقَ دِماءَهَا

إِلَيْكَ أَبا مَرْوَانَ أَلْقَيْتُ رابِيًـا بحاجةِ نَفْسٍ ماحَرَبْتُ خَزَاءَهَا[5،6]

هَزَزْتُكَ فى نَصْرِي ضُحًى فكأَنَّنِي هَزَزْتُ ، وقَدْ جِئْتُ الجبَالَ ، حِرَاءَهَا

---

(١) الذخيرة (ب ، كب) ، اليتيمة : والاولى .

(٢) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .

(٣) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .

(٤–٤) ن فى الذخيرة .

(٥) هذا البيت والخمسة التى تليه ناقصة فى اليتيمة .

(٦) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة (د) .

نَقَضْتُ عُرَى عَزْمِ الزَّمَانِ وإنْ عَتا	بعَزْمةِ نَفْسٍ لا أُرِيدُ بَقَاءهَــا
وكم لكَ مِن يَوْمٍ وَقَفْتَ بظِلِّهِ	وقد نَازَلَتْنَا الحادثَاتُ إزاءهَا [1]
ومِن مَوْقِفٍ ضَنْكٍ زَحَمْتَ به العِدى	وقد نَفَضَتْ فيــه العُقَابُ رِداءهَا
وكَم أُمَّة أَنْجَدْتَهـــا وكأَنَّهَــا	يَرابِيعُ سَدَّتْ خِيفَةً قُصَعاءهَـا
ومِن خُطْبَة فى كَبَّة الصَّكِّ فَيْصَلٍ	حَسَمْتَ بها أَهْواءهَا ومِراءهَـــا

(١) الأبيات الأربعة الأخيرة ناقصة فى الذخيرة .

حرف الباء

٣

في الفخر

هذه دارُ زَيْنَبٍ والرَّبابِ (١)

(٢) قد تركْنَا الصِّبا لكُلِّ غَوِيٍّ   وٱنْسَلَخْنَا مِن كُلِّ ذامٍ وعابِ

وٱنْقَطَعْنَا لِواعِظَاتِ مَشِيبٍ   آذَنَتْنَا حَيَاتُهَا بذَهابِ

وإذا ما الصِّبا تَحَمَّلَ عنَّا   فقَبِيحٌ بنا(٣) ٱرْتِضَاءُ التَّصابِي (٢)

* * *

وارْتَكَضْنَاحتّى مَضَى (٤) اللَّيْلُ يَسْعى (٥)   وأتى الصُّبْحُ قاطِعَ الأسْبَابِ (٦) (٧)

فكأنَّ (٨) النُّجُومَ في اللَّيْلِ جَيْشٌ   دَخَلُوا لِلْكُمُونِ (٩) في جَوْفِ غابِ

وكأنَّ الصَّبَاحَ قانِصُ طَيْرٍ   قَبَضَتْ كَفُّه برِجْلِ غُرابِ

---

(١) هذا المصراع ناقص في اليتيمة .
(٢–٢) لم يقع إلا في اليتيمة .
(٣) بالأصل (اليتيمة) : « بها » .
(٤) المسالك : « مطى » .
(٥) المسالك : « نسعى » .
(٦) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ر ، ق) .
(٧) هذا البيت ناقص في اليتيمة .
(٨) المسالك : « وكأن » .
(٩) المغرب : « للكين »

وفتوٌّ سَرَوْا وقد عَكَفَ اللّيْــــــ لُ وأرْخَى [1] مُغْدَوْدِنَ الأطْنَابِ

وكأنَّ النُّجُـومَ لمّـا هَدَتْهُـم أشْرَقَتْ للعُيُونِ مِن آدابِي [2]

وكأنَّ البُرُوقَ إذ طالَعَتْهُــم أُوقِدَتْ فى سَمائِهَا مِن شِهابِي [3]

يَتَقَرَّوْنَ جَوْزَ [4] كُلِّ فَــلاةٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ من رِكَـابِي

عَنَّ ذِكْرِى لمُدْلِجِيهِمْ فتاهُـوا مِن حَدِيثِى فى عُرْضِ أمْرٍ عُجَابِ

همّةٌ[5] فى السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذَيْلاً مِنَ ذُيُولِ العُلا[6] وجَدٌّ [7] كابِى

[8] وفَتًى أرْهَفَتْ ظُبَاهُ المَعَالِى فَثَنَتْهُ بالباتِرِ القِرْضَــــابِ

بَيْبَتْهُ أيّامُــهُ ولَيالِيــــــ هِ بظُفْرٍ مِن الخُطُوبِ ونَـابِ

حُوَّلٌ لَوْ رآهُ صَرْفُ اللّيَــالِى لَتَوَارَى مِن خَوْفِهِ فى حِجَابِ

ذاقَ أيّامَهُ فكانَ سَــــواءً عِنْدَهُ طَعْمُ شُهْدِها والصَّابِ [8]

وَلَو انَّ الدُّنْيَا كَرِيمةُ نَجْـــرٍ لم تكُنْ طُعْمَةً لفَرْسِ [9] الكِلابِ

وإذا ما نَظَرْتُ ما حـازَ غَيْـرِى قَلّ عمّا حَمَلْتُهُ فى ثِيابِى [10]

جِيفةٌ أنْتَنَتْ فطارَ إلَيْهَــــا مِن بَنِى دَهْرِها فِرَاخُ الذُّبَابِ [11]

---

(١) اليتيمة : « أشى » .
(٢) الذخيرة : « اداب » .
(٣) هذا البيت لم يقع إلا فى اليتيمة .
(٤) الذخيرة (ب) : « حون » ؛ (ق) : « بجو »
(٥) الذخيرة (ب ، لب) : « سمة »
(٦) الذخيرة (ب) : « أمل »
(٧) الذخيرة (ق) : « وجدى »
(٨–٨) لم يقع إلا فى اليتيمة .
(٩) الذخيرة (ب ، ق ، لب) ، اليتيمة : « لبرض »
(١٠) هذا البيت لم يقع إلا فى اليتيمة .
(١١) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى اليتيمة .

مِن شُهَيْدٍ فى سِرِّهَا ثُمَّ مِنْ آشـ ـجَعَ فى السِّرِ مِن لُبَابِ اللُّبَـابِ
خُطَبَاءُ الأَنَام إنْ عَنَّ خَطْبٌ وأَعارِيبُ فى مُتُونِ عِـرابِ

٤
مديح الوزير أبى القاسم الإفليلى

غيرَ أَنِّى مع الوَزِيرِ أَبِى القـا سِمِ حِزْبٌ مَحْضٌ مِن الأَحْزَابِ
التَّقِىُّ النَّقِىُّ كَهْلاً وطِفْـلاً فارِسُ الجَيْشِ راهِبُ المِحْرَابِ

٥
وصف البرغوث

١
ومُنَفِّرٍ للنَّـوْمِ مَسْكَنُهُ ، إذا نامَ المُمَلَّكُ ، بَيْنَ أَثْنَاءِ الثِّيَابْ
يَسْرِى إلى الأَجْسَامِ يَهْتِكُ عَدْوُهُ عن كُلِّ جِسْمٍ صِيغَ بالنُّعْمَى حِجَاب
وَيَعَضُّ أَرْدَافَ الحِسَانِ ومـاله كَفٌّ وَلَكِنْ فُوهُ مِن أَعْدَى الحرابِ
مُتَحَكِّمٌ فى كُلِّ جِسْمٍ ناعِـم مُتَدَلِّلٌ مَا بَيْنَ أَلْحَاظِ الكِعَـابْ

فإذا هَمَمْتَ بِزَجْرِهِ وَلَّى ولا يَثْنِيهِ[1] عَمَّا قد تَعَوَّدَهُ طِلابْ
وتَرَى مَوَاضِعَ عَضِّهِ مَخْضُوبَــةً بِدَمِ القُلُوبِ وما تَعَاوَرَهُ خِضَــابْ
قَزَمٌ مِنَ اللَّيْلِ البَهِيمِ مُكَــوَّرٌ يَمْشِى البَرَازَ ومَا تُوارِيهِ ثِيابْ
عَظُمَتْ رَزِيَّتُهُ وَلَكِنْ قَـــدْرُهُ أَخْزَى وأَهْوَنُ مِن ذُبَاب فى تُرابْ

٦
فى الغـــزل

ما أَطْرَبَتْ فَوْقَ الغُصُونِ حَمــامَةٌ إلا رَأَيْتَ دُمُــوعَ عَيْنِى تُسْكَبُ
وإذا الرِّياحُ تَنــاوَحَتْ أَلْفَيْتَنِى بَيْنَ الصَّبابَةِ والأَسَى أَتَقَلَّبُ
يا عاذِلِى فى الحُبِّ مَهْــلًا بالأَذى لَوْ كُنْتَ تَعْشَقُ ما ظَلَلْتَ تُؤَنِّبُ
كم حاوَلَتْ نَفْسِى السُّلُوَّ فطالَبَتْ أَسْــبَابَهُ جُهْــدًا فعَزَّ المَطْلَبُ

---

(١) فى الاصل : « لم يثنه » .

٧

رثاء القاضي أبي حاتم بن ذكوان

ظَنَنَّا الَّذِي نادى مُحِقًّا بِمَوْتِهِ ... لِعُظْمِ الَّذِي أَنْحَى[1] مِنَ الرزءِ كاذِبَا

وخِلْنا الصَّباحَ الطلقَ لَيْلًا وإنَّما[2] ... حَبَطْنا[3] خُداريًّا[4] مِنَ الحُزْنِ كارِبَا

ثَكِلْنا[5] الدُّنا[6] لما اسْتَقَلَّ، وإنَّما[7] ... فَقَدْناكَ ياخَيْرَ البَرِيَّةِ، ناعِبَا

وما ذَهَبَتْ إذ حَصَّلَ القَبْرُ[8] نَفْسَهُ ... ولكِنَّما الإِسْلامُ أَدْبَرَ ذاهِبَا

ولمّا أَبَى إلَّا التَّحَمُّلَ رائِحًا ... مَنَحْناهُ أَعْناقَ الكِرامِ رَكائِبَا

يَسِيرُ به النَّعْشُ الأَغَرُّ[9] وحَوْلَهُ ... أَباعِدُ راحُوا[10] للمُصابِ أَقارِبَا

عليْهِ حَفِيفٌ لِلْمَلائِكِ أَقْبَلَتْ ... تُصافِحُ شَيْخاً ذاكِرًا للهِ[11] تائِبًا[12]

تخالُ لَفِيفَ النَّاسِ حَوْلَ ضَرِيحِهِ ... خَلِيطَ قَطاً[13] وافى الشَّرِيعَةَ هارِبَا

---

(١) المطمح : «أنجى» .
(٢) النفح : «أننا» .
(٣) المطمح : «حبطنا» بالنفح : «هبطنا» .
(٤) المطمح : «حذاريا» .
(٥) المطمح : «ثكلت» .
(٦) المطمح : «الدجى» .
(٧) المطمح : «اننا» .
(٨) المطمح : «المرء» .
(٩) النفح : «الاعز» .
(١٠) النفح : «كانوا» .
(١١) النفح (طل) : «ذاكرا لله» .
(١٢) النفح (ب ، غ) : «تائبا» .
(١٣) النفح : «تخطى» .

إذا ما امْتَرَوْا سُحْبَ الدُّموعِ تَفرَّعَتْ   فُرُوعُ البُكا[1] عن بارِقِ الحُزْنِ لاهِيَا

فمَن ذَا لِفَصْلِ القَوْلِ يَسْطَعُ نُورُهُ   إذا نحنُ نَاوَأْنَا[2] الألَدَّ المناوِبَا[3]؟

ومَن ذا رَبيعُ المُسْلِمينَ يَقُوتُهُم   إذا النَّاسُ شامُوها بُرُوقاً كَواذِبَا؟

فيا لَهْفَ قَلْبِي آهِ ذابَتْ حُشاشَتِى   مَضى شَيْخُنا الدَّفَّاعُ عنَّا النَّوائِبَا

وماتَ الَّذِى غابَ السُّرُورُ لمَوْتِــهِ   فلَيْسَ وإنْ طالَ السُّــرَى منه آيِبَا

وكانَ عَظِيماً يُطْرِقُ الجَمْعُ عِنْدَهُ   ويَعْنُو له رَبُّ الكَتِيبَةِ هائِبَــا

وذا مِقْوَلٍ عَضْبِ الغِرارَيْنِ[4] صارِمٍ
يَرُوحُ به عن حَوْمَةِ الدِّينِ ضارِبَا

أَيا حاتِم صَبْرَ الأَدِيبِ[5] فإنَّنِى[6]
رَأَيْتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ أَحْلَى عَواقِبَا

وما زِلْتَ فِينَا تَرْهَبُ[7] الدَّهْرَ سطْوةً
وصَعْبًا به نُعْيِى[8] الخُطُوبَ المَصاعِبَا

سَأَسْتَعْتِبُ الأَيَّامَ فيكَ لَعَلَّها   لِصِحَّةِ ذاكَ الجِسْمِ تَطْلُبُ طالِبَا

لَئِنْ أَفَلَتْ شَمْسُ المَكارِمِ عنكُمُ   لقد أَسْأَرَتْ بَدْرًا لها وكَواكِبَــا

---

(١) المطبح : «البكى» .
(٢) المطبح : «ناولنا» ؛ النفح : «ناوينا» ؛ ولكن «ناوأنا» أحسن .
(٣) المطبح : «المنايبا» .
(٤) المطبح : «الغرارين» .
(٥) المطبح : «الأديم» .
(٦) المطبح : «لأننى» .
(٧) المطبح : «يرهب» .
(٨) المطبح : «يعيبه» .

٨
فى الحكمة

لا تَبْكِيَنَّ مِن اللَّيالى أنَّها … حَرَمَتْكَ نَغْبَةَ شارِبٍ مِن مَشْرَبِ
فأقَلُّ مالكَ عِنْدَها سَيْفُ الردَى[١] … يُسْتَلُّ مِن شَعْرِ القَذالِ الأشْيَبِ
ورَحِيلُ عَيْشِكَ[٢] كُلَّ رِحْلَةِ ساعةٍ … وفَناءُ طِيبِكَ فى الزَّمانِ الأطْيَبِ
فإذا بَكَيْتَ فَبَكِّ عُمْرَكَ ، إنَّهُ … زَجِلُ الجَناحِ يَمُرُّ مَرَّ الكَوْكَبِ

٩
غــزل

مَرَّ بِى فى فَلَكٍ من رَبْرَبِ … قَمَرٌ مُبْتَسِمٌ[٣] عن شَنَبِ
زَيَّنُوا أعْلاهُ بالدُّرِّ كما … ثَقَّلُوا أسْفَلَهُ بِالكُثُبِ
فازْدَهَتْنِى أرْيَحِيّاتُ الصِّبا … [٤] واسْتَخَفَّتْنِى دواعِى طَرَبِى
فَتَعَرَّضْتُ لِتَسْلِيمٍ لَهُ[٤] … فإذا التَّيَّاهُ لا يَعْبَأُ بِى
قالَ : هذا العَبْدُ مَن دَلَّلَهُ … ما الَّذِى أمَّنَهُ مِن غَضَبِى؟

---

(١) المسالك : «الدجى» .
(٢) المسالك : «عيس» .
(٣) الذخيرة (ب ، ت ، ق) : «مبتسم لى» .
(٤-٤) ناقص فى الذخيرة (ب ، ق) .

يا ظُبَــا لحظِي (١) خذِي لِي رأسَهُ ... فَهْوَ لا شَكَّ مِن آهَلِ الرِّيبِ
فانبَرَتْ (٢) ألحاظُهُ تَطلُبُــنى ... (٣) وأنا قُدَّامَهــا فى الهَرَبِ
لَوْ تَرانى وأنـا أُلطِفُــهُ (٣) ... وأُداريهِ مُــدَاراةَ الصَّــبِى
خِلْتَــهُ جَبَّارَ قَــوْمٍ مَرَدُوا ... وأنا فى لُطْف الوَعْـظِ نَبِى

١٠

مديح عبد العزيز المؤتمن

أذَّنَ الدِّيكُ فَثُبْ أوْ ثُــوبِ ... وانضَحِ القَلْبَ بماءِ العِنَبِ
وتَأمَّلْ آيــةً مُعْجِزَةً ... ما قَــرَأْنَا مِثْلَهــا فى الكُتُبِ
رَكَعَ الإبْرِيقُ مِن طـــاعتِهِ ... وبكَى فابْتَــلَّ ثَوْبُ الأكْوُبِ
ولُــوِلَ المِزْهَــرُ يَنْفِى كُــرَبِى ... وتَطَرَّبْتُ فأعْيــا طَــرَبِى (٤)
ورَبِيبٍ قامَ فينـــا ساقِيًـــا ... كالرَّشا أُرْضِعَ بَيْنَ الرَّبْرَبِ
ظَبْيَة دُونَ الصَّبايا قُصِّصَتْ (٥) ... فأتَتْ غَيْداءَ فى شَكْلِ الصَّبِى (٦)

---

(١) الذخيرة (ب ، ت ، ق) : «المنقد» .
(٢) الذخيرة (ب) : «أخذت» .
(٣–٣) ناقص فى الذخيرة (ب) .
(٤) هذا البيت ناقص فى المسالك .
(٥) المسالك : «فضضت» .
(٦) هذا المصراع فى المسالك : «فأتت عذراء شبه الذهب» .

فُتِّحَ الوَرْدُ على صَفْحتِهـا ... وحَمـاهُ صُـدْغُهـا بالعَقْرَبَ

فَمشَتْ تَخـوِى وقد مُلِّكْتُها ... مِشْيةَ العُصْـفورِ نَحْوَ الثَّعْلَبِ

وغَمـامٍ باكَرَتْنـا عَيْنُهُ[1] ... تَتْرِعُ الأُفُقَ[2] بدَمْعٍ صَيِّبِ

مِثْـلَ بَحْرٍ جاءَنا مِن فَوْقِنا ، ... جِرْمُه مِن لُؤْلُؤٍ لم يُثْقَبِ

فَـدَنا حتى حَسِـبْنا أنَّـه ... يَمْسَحُ[3] الأرْضَ بفَضْلِ الهَيْدَبِ

فسَألْنـاهُ ، وقـد أَعْجَبَـنا ... حَشْـوُهُ العَيْنَ بمَرأى مُعْجِبِ :

أنْتَ ماذا ؟ قالَ : مُزْنٌ عَلَّمَتْ ... كَفُّـهُ النُّجْعَـةَ كَفًّا دَرِبِ

سامَنِي بالشَّـرْقِ أنْ أسْقِيَكُمْ ... رَحْمـةٌ منـه بأقْصَى المَغْرِبِ

فَسَألْناهُ : أيْنَ ذاك لنـا ؟ ... قالَ : هل يَخْفَى ضِياءُ الكَوْكَبِ؟

مَلِكٌ ناصَبَ مَن خـالَفَكُمْ ... عامِرِىُّ المُنْتَمَى والمَنْصِبِ[4]

فَعلِمْنـا أنَّها نَفْحَـةُ مَن ... وَرِثَ الجُـودَ أباً بَعْدَ أبِ

لكَ كَفٌّ بالـثُّرَيّا فَيْضُهـا ... ولهـا بَسْطُ النَّدَى مِن كَثَبِ

كَقَلِيبٍ دَلْـوُها مُـتْرَعَةٌ ... أشْرَقَتْ بالمـاءِ عَقْـدَ الكَرَبِ

تُبْصِرُ العَيْنانِ منـه إنْ بَـدا ... قَمَرَ السَّرْجِ وشَمْسَ المَوْكِبِ

أنْجَبَتْهُ للمعـالِى أُسْرَةٌ[5] ... نَزَلُوا للمَجْـدِ أعْلَى الرُّتَبِ

بنُفُوسٍ مِن سَـناءٍ غَضَّـةٍ ... فى جُسُـومٍ بَضَّـةٍ مِن حَسَبِ

---

(١) المسالك : «فيه».

(٢) المسالك : «ينزح الماق».

(٣) المسالك : «سح».

(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب).

(٥) الذخيرة (ر) : «أسوة».

وَوُجُوهٍ[1] مُشْرِقاتٍ أَوْ مَضَتْ ضاحِكاتٍ فى وُجُوهِ الكُرَبِ
لَهُمُ أَيّامُ حَرْبٍ كَثُرَتْ فى عِداهُمْ داعِياتِ الحَرَبِ
لم يُطِقْ عامِرُ قِدْماً مِثْلَها لا ولا عَمْرُو بن مَعْدِ يكَرِب
سَحَبُوا مِن ذَيْلِ مَجْدٍ إذْ هُمُ للْوَغَى فى ظِلِّ نَقْعٍ أَشْهَبِ
يا ابْنَ أُمِّ المَجْدِ خُذْها عِبْرَةً جِدَّ قَوْلٍ يُشْتَهى كاللَّعِبِ
مِن بَناتِ اللُّبِّ زانَتْكَ كما زانَ صَدْرَ المُهْرِ حَلْىُ اللَّبَبِ
خَمْرَةٌ مِن طِيبِها قد سُبِيَتْ قَطَعَتْ نَحْوَكَ عَرْضَ السَّبْسَبِ

١١
وصف ساقية صغيرة

أَفْدِى أَسَيْماءَ مِن نَدِيمٍ مُلازِمٍ لِلْكُؤوسِ راتِبْ
قد عَجِبُوا فى السُّهادِ منها وَهْىَ لَعَمْرِى مِن العَجائِبْ
قالُوا : تَجافَى الرُّقادُ عنها فقُلْتُ : لا تَرْقُدُ الكَواكِبْ

---

(١) المسالك : « بوجوه » .

١٢

هجاء الوزير أبي جعفر بن عباس

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كاتِبٌ [١] مَلِيحُ شَبا [٢] الخَطِّ حُلْوُ الخَطابَهْ
تَمَلَّأَ شَحْمًا ولَحْمًا وما يَلِيقُ تَمَلُّؤهُ بالكِتابَهْ
وذُو عَرَقٍ [٣] لَيْسَ ماءَ الحَياءِ [٤] وَلَكِنَّهُ رَشْحُ [٥] فَضْلِ الجَنابَهْ
جَرَى الماءُ فى سُفْلِهِ جَرْىَ لِينٍ فأَحْدَثَ فى العُلْوِ منه صَلابَهْ

١٣

فى الفخر

ولم أَنْسَ بالنَّاوُوس أَيَّامَنا الأُلَى بها أَيْنُنا [٦] مَحْبُوبُها وحَبابُهَا
وفِتْيةَ ضَرْبٍ مِن زِناتَةَ مُمْطِرٍ بوَبْلِ المَنايا طَعْنُها وضِرابُها
وَقَفْنا على جَمْرٍ مِن المَوْتِ وَقْفةً [٧] صلِّ لَظاهُ دَأْبُ قَوْمِى ودابُهَا [٨]
إذا الشَّمْسُ رامَتْ فيه أكْلَ لُحُومِنا [٩] جرى جَشَعًا فَوْقَ الجِيادِ لُعابُهَا

(١) البدائع : «كاتب شاعر» ، النفح : «كاتب محسن» .
(٢) البدائع : «سنى» ، النفح : «سناه» . (٣) البدائع ، النفح : «له عرق» .
(٤) البدائع : «الجباه» ، النفح (طق ١) : «الحياة» .
(٥) البدائع والنفح : «ماء» .
(٦) الذخيرة (ر) : «أتينا» ، (ق) : «وايتمنا مفرحا» ، (لب) : «اثينا» .
(٧) المسالك : «فوقه» . (٨) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب) .
(٩) الذخيرة (ب ، لب) : «لحومها» ، المسالك : «نجومها» .

حرف الحاء

١٤

في رثاء صالح

وقالُوا أصابَ المَوْتُ نَفْسًا كَرِيمة فقُلْتُ لصَحْبِي هذه نَفْسُ صالِحِ

حرف الدال

١٥

مديح أبي عامر بن المظفر

جُمِعَتْ بطاعةِ حُبِّكَ الأَضْدادُ   وتَأَلَّفَ الأَفْصاحُ والأَعْيادُ
كَتَبَ القَضاءُ بأَنَّ جَدَّكَ صاعِدٌ ،   والصُّبْحُ رَقٌّ ، والظَّلامُ مِدادُ

١٦

في الشكوى

أَعِينا آمْرَءًا نَزَحَتْ عَيْنُهُ   ولا تَعْجَبا من جُفُونِ جِمادِ[1]
إذا القَلْبُ أَحْرَقَهُ بَثُّهُ   فإنَّ المَدامِعَ شِلْوُ[2] الفُؤادِ
يَوَدُّ[3] الفَتى مَنْهلًا خالِيًا   وسَعْدُ المَنِيَّةِ في كُلِّ وادِ[4]
ويَعْرِفُ[5] للكَوْنِ ما في يَدَيْهِ   وما الكَوْنُ إلَّا نَذِيرُ الفَسادِ[6]

---

(١) هذا البيت والذي يليه ناقصان في الذخيرة (ب ، لب) .
(٢) الذخيرة (ق) : « تلوى » ؛ في الأصل « تلو » .
(٣) الذخيرة (ق) : « يرود » .
(٤) بهامش نسخة لب : « إشارة إلى المثل : في كل واد بنو سعد » .
(٥) الذخيرة (ر) : « ويطرف » .   (٦) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ب ، لب) .

لقــد عثر الدّهْــرُ [1] بالسابقيــن ولم يُعْجِزِ المَوْتَ ركض الجَوادِ
لَعَمْرُكَ ما رَدَّ رَيْبَ الــرَّدَى [2] أَرِيبٌ ولا جَاهِـدٌ [3] باجْتِهادِ
ســهامُ المَنايا تُصِيبُ الفَتى ولَوْ ضَربُوا دُونَــه بالسِّدادِ [4]
أَصَبْنَ [5] عــلى بَطْشِهِمْ جُرْهُما وأَصْمَيْنَ فى دارِهِمْ [6] قَوْمَ عَادِ
وأَقْعَصْنَ كَلْبًا على عِــزِّهِ فما اعْتَزَّ بالصَّافِنــاتِ الجيــادِ

* * *

وَلَكِنَّنى خانَنى مَعْشَــــرِى ورُدْتُ يَفاعاً وبِيــلَ المَرادِ
وهل ضَرَبَ السَّيْفُ مِن غَيْرِ كَفٍّ ؟ وهل تُبُتَ [7] الرَّأْسُ فى غَيْرِ هادِ ؟

١٧
أبيات فى شاهد قبره

يا صاحِبِى قُمْ فقــد أطَلْنَــا أَنَحْنُ طُولَ المَدى هُجُودُ ؟
فقالَ لِى : لن نَقُومَ منهــا ما دامَ مِن فَوْقِنــا الصَّعِيدُ

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) : « الموت » .
(٢) الذخيرة (ب ، لب) : « المنون » .
(٣) الذخيرة (ب ، لب) : « حازم » .
(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .
(٥) الذخيرة (ب ، لب) : « أصبان » .
(٦) الذخيرة (ب ، لب) : « وأصمى بدارهم » .
(٧) الذخيرة (ب ، لب) : « يضرب » .

تذكُرُ كَمْ لَيْلَةٍ لَهَوْنَا (١) ... فى ظِلِّهَا والزَّمَانُ عِيدُ ؟
وكَمْ سُرُورٍ (٢) هَمَى علَيْنَا ... سحابةً ثَرَّةً تجُودُ ؟
كُلٌّ كأَنْ لم يكُنْ تَقَضَّى ... وشُؤْمُه حاضِرٌ عَتِيدُ
حصَّلَه كاتِبٌ حَفِيظٌ ... وضمَّهُ صادِقٌ شَهِيدُ
يا وَيْلَنَا إنْ تَنَكَّبَتْنَا ... رَحْمَةُ مَن بَطْشُهُ شَدِيدُ
يا ربِّ عفْوًا فأَنْتَ مَوْلًى ... قَصَّر فى أَمْرِكَ (٣) العبِيدُ

١٨
فى السجن

قَرِيبٌ بِمُحْتَلِّ الهَوَانِ بعِيدُ (٤) ... يجُودُ ويَشْكُو حُزْنَهُ فيُجِيدُ
نَعَى ضرَّه (٥) عِنْدَ الإمامِ فيالَه ... عدُوٌّ (٦) لأَبْنَاءِ الكِرَامِ حسُودُ
وما ضَرَّهُ إلَّا مُزَاحٌ ورِقَّةٌ ... ثَنَتْهُ سفِيهَ الذِّكْرِ وهْو رشِيدُ
جَنَى ما جَنَى فى قُبَّةِ الماءِ غَيْرُهُ ... وطُوِّقَ منه بالعَظِيمَةِ (٧) جِيدُ

---

(١) القلائد والنفح : «نعمنا» .
(٢) العيون : «سحاب» ؛ النفح : «سرورا» .
(٣) العيون : «حظك» ؛ القلائد : «شكرك» .
(٤) المطمح ، النفح : «مجيد» .
(٥) النفح : «صبره» :
(٦) المطمح : «علوا» .
(٧) المطمح والقلائد : «بالعلية» .

وما فِيَّ إلاّ الشِّعْر أثبَتَهُ الهَوى | فسارَ به في العالَمين فَرِيدُ (١)
أَفُوهُ بما (٢) لم آتِهِ مُتَعَرِّضًا | لحُسْنِ المعاني تارةً فأَزِيدُ
فإنْ طال ذِكْري بالمُجُونِ فإنّني (٣) | شَقِيٌّ بِمنْظُومِ (٤) الكَلامِ سعِيدُ (٥)
وهَلْ كُنْتُ في العُشّاقِ أوّلَ عاشِقٍ (٦) | هَوتْ بحِجاهُ أعْيُنٌ وخُدُودُ ؟
وإنْ (٧) طَال ذِكْري بالمُجُونِ فإنّها | عظَائِمُ لم يصْبِرْ لهُنّ جليدُ
فراقٌ وسِجْنٌ (٨) واشْتِياقٌ وذِلّةٌ | وجبّارُ حُفّاظٍ (٩) عليّ عَتِيدُ
فمن مُبْلِغٌ (١٠) الفِتْيانَ أنّي بعْدهُم (١١) | مُقِيمٌ بدارِ الظالِمين (١٢) طَرِيدُ ؟ (١٣)
مُقِيمٌ بِدارٍ ساكِنُوها مِن الأذى | قِيامٌ على جمْرِ الحِمام قُعُودُ
ويُسْمعُ للجنّانِ (١٤) في جنَباتِها | بسِيطٌ كتَرْجِيعِ الصّدَى (١٥) ونَشِيدُ
وما اهْتَزّ بابُ السِّجْنِ إلاّ تَفَطّرتْ | قُلُوبٌ لنا خَوْفَ الرّدى وكُبُودُ (١٦)

---

(١) النفح : «مزيد» .
(٢) المطمح : «بها» .
(٣) النفح : «فإنها» .
(٤) المطمح : «مظلوم» .
(٥) هذا البيت ناقص في النفح .
(٦) المطمح ، النفح : «عاقل» .
(٧) النفح : «فإنه» .
(٨) النفح : «شجو» .
(٩) النفح (طل) : «ضغاط» .
(١٠) النفح : «يبلغ» .
(١١) الذخيرة (مب ، لب) : «بينهم» .
(١٢) الذخيرة (ب ، لب) : «الظاعنين» .
(١٣) المطمح ، النفح : «وحيد» .
(١٤) النفح (طق ٢) : «الحيات» .
(١٥) النفح : «الملا» .
(١٦) هذا البيت لم يقع إلا في الذخيرة (المرة الثانية) .

وَلَسْتُ بِذِى قَيْدٍ يرِقُّ[1] وإنَّما على اللَّحْظِ مِن سُخْطِ الإمامِ قُيُودُ
وقُلْتُ لصدّاحِ الحمامِ وقد بكَى على القَصْرِ إلْفاً والدُّمُوع تجُـودُ
ألا أيُّها الباكِي على من تُحِبهُ كِلانَا مُعنًّى بالخَلاءِ فَرِيـدُ
وهل أنْت دانٍ من مُحِبٌّ نأَى به عن الإلْفِ سُلْطَانٌ عليْهِ شَدِيـدُ ؟
فَصفَّق مِن رِيشِ الجنَاحيْنِ واقِعاً[2] على القُرْبِ حتَّى ما عليْهِ مزِيدُ
وما زال يُبْكِينِى وأُبكِيهِ جاهِـــداً وللشَّوْقِ مِن دُونِ الضُّلُوعِ وقُودُ
إلى أن بكَى الجُدْرانُ[3] مِن طُولِ شَجْوِنا وأَجْهَشَ بابٌ جانِباهُ حدِيـدُ
أطاعتْ أمِير المُؤْمِنِين كَتائِـبُ تَصرَّفُ فى الأَحْوالِ[4] كَيْفَ يُرِيدُ[5]
فللشَّمْسِ عنهـا بالنَّهَارِ تَأَخُّرٌ وللبدْرِ عنها[6] بالظَّلامِ صُدُودُ[7]
ألا[8] إنَّها[9] الأيَّامُ تَلْعبُ بالفَتَى نُحُوسٌ تَهادَى تارةً وسُعُـــودُ
وما كُنْتُ ذا أَيْدٍ فيُذْعِنَ ذُو قُوًى[10] مِن الدَّهْرِ مُبْدٍ صرْفَهُ ومُعِيدُ
وراضَتْ صِعابِى سطْوةٌ علَوِيَّـةٌ لها بارِقٌ نَحْوَ النَّدى ورُعودُ

---

(١) الذخيرة (للمرة الثانية) ، النفح : «يرن» ، المطمح : «يرث» .
(٢) المطمح : «واقفا» .
(٣) النفح (طبعة ١) : «الجذلان» .
(٤) «الأحوال» فى الأصل (المطمح) .
(٥) النفح : «تريد» .
(٦) النفح : «شجاه» .
(٧) النفح (ب ، ج) : «عدود» .
(٨) النفح : «إلا» .
(٩) النفح (طل) : «إنما» .
(١٠) هذا المصراع فى الأصل (المطمح) : «وما كنت ذا أيد تأذعن ذا قوى» .

تَقُولُ الَّتِي مِن بَيْتِها[1] خَفَّ[2] مَرْكَبِي[3] أَقُرْبُكَ[4] دانٍ أَمْ نَوَاكَ[5] بَعِيدُ؟[6]

فقُلْتُ لها : أَمْرِى إلى من سَمَتْ به إلى المجْدِ آباءٌ له وجُـدُودُ

١٩

فى مدح ممدوح غير معروف

أَصُبَيْحٌ[7] شِيمَ[8] أَمْ بَرْقٌ[9] بَدَا أَمْ سَنَا المحبوبِ أَوْرَى أَزْنُدَا[10]

هَبَّ مِن مرْقَدِهِ[11] مُنْكَسِرًا[12] مُسْبِلاً للكُمِّ مُرْخٍ[13] للرِّدا

يَمْسَحُ النَّعْسَةَ مِن[14] عَيْنَيْ رشًا صائِدٍ[15] فى كُلِّ يومٍ أَسـدا

---

(١) النفح : « بينها » .
(٢) « كف » فى الأصل (المطمح) .
(٣) هذا المصراع من أبى نواس : ديوان ص (٤٨) .
(٤) المطمح : « أقربك » .
(٥) النفح : « مداك » .
(٦) النفح(طل) : « مديد » .
(٧) المطمح : « أصباح » ؛ المترب : « أصبيح » .
(٨) النفح (المرة الثانية) : « لاح » .
(٩) النفح (المرة الثانية) : « بدر » .
(١٠) العيون ، المطمح ، المغرب ، النفح (المرة الثانية) ، اليتيمة : « زندا » .
(١١) النفح (المرة الثانية) : « نعسه » .
(١٢) المغرب : « متثنلا » .
(١٣) النفح (ب ، ج ، ل) : « مرخيه » .
(١٤) الذخيرة (ب ، لب) ، النفح (المرة الثانية) : « عن » .
(١٥) النفح (طل) : « صائدا » .

أَوْرَدَتْــهُ لُطْفاً آيَتُـــــــهُ صفْوَةَ العَيْشِ[1] وأَرْعَتْهُ ددا[2]

فَهْوَ مِنْ دلٍّ عــراهُ زُبْـــــــدَةٌ مِن صريحٍ لم يُخَالِطْ زَبَـــدا

قُلْتُ[3] : هَبْ لِي يا حبيبِي قُبْلَةً تَشْفِ مِن غَمّكَ[4] تَبريحَ الصَّدى

فانْثَنى يهتزُّ مِن مَنْكِبِـــــــهِ قائِلاً : لا ! ثُمَّ أَعْطَانِي اليدا[5]

كُلَّما كَلَّمنِي قَبَّلْتُـــــــهُ فَهْو إمّا[6] قال قَوْلاً[7] ردّدا[2]

كاد أَنْ يرْجِع ، مِن لَثْمِي لـــه وارْتِشَافِي[8] الثَّغْرَ منه ، أَدْرَدَا[9][10]

قال لِي يلْعبُ : صِدْ[11] لِي طائِرًا فترانِي الدَّهْر أَجْرِي بالكُدَى[12][13]

وإذا[14] اسْتَنْجَزْتُ يومًا وَعْدَه[15] قالَ لِي يَمْطُلُ[16] : ذَكِّرْني غَدَا[17][18]

شَرِبَتْ أَعْطَافُهُ[19] خَمْرَ[20] الصِّبا وسَقَـاه[21] الحُسْنُ حَتَّى عَرْبَدَا

---

(١) النفح (طق ، ب ، ج ، ل) : «العيش» .

(٢) لم يقع هذا البيت والذي يليه إلا في المطمح .

(٣) المطمح : «صريح» .

(٣–٣) ل في اليتيمة .

(٤) النفح (المرة الثانية) : «حبك» .

(٥) هذا المصراع في المطمح ، النفح (المرة الثانية) : «مائلا لطفا وأعطاني اليدا» .

(٦) الذخيرة (ب ، لب) : «مهما» .

(٧) النفح (المرة الثانية) : «كلاما» .

(٨) المعروف : «ارتشاف» .

(٩) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «ازدرداه» ؛ (طق نفس المرة) : «[illegible]» .

(١٠) هذا البيت ناقص في النفح (المرة الثانية) .

(١١) النفح (المرة الثانية) ، الذخيرة : «خذ» .

(١٢) المغرب : «أمشي في الكدى» .

(١٣) هذا البيت ناقص في المطمح .

(١٤) اليتيمة : «فإذا» .

(١٥) المعروف : «منه وصله» .

(١٦) المعروف : «يضحك» .

(١٧) هذا المصراع في المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «أمطل الوعد وقال : اصبر غدا» .

(١٨) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ب ، لب) .

(١٩) النفح (المرة الثانية) : «أعطافه» ؛ (طق نفس المرة) : «أغصانه» .

(٢٠) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «ماء» .

(٢١) المغرب : «وثناه» .

وإذا[١] بِتُّ به فى رَوْضــــة ‏ أغْيَــدًا يَعْرُو[٢] نَباتًا أغْيــدَا[٣][٤]

قامَ فى اللَّيْلِ بجيـدٍ أتْلَـعٍ ‏ يَنْفُضُ اللِّمَّةَ مِن دَمْعِ النَّـدَى

رَشَأٌ بَلْ غادةٌ مَمْكُــورةٌ ‏ عُمِّمَتْ صُبْحًا بلَيْلٍ أسْوَدَا[٥]

أحَجَتْ[٦] مِن عَضّتِى فى[٧] نَهْدِها ‏ ثُمَّ عَضّتْ حُرَّ وَجْهِى[٨] عَمَدَا

فَأنَا المجْرُوحُ مِن عَضّتِهَـا[٩] ‏ لا شَفانِى اللهُ منها أبَــدَا[١٠]

ومَكانٍ عازِبٍ مِن جِيرةٍ[١١] ‏ أصْدِقَاءِ وهُمُ[١٢] عَيْنُ العِدَا[١٣]

ذِى نباتٍ طَيِّبٍ[١٤] أعْرَافُهُ ‏ كَمِذَارِ[١٥] الشَّعْرِ فى الخَدِّ[١٦] بَدَا

تَحْسَبُ الهَضْبَةَ منــه جَبَــلاً ‏ وحُدُورَ المـاءِ منه أبْـرِدَا[١٧]

---

(١) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «فاذا» .

(٢) المطمح ، المغرب : «يَنزو» ؛ النفح (المرة الأولى) : «ينذو» ؛ (طق ١) : «يغزبناتا» ؛ (ب ، ج ، ل): «يغزو» .

(٣) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى النفح (المرة الثانية) .

(٤) هذا البيت والثلاثة التى تليه ناقصة فى اليتيمة ، وهذا البيت إلى آخر القصيدة ناقص فى الذخيرة (ر ، ق) .

(٥) لم يقع هذا البيت والذى يليه إلا فى الذخيرة ، النفح (المرة الثانية) .

(٦) المسالك : «أحجمت» ؛ النفح (المرة الثانية) : «أحجلت» ؛ (المرة الثانية) : «أسجمت» ؛ (ل) : أضبت» ؛ (مب ١) : أجيجت» .

(٧) النفح (طل المرة الثانية) : «عضة» .

(٨) المغرب : «خدى» .

(٩) اليتيمة : «عضته» .

(١٠) هذا البيت ناقص فى المطمح .

(١١) المطمح ، النفح (ب ، غ) : «من خيره» ؛ النفح : «عن جيرة» ؛ (ل) : «عن خيره» .

(١٢) النفح (طل) : «أصدقاؤهم» .

(١٣) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة ، النفح (المرة الثانية) .

(١٤) اليتيمة : «بليلت» .

(١٥) المطمح : «كقرار» .

(١٦) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «خد» .

(١٧) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .

قُلْتُ إذ خَيَّمْتُ فيه قاطِنًا — وتَلاقَتْنِى الأَمَانِى سُجَّدَا[1]
وَرَأَيْتُ الدَّهْرَ خَوْفِى ساكِنًا — وبَنِى الأَحْرَارِ حَوْلِى أَعْبُدَا
جادَ مَن أَصْبَحْتُ فى أَيَّامِهِ — والرَّدَى يَحْذَرُ مِن خَوْفِى الرَّدَى
مَلِكٌ يُحْسَبُ عَدْلاً مَلَكًا — وإمامٌ أَمَّ فينا فَهَدَى
خِلْتُهُ والرُّمْحُ فى راحتِهِ — قَمَرًا يَحْمِلُ منه فَرْقَدَا
نِعْمَ ما اخْتَرْتُ لنَفْسِى فاعْلَمُوا — إنْ زَمَانٌ جارَ أَوْ صَرْفٌ عَدَا
لَيْسَ من يَعْشُو إلى نار القِرى — مِثْلَ مَن يَعْشُو إلى نارِ الهُدَى

٢٠

غـزل

قُلْ لمن زاد إذ تَباعد بُعْدا — وتَناسى عهْدِى ولم أَنْسَ عهْدا
لا يَغُرَّنَّكَ ما تَرى مِن وِدادِى — فَلَعلِّى إنْ شِئْتُ غَيَّرْتُ وِدَّا
لا وحقِّ الهَوى وحقِّ لَيالِيـ — ـهِ ومن صاغَ حُسْنَ وجْهِكَ فَرْدا
ما أُطِيقُ الَّذِى ادَّعيْت ولَوْ مُدَّ (؟) كتُّهُ لم أَكُنْ لغَيْرِكَ عبْدا

---

(١) هذا البيت إلى آخر الشعر ناقص فى المطبوع ؛ النقح (المرة الأولى) .

حرف الراء

٢١

هجاء كاتب غير معروف

وَيْحَ[1] الكِتابةِ مِن شَيْخٍ هَبَنَّقَةٍ ... يلْقَى[2] العُيُونَ برأسٍ مُخّهُ رارُ

ومُنْتِنِ الرِّيحِ إنْ نَاجَيْتَهُ[3] أبدًا ... كأنَّما ماتَ فى خَيْشُومِهِ فارُ

٢٢

فى رثاء الحبيب

تَوَلَّى الحِمامُ بظَبْيِ الخُدُورِ ... وفازَ الرَّدى بالغَزالِ الغَرِيرِ

وكُنْتُ مَلِلْتُكَ لا عن قِلًى ... ولا عن فَسادٍ جرى[4] فى ضَميرى

كمِثْلِ مَلالِ الفَتَى للنَّعِيمِ ... إذا دامَ فيه وحالِ[5] السُّرُورِ

---

(١) الذخيرة (ت ، ر) : «تأب» ؛ (ب ، لب) : «تأى» .

(٢) الذخيرة (ق) : «تلق» .

(٣) الذخيرة (ب ، ق) : «فهمت» ؛ المغرب : «ناجيته» .

(٤) المغرب : «ثوى» .

(٥) المسالك : «حيش» .

٢٣

رسالة إلى اخوانه فى علته

هذا كِتابِى وكَفُّ الموْتُ تُزْعِجُنِى ... عن الحياةِ وفى قَلْبِى لكم ذِكَرُ
إنْ أقضِكُم حقَّكُم مِن قِلَّةٍ عُمُرِى ... إنِّى إلى اللهِ لا حقٌّ ولا عُمُـــرُ
لَهفِى على نَيِّراتٍ ما صدعْتُ بها ... إلاَّ وأظْلَم مِن أَضْوائِهَا القَمـرُ
فاقْرِ السَّلام على المنْصُورِ أفْضلِ من ... سعى لثأْرِ بنِى الإسْلامِ فانْتَصرُوا
واعطِفنْ بها عطْفَةً تهتزُّ مِن كَـرمٍ ... على المُظَفَّرِ فهو الفَلْجُ والظَّفَرُ

٢٤

فى مدح يحيى المعتلى

شَجتْهُ مغَانٍ مِن سُلَيْمى وأَدْوُرُ[١] ... .
[٢]وأُخْرى اعْتَلَقْنَا دُونَهن ودُونَها ... قُصُورٌ وحُجَّابٌ ووالٍ ومعْشَــرُ
يُزيِّنُها مـاءُ النَّعيمِ وحفَّهـا ... مِن العيْشِ فَيْنَانُ الأَرَاكَةِ أخْضَرُ
إذا رامها ذُو حاجة صدَّ وجْهَـهُ ... ظُبا الباتِراتِ والوشِيجُ المُكَسَّرُ[٢]

---

(١) هذا المصراع ناقص فى اليتيمة .

(٢-٢) لم يقع إلا فى اليتيمة .

ومِن قُبَّةٍ[1] لايُدْرِكُ الطَّرْفُ رأسها   تَزِلُّ بها رِيحُ الصَّبا فَتَحدَّرُ
إذا زاحمتْ منها المخَارِمِ صوّبتْ   هُوِيًّا[2] على بُعْدِ المدى وهْى تَجْأَرُ[3]
تَكَلَّفْتُهَا[4] واللَّيْلُ قد جاشَ[5] بحْرُهُ   وقد جعلَتْ أمْواجُهُ تَتَكَسَّرُ
ومِن تَحْتِ حِضْنِي أبْيَضٌ ذُوسَفَاسِقٍ[6][7]   وفى الكَفِّ مِن عسّالةِ الخَطِّ أسْمرُ
هُما صاحِبِاى مِن لَدُن كُنْتُ يافِعًا   مُقِيلانِ مِن جدِّ الفَتَى حِين يَعْثُرُ
فذاجَدْوَلٌ فى الغِمْدِ تُسْقَى[8] به المُنَى[9]   وذا غُصُنٌ فى الكَفِّ يُجْنَى[10] فيُثْمِرُ[11]
إلى بَيْتِ لَيْلَى وهو فَرْد بذِى الغَضا   يضِيءُ لعَيْنِ المُسْتَهَامِ ويزْهرُ[12]
فبِتْنَا على ضُمٍّ لفَرْطِ اشْتِياقِنَا   تكادُ له أكْبَادُنَا تَتَفَطَّرُ

* * *

ودَوِّيَّةٍ مِن فِتْنَةٍ مُدْلَهِمَّةٍ   دَرِيسِ الصُّوَى مَعْرُوفُهَا مُتَنَكِّرُ
إذا جابَها الخِرِّيت فى طُرُقَاتِهَا   يَظَلُّ بها أعْمَى وإنْ كانَ يُبْصِرُ
تَرى ثابِتاتِ الحُكْمِ عِنْدَ اعْتِسافِهَا   تَزِلُّ على أدْفافِهَا فَتَهَوَّرُ

---

(١) المغرب : « مر » .
(٢) اليتيمة : « هبوبا » .
(٣) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (المرة الأولى) .
(٤) الذخيرة (ب ، لب) : « تكنفتها » .
(٥) المغرب : « ماج » .
(٦) اليتيمة : « شقاشق » .
(٧) هذا المصراع فى المغرب : « ومن تحت حضنى من ظبا الهند أبيض » .
(٨) الخريدة ، اليتيمة : « تشفى » .
(٩) الخريدة : « الصدا » .
(١٠) الروايات : « يسقى » .
(١١) اليتيمة : « ويثمر » .
(١٢) هذا البيت الى آخر الشعر لم يقع الا فى اليتيمة .

وإنْ سَلكَتْ أَضْوَاجَهَا عَيِيَتْ بها عَوارِبَ من ذِي مُطْرِياتٍ تَزَجُرُ
وسِرْنَا نَجُوزُ النَّهْجَ حتّى بَدا لنا بغُرّةِ يَحْيى ساطِعُ اللَّوْنِ أَزْهَرُ

٢٥
ختام رسالة

وإنى على ما هاجَ صَدْرِى وغاظَنِى نبأْتَنِى مَن كانَ عِنْدِى له سِرّ

٢٦
رثاء قرطبة

ما فى الطُّلولِ مِنَ الأَحِبَّةِ مُخْبِرُ فَمَنِ الَّذِى عن حالِهــا نَسْتَخْبِرُ ؟
لا تَسأَلَنَّ سِوى الفَراقِ فإنَّهُ يُنْبِيكَ عنهم أَنْجَدُوا أم أَغْوَرُوا
جــارَ الزَّمانُ عليْهِمُ فَتَفَرَّقُوا فى كُلِّ ناحِيَةٍ وبادَ الأَكْثَرُ
جَرَتِ الخُطُوبُ على محلِّ دِيارِهِم وعلَيْهِمُ فَتَغَيَّرَتْ وتَغَيّــرُوا
فَدَعِ الزَّمانَ يصوغُ فى عرصاتِهِم
نُورًا تكادُ له القُلُوبُ تُنَــوَّرُ
فلِمِثْلِ قُرْطُبةٍ يقلُّ بُكاءُ مَن يَبْكِى بعَيْنٍ دَمْعُهــا متفَجِّرُ

دَارٌ ، أَقالَ اللهُ عَثْرَةَ أَهْلِهَــا ،   فَتَبَرْبَرُوا وتَغَرَّبُوا وتَمَصَّــرُوا
فى كُلِّ ناحِيَةٍ فَرِيقٌ منهمُ   مُتَفَطِّرٌ لفَـــراقِها مُتَحَــيِّرُ
عَهْدى بها والشملُ فيها جامِعٌ   من أَهْلِها والعَيْش فيها أَخْضَرُ
ورِيــاحُ زَهْرَتِها تــلوحُ علَيْهمُ   برَوائِحٍ يَفتَرُّ منهــا العَنْبَرُ
والدارُ قد ضَربَ الكَمالُ رِواقَهُ   فيها وباعُ النقص فيها يَقْصُرُ
والقَوْمُ قد أَمِنُوا تغيُّرَ حُسْنِها   فتَعَمَّمُــوا بجَمالِهــا وتأَزَّرُوا
يا طِيبَهُمْ بقُصُورِهــــا وخُدُورِها   وبُدُورُها بقُصُــورِها تَتَخَدَّرُ
والقَصْــرُ قَصْرُ بَنِى أُمَيَّــةَ وافِرٌ   من كُلِّ أَمْــرٍ والخِلافَةُ أَوْفَــرُ
والزاهِــرِيَّةُ بالمَراكِبِ تُزْهِــرُ   والعامِــرِيَّةُ بالكَواكِبِ تُعْمَرُ
والجامِعُ الأَعْلَى يغصُّ بكُلِّ مَن   يتــلو ويَسْمَعُ ما يَشاءُ ويَنْظُرُ
ومسالِكُ الأَسْواقِ تشهد أَنَّها   لا يَستَقِلُّ بســالِكِيها المَحْشَرُ
يا جَنَّةً عَصفَتْ بها وبأَهْلِهــا   رِيحُ النَّوى فتَدَمَّرتْ وتَدَمَّرُوا
آسَى علَيْكِ مِن المَماتِ وَحَقٌّ لِى   إذ لم نَزَلْ بكِ فى حَيــاتِكِ نَفْخَرُ
كانَتْ عِراصُكِ للمُيَمِّمِ مَكَّةً   يأْوِى إِلَيْها الخائِفُونَ فيَنْصَرُوا
يا مَــنْزِلًا نَزَلَتْ به وبأَهْلِهِ   طَــيْرُ النَّوى فتَغيَّرُوا وتَنَكَّرُوا
جِــادَ الفُراتُ بساحَتَيْك ودِجْلَةٌ   والنِّيــلُ جادَ بها وجــادَ الكَوْثَرُ
وسُقِيتَ مِن ماءِ الحَياةِ غمامةً   تحيا بها منكَ الرِّياضُ وتُزْهِرُ
أَسَــفِى على دارٍ عهِدْتُ ربوعَها   وظِباؤُها بفنــــائِها تَتَبَخْتَرُ

أَيّامَ كانَتْ عَيْنُ كُلِّ كَرامةٍ ... مِن كُلِ ناحِيَةٍ إِلَيْها تَنظُرُ
أَيّامَ كانَ الأَمْرُ فيهـا واحِدًا ... لأَمِيرها وأَمِيرِ مَن يَتَـأَمَّرُ
أَيّامَ كانَتْ كَفُّ كُلِّ سَلامةٍ ... تسمو إِلَيْهـا بالسَّلامِ وتَبْدُرُ
حَزَنى على سَرَواتِهـا ورُواتِها ... وثِقـاتِها وحُمـاتِها يَتَكَرَّرُ
نَفْسِى على آلائِهـا وصِفـاتِها ... وبَهـائِها وسَنائِها تَتَحَسَّرُ
كَبِـدِى على عُلَمائِها حُلَمائِها ... أُدَبائِهـا ظُرَفـائِها تَتَفَطَّرُ

٢٧

مديح أبى محمد بن حزم

ولم أَرَ مِثْلِى ما له مِن مُعاصِرٍ ... ولا كمَضائِى[١] ما له مِن مُضافِرِ[٢]
ولَوْ كانَ لِى فى الجَوِّ كِسْرٌ[٣] أَؤُمُّهُ ... رَكِبْتُ إِلَيْه ظَهْرَ فَتْخـاءَ كاسِرِ
وهَمَّتْ بإِجْهاشٍ علىّ وقـد رَأَتْ ... مُصابِىَ فى آثار إِحْدى الكَبائِرِ
فقُلْتُ لها : إِنْ تَجْزَعِى مِن مَخاطِرٍ ... فإِنَّكِ لن[٤] تَحْظَىْ بغَيْرِ المَخاطِرِ[٥]

---

(١) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « كمضائى » .
(٢) الذخيرة (ق) : « مظاهر » ؛ (ب ، ت ، لب) : « مظافر » .
(٣) الذخيرة (ق ، ب ، لب ، ت) : « أن لى .... كسرا » .
(٤) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « لم » .
(٥) الذخيرة (ر) : « الخاطر » .

تَشَهَّتْ ثِمارَ الوَفْرِ مِنِى وإنّها ... لَدَى كُلِّ مُبْيَضِّ العَنانِيزِ[1] وافِرِ[2]

له فى بَياضِ اليَوْمِ يَقْظةُ فَاجِــرٍ ... وتَحْتَ سَوادِ اللَّيْلِ هَجْعةُ كافِرِ

رُوَيْدَكِ حتى تَنْظُرِى عَمَّ تَنْجَلِى ... غَيــابةُ هذا العارِض المُتَناثِرِ

ودُونَ اعْتِزامِى[3] هَضْبةٌ كِسْرَوِيّةٌ ... مِن الحَــزْمِ سَلْمانِيّةٌ فى المَكاسِرِ

إذا نَحْنُ أَسنَدْنا إلَيْها تَبَلَّجَتْ[4] ... مَوارِدُنا عن نَيِّراتِ المَصادِرِ

وأَنْتَ ابْنَ حَزْمٍ مُنْعِشٌ مِن عِثَارِها ... إذا ما شَرِقْنا[5] بالجُنُودِ العَوائِرِ

وما جَــرَّ أَذْيالَ الغِنى نَحْوَ بَيْتِهِ ... كَأَرْوَعَ مُغْرَوْرٍ ظُهُــورَ الجَرائِرِ[6]

إذا ما تَبَغَّى نَضْرةَ العَيْشِ كَرَّها[7] ... لَدَى مَشْرَعٍ للمَوْتِ لمحة ناظِرِ

فَسَلَّ مِن التَّأْوِيلِ فيها مُهَنَّدًا[8] ... أَخُــو[9] شافِعِيّــات كَرِيمُ العَناصِرِ

لِمُعْتَزِلِىِّ الرَّأْىِ ناءٍ عن الهُدَى ... بَعِيــدِ المَرامِى مُسْتَمِيتِ البَصَائِرِ[10]

يُطالِبُ بالهَدْىِ فى كُلِّ فَتْكَةٍ[11] ... ظُهُــورَ المَذاكِى عن ظُهورِ المَنابِرِ

(١) كذا فى الأصل ، ولعله : « المثانى » .
(٢) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى الذخيرة (ر) .
(٣) الذخيرة (ت ، ق) : « اقترابى » .
(٤) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « إليك ببلجة » .
(٥) الذخيرة (ب) : « شرقنا » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(٧) الذخيرة (ق) : « جرها » .
(٨) الذخيرة (ر) : « مقيدا » .
(٩) الذخيرة (ب ، ت ، لب ، ق) : « أخا » .
(١٠) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(١١) الذخيرة (ت ، ر ، لب) : « نكة » .

٢٨

فى رثاء نفسه

تأمّلتُ ما أفنيت مِن طول مُدّتى   فلم أرَهُ إلّا كلمحةِ ناظرِ
وحصّلتُ ما أدركتُ مِن طول لذّتى   فلم أُلفِهِ إلّا كصفقةِ خاسرِ
وما أنا إلّا رَهْنُ (١) ما قدَّمَتْ يدى   إذا غادَرُونى (٢) بَيْنَ أهْلِ المَقابِرِ
سَقَى اللهُ (٣) فتياناً (٣) كأنَّ وُجُوهَهُمْ
وُجُوهُ مَصابِيحِ النُّجُومِ الزّواهِرِ
إذا ذَكَرُونى والثَّرَى فَوْقَ أعْظُمِى   بكَوا بعُيُونٍ كالسَّحابِ المواطِرِ
يَقُولُونَ : قد أوْدَى أبُو عامِرِ العُلا   أقِلُّوا فقِدْماً ماتَ آباءُ عامِرِ
هو المَوْتُ لم يُعْرَفْ بأجْراسِ خاطِبٍ (٤)
بَلِيغٍ ، ولم يُعطَفْ بأنْفاسِ شاعِرِ
ولم يَجْتَنِبْ للبَطْشِ مُهْجةَ قادِرٍ   قوىٍّ ، ولا للضَّعْفِ مُهْجةَ صاقِرِ (٥)
يَحُلُّ عُرَى الجَبّار فى دارِ مُلْكِهِ   ويهفو بنَفْسِ الشاربِ المتساكِرِ
ولَيْسَ عَجِيباً أن تدانَتْ منيّتى   يُصَدِّقُ فيها أوّلَ أمْرٍ (٦) آخِرِى

---

(١) الذخيرة (ق ، لب) ، المغرب : «أهل».
(٢) المغرب : «خلفونى».
(٣-٣) ث فى الذخيرة (ب ، ت ، لب).
(٤) المغرب : «بحر بأسجاع».
(٥) الذخيرة (ق) : «صابر».
(٦) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : «أول الأمر».

وَلَكِنْ عَجِيباً أَن بَيْنَ جَــوانِحِي هَــوًى كَشَرَارِ الجُمْــرةِ المتطايِرِ
يحرِّكُني والمَوْتُ يَخْفُرُ[1] مُهجَتِي
ويهاجُــني والنَّفْسُ عِنْــدَ حناجرى

٢٩
غـــــــزل

كَتَبْتُ لهـــا أَنِّيَ عاشِــقٌ على مُهْرَقِ الكَتْمِ بالنّــاظِرِ
فرَدَّتْ عليَّ جَــوابَ الهَــوَى بأَحْــوَرَ فى مــائِهِ حــائِرِ
مُنَعَّمـــةٌ نَطَقَتْ بالجُفُــون فدَلَّتْ على دِقَّــة الخــاطِرِ
كأَنَّ فُؤادِي إذا أَعْــرَضَتْ تَعَلَّقَ فى مخْــلَبَيْ طــائِرِ

٣٠
شكوى من أعدائه إلى سليمان المستعين

وبُلِّغْتُ أَقواماً تَجِيشُ صُدُورُهُمْ عليَّ ، وإِنِّى منهُمُ[2] فارغُ الصَّدْرِ
أَصاخُوا إِلى قَوْلِي فاسْمَعْتُ مُعْجِزاً[3] وغاصُوا على سِرِّى فأَعْياهُمُ[4] أَمْرِى

(١) الذخيرة (ت ، ر ، ق) : « يحفز » .
(٢) النفح : « فيهم » .
(٣) النفح (ط) : « صمهم » .
(٤) المسالك ، النفح : « فأعجزهم » .

فقالَ فَرِيقٌ : لَيْسَ ذا الشِّعْرُ شِعْرَهُ
وقالَ فَرِيقٌ : أَيْمُنُ اللهِ ، ما نَدْرِى

أَما عَلِمُوا أَنِّى إلى العِلْمِ[1] طامِحٌ — وأَنِّى الَّذِى سَبْقاً على عِرْقِهِ يَجْرِى[2]؟
وما كُلُّ مَن قادَ الجِيادَ يَسُوسُها — ولا كُلُّ مَن أَجْرَى يُقالُ له : مُجرِ
فمَن شاءَ فَلْيَخْبِرْ فإِنِّى حاضِرٌ — ولا شَىءَ أَجْلَى للشُّكُوكِ مِنَ الخُبْرِ

٣١

فى الدير

ولَرُبَّ حانٍ [3] قد أَدَرْتُ[4] بِدَيْرِهِ
خَمْرَ الصِّبا مُزِجَتْ بِصَفْوِ خُمُورِهِ[5]

فى فِتْيةٍ جَعَلُوا الزِّقاقَ تِكاءَهُمْ[6] — مُتَصاغِرِينَ تَخَشُّعًا لِكَبِيرِهِ
يُهْدِى إلَيْنا الرّاحَ كُلُّ مُعَصْفَرٍ[7] — كالخِشْفِ خَفَّرَهُ التِماحُ خَفِيرِهِ[8]

---

(١) الذخيرة (ق) : « النظم » .
(٢) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى الذخيرة .
(٣) الذخيرة : « خان » .
(٤) المطمح ، النفح : « شربت » .
(٥) المطمح ، النفح : « بصرف عصيره » .
(٦) المطمح ، النفح : « السرور شعارهم » .
(٧) هذا المصراع فى المطمح ، النفح : « يسعى لنا بالراح كل مصفر » . وهو « مصفر » أيضا فى الذخيرة (ب) . الذخيرة (لب) : « مصفن » ، النفح (تل) : « مخفر » .
(٨) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (و ، ق) .

وانَى علىَّ بطَرْفِهِ وبكَفِّـــــهِ   فأمــالَ مِن رَأْسِى لِعَبٌ كَبيرِهِ[١]
والقَسُّ ممَّا شاءَ طُـولَ مُقامنا   يدعو يُعَوِّذُ[٢] حَوْلَنـا بزَبُورِهِ[٣]
وتَرنَّمَ النَّاقُوسُ عِنْدَ صَــــلاتِهِمْ   ففَتَحْتُ من عَيْنَى لِرَجْعِ هَدِيرِهِ[٤]
يَتَنـــاوَلُ الظُّرَفاءُ فيه وشُـــرْبُهم   لسلافِهِ[٥] والأَكْلُ مِن خِنْزِيرِهِ[٦]

٣٢

مديح عبد العزيز المؤتمن

سَقْياً لِطِيبِ زَمانِنـا وسُرُورِهِ   وعَزِيزِ عَيْشٍ مُسْعِفٍ بِغَزِيرِهِ[٧]
وتكَفُّرِى برداءِ وَصْلِ مُقَرْطَقٍ   كَتَبُوا بِنِقْسِ[٨] المِسْكِ فى كافُورِهِ
مُتَلَفِّعٍ بحَـرِيرِهِ ، مُتَضَمِّخٍ   بِعَبِـيرِهِ ، مُتَرَنِّحٍ بِفُتُــورِهِ
وسُنانُ ناوَلَنِى مُدامَةَ طَرْفِهِ   فشَرِبْتُهـا وسَمِعْتُ مِن طُنْبُورِهِ
يَدْعُو بلُكْنَةِ بَرْبَرِىٍّ لم يَــزَلْ   يَسْتَفُّ بالصَّحْراءِ حَبَّ بَرِيـرِهِ
مُتَقَدِّمٍ بمَضَـــائِهِ ، مُتَلَفِّعٍ   بِرِدائِهِ ، مُتَكَلِّمٍ فى عِـــيرِهِ

---

(١) لم يقع هذا البيت الا فى الذخيرة .
(٢) فى الأصل (المطمح) : « يعو » .
(٣) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .
(٤) لم يقع هذا البيت الا فى الذخيرة .
(٥) المطمح : « أسلافهم » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .
(٧) هذا البيت والاثنا عشر التى تليه ناقصة فى المرة الثانية .
(٨) ق ، لب : « بحسن » .

مُسْتَفْتِحٌ لِبَيَـــانِهِ بِبَنَـــانِهِ   يُهْدِى السَّلامَ إلى رِجالِ عَشِيرِهِ

مُتَنَصِّبٌ كالغُصْنِ إلّا أَنَّـــهُ   يَهْتَزُّ مِن أَعْجـازِهِ وصُدُورِهِ

طارَحْتُـــهُ كَلِمًا وكُنْتُ زَعِيمَـــهُ   غَرِدًا أُحَرِّكُ مَنْكِبِى لِزَمِـــيرِهِ

فَمَشَى إلىَّ فثُرْتُ غَيْرَ مُعَفَّــرٍ   كاللَّيْثِ مُطَّرِدًا[١] إلى يَعْفُورِهِ

ومَلَكْتُه بالكَفِّ مِلْكَةَ قَـــادِرٍ   فانْصاعَ مُؤْتَمِــرًا لِحُكْمِ أَمِيرِهِ

فقَضَيْتُ ما لم أَقْضِ فيــه بِرِيبَةٍ   يَأْبَى العَفافُ وعِصْمَتِى بحُضُورِهِ[٢]

زَمَنٌ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى فــكأنَّه   حُلْمٌ قَرأْتُ المَوْتَ فى تَفْسِيرِهِ

* * *

ولَرُبَّ[٣] لَيْلٍ لِلهُمُومِ تَهَلَّلَتْ   أستارُه فمحا الصُّوى بِسُتُورِهِ

كالبَحْرِ يَضْرِبُ وَجْهَهُ[٤] فى وَجْهِهِ   صَعْبٌ على العُبّارِ وَجْهُ عُبُـــورِهِ

طاوَلْتُهُ مِنْ عَزْمَتِى بِمُضَـــمَّرٍ   أَثْبَتُّ هَمِّى فى قَرارةِ كُسُـــورِهِ

وعلىَّ لِلصَّـــبْرِ الجَمِيلِ مُفاضَـــةٌ   تَلْقَى الرَّدَى فتَكِلُّ دونَ صَبُورِهِ[٣]

وبراحتى مِن فِكْرتى[٥] ذُو ذُكْرَةٍ   عَهِدَتْ تُذاكِرُنى[٦] بطَبْعِ ذَكِيرِهِ

فَرْدٌ إذا بَعَثَتْ دَياجِى صَرْفِهِ[٧]   هَوْلًا علىَّ خَبَطْتُ فى دَيْجُـــورِهِ

حَتّى بَدا عبْدُ العَزِيزِ لِنـــــاظِرَىْ   أَمَلِى ، فمَزَّقْتُ الدُّجَى عن نُورِهِ

---

(١) ب ، لب : «كالليث مطروحا» .

(٢) ب : «بجلوره» : ق : «وعصمتى بجديره» ؛ لب : «بجلوره» .

(٣-٣) ن فى المرة الأولى .

(٤) الذخيرة (ق) : «موجه» .

(٥) الذخيرة (ب ، لب – المرة الأولى) : «همتى» .

(٦) الذخيرة (ق – المرة أولى) : «تذكرنى» .

(٧) المرة الثانية : «جنحه» .

مَلِكٌ تَبَقَّى المَجْدَ ناصِرُهُ لَهُ ... وَتَمَيَّلَ العَلْيَاءَ عن مَنْصُورِهِ[1]
طَلَبَ الحَوادِثَ مُعرِباً عن ثأْرِهِ ... فجَرَت دِماءُ الخَطْبِ فى مأْثُورِهِ
ورَأى الزَّمانَ يَحِيدُ عن تأْمِيرِهِ[2] ... فسَقَى سهامَ المَجدِ من تامُورِهِ

---

(١) الأبيات الثلاثة الأخيرة ناقصة فى المره الثانية
(٢) الذخيرة (ر ، ق) « تأثير »

حرف السين

٣٣

وصف الذئب

إذا اجْتازَ عُلْوِيٌّ الرِّياحِ بأُفْقِهِ   أَجَدَّ لِعِرْفانِ الصَّبا يَتَنَفَّسُ
تَذَكَّرَ رَوْضاً مِن [1] شَوِيٍّ وباقِرٍ   تَوَلَّتْهُ أَحْراسٌ مِنَ الذُّعْرِ [2] تُحْرَسُ [3]
إذا انْتابَها مِن أَذْؤُبِ القَفْرِ [4] طارِقٌ   خَشِيثٌ إذا ما اسْتَشْعَرَ اللَّحْظَ يَهْمِسُ
أَزَلُّ كَسَا جُثْمانَهُ مُتَسَتِّرًا   طَيالِسَ سُودًا للدُّجى وَهْوَ أَطْلَسُ
فَدَلَّ عليْهِ لَحْظُ خِبٍّ مُخادِعٍ   تَرى نارَهُ مِن ماءِ [5] عَيْنَيْهِ تُقْبَسُ

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) : « ذا » .
(٢) الذخيرة (ب ، لب) : « الصحب » .
(٣) هذا البيت في المسالك :

« تذكر روضا ذا شوى وناقة   تلوته أحراس مع الليل تحرس »

(٤) الذخيرة ، (ب ، لب) ، المسالك : « الليل » .
(٥) المسالك : « بين » .

٣٤

معارضة لامرئ القيس

ولمّا تَمَلّأَ [١] مِن سُكْرِهِ ... فنامَ [٢] ونامَتْ [٣] عُيُونُ العَسَسْ [٤]

دَنَوْتُ إلَيْهِ على بُعْدِهِ [٥] ... دُنُوَّ رَفِيقٍ دَرَى [٦] ما الْتَمَسْ

أدِبُّ إلَيْهِ دَبِيبَ الكَرَى ... وأسْمُو إلَيْهِ سُمُوَّ النَّفَسْ

أُقَبِّلُ منه بَياضَ الطُّلَى [٧] ... وأرْشُفُ [٨] منه سَوادَ اللَّعَسْ [٩]

وبِتُّ [١٠] به لَيْلَتِي ناعِمًا ... إلى أنْ تَبَسَّمَ ثَغْرُ الغَلَسْ

---

(١) الرايات : « تمدد » .
(٢) الخريدة ، الرايات ، العيون ، المسالك ، المطرب ، الوفيات : « ونام » .
(٣) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « وملت » .
(٤) النفح : « الحرس » .
(٥) النفح (طل) : « رقبة » ؛ (لق ١) : « قربه » .
(٦) الذخيرة (ب ، لب) : « دنا » ؛ الرايات : « أذاه » .
(٧) الذخيرة (ر) : « الصلى » .
(٨) الخريدة : « ألثم » .
(٩) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .
(١٠) الخريدة ، الرايات ، المطرب، الوفيات : « فبت » .

حرف الطاء

٣٥

فى وصف الطبيعة

خَلِيلَىَّ ما أَنْفَكَّ الأَسَى مُنذُ بينِهم[1] حَبِيبِىَ حتَّى حَلَّ بالقَلْبِ فاخْتَطَّا
أُرِيدُ دُنُوًّا من خَلِيلِى وقد نـــأَى وأَهْوَى آقْتِرَابًا مِن مَزارٍ وقد شَطَّا
وإنِّى لَتَعْرُونِى الهُمُوم لذِكْرِكُم هُدُوًّا فلا أستطِيعُ قَبْضًا ولا بَسْطًا
وإنَّ هُبُوطَ الوادِيَيْنِ إلى النَّـقَا بحَيْثُ الْتَقَى الجَمْعَانِ واستَقْبَلَ السِّقْطَا
لِمَسْرَحِ سِرْبٍ ما تَقَرَّى نِعَاجُهُ بَرِيرًا ولا تَقْرُو جَآذِرُهُ خَمْطَا[1]
ومُرْتَجِزٍ أَلْقَى بِذِى الأَثْلِ كَلْكَلاً وحَطَّ بجَرْعَاءِ الأَبَارِقِ ما حَطَّا
سَعَى فى قِيادِ الرِّيحِ يَسْمَحُ[2] للصَّبا فألْقَتْ على غَيْرِ التِّلاعِ بِهِ مِرْطَا
وما زالَ يُرْوِى[3] التُّرْبَ حَتَّى كَسَا الرُّبَى دَرَانِكَ ، والغِيطانَ مِن نَسْجِهِ بُسْطَا
وعَنَّتْ له رِيحٌ تُسَاقِطُ[4] قَطْرَهُ كما نَثَرَتْ حَسْنَاءُ مِن[5] جِيدِهَا سِمْطَا

(١-١) لم يقع الا فى اليتيمة .
(٢) اليتيمة : « يستمح » .
(٣) اليتيمة : « يذرى » .
(٤) اليتيمة : « فأسقط » .
(٥) الاخيرة (ب ، لب) : « عن » .

وَلَم أَرَ دُرًّا بَدَّدَتْهُ [1] يَدُ الصَّبا
سِواهُ ، فباتَ النَّوْرُ [2] يَلْقُطُهُ [3] لَقْطَا

وبِتْنَا نُرَاعِى اللَّيْلَ لم يَطْوِ [4] بُرْدَهُ
ولم يَجْرِ [5] شَيْبُ الصُّبْحِ فى فَرعِهِ [6] وخْطَا [7]

تَراهُ كَمَلْكِ الزَّنْجِ فى [8] فَرْطِ كِبْرِهِ
إذا رامَ مَشْيًا فى تَبَخْتُرِهِ أَبْطَا

مُطِلاًّ على الآفَاقِ والبَدْرُ تاجُهُ
وقد عَلَّقَ [9] الجَوْزاءَ فى [10] أُذْنِهِ قُرْطَا

---

(١) اليتيمة : « بددته » .
(٢) اليتيمة : « الريح » .
(٣) اليتيمة : « يجمعه » .
(٤) النفح : « يطو » .
(٥) النفح : « يجل » .
(٦) النفح : « فرده » .
(٧) هذا البيت إلى آخر الشعر ناقص فى اليتيمة .
(٨) النفح : « من » .
(٩) النفح : « جعل » .
(١٠) الذخيرة : « من » .

حرف العين

٣٦

في مدح ممدوح غير معروف

وتَدْرِى سِباعُ الطَّيْرِ أَنَّ كُمَاتَــهُ		إذا لَقِيَتْ صِيدَ الكُماةِ سِبــاعُ
لَهُنَّ لُعَابٌ فى الهَوَاءِ وهِــزَّةٌ		إذا جَدَّ بينَ الدّارِعين قِــراعُ
تَطِيرُ جِياعًا (١) فَوْقَهُ وتَــرُدُّها		ظُبَاهُ إلى الأَوْكَارِ وَهْىَ شِباعُ
تَمَلَّكَ بالإحْسَانِ رِبْقَةَ رِقِّهـا		فهُنَّ رَقِيقٌ يُشْتَرَى ويُبَــاعُ
وأَلْحَمَ مِن أَفْرَاخِهَا فَهْىَ طَوْعُهُ		لَدَى كُلِّ حَرْب والمُلُوكَ تُطَاعُ
تُمَا صِعُ جَرْحاها فيُجْهِزُ نَقْرُهَا		عَلَيْهِمْ ، وللطَّيْرِ العِتَاقِ مِصَــاعُ

---

(١) العيون : « جياع » .

٣٧
فى المجون

وناظِرَةٍ [١] تحتَ طَيِّ القِنَاعِ ... دَعاها إلى اللهِ والخَيْرِ داعِ [٢]
سَعَتْ [٣] بابْنِها [٤] تَبْتَغِى مَنْزِلاً ... لِوَصْلِ التَّبَتُّلِ والإنْقِطَاعِ
وجالَتْ بأَكْنافِهِ [٥] جَوْلَةً ... فَحَلَّ الرَّبِيعُ بتِلْكَ البِقَاعِ [٦]
فجاءتْ تَهَادَى كمِثْلِ الرُّؤُومِ ، ... تُراعِى غَزالاً بأَعْلَى [٧] يَفَاعِ [٨]
أَتَتْنَا تَبَخْتَرُ فى مَشْيِهَا ... فَحَلَّتْ بوادٍ كَثِيرِ السِّباعِ
وريعَتْ حِذارًا على طِفْلِهَا ... فنادَيْتُ : يا هَذِهِ لا تُراعِى
غَزالُكِ تَفْرَقُ منه اللُّيُوثُ ... وتَهْرُبُ منه كُمَاةُ المَصاعِ [٩]
فوَلَّتْ ولِلْمِسْكِ مِن ذَيْلِهَا ... على الأرْضِ خَطٌّ كظَهْرِ [١٠] الشُّجَاعِ !

---

(١) البدائع : « ناصية » .
(٢) البدائع : « بالخير داع » ؟
(٣) البدائع : « أتت » .
(٤) المطمح : « حفية » .
(٥) المطمح : « بموضعنا » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .
(٧) البدائع ، الذخيرة (ب ، لب) : « بروض » .
(٨) هذا البيت ناقص فى المطمح .
(٩) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .
(١٠) البدائع : « كخط » ؛ الذخيرة (ب ، لب) : « كخط » .

٣٨

وصف الربيع من "مديح سليمان المستعين"

وأتاكَ بالنَّيْرُوزِ شَوْقٌ حافِزٌ ... وتَطَلّعٌ للزَّوْرِ غِبَّ تَطَلّعِ
وافاكَ فى زَمَنٍ عَجِيبٍ مُونِقٍ ... وأتاكَ فى زَهْرٍ كَرِيمٍ مُمْتِعِ
فانظُرْ إلى حُسْنِ الرَّبِيعِ وقَدْ جَلَتْ ... عن ثَوْبِ نَوْرٍ للربِيعِ مُجَزَّعِ
فكأنَّ نَرْجِسَهَا وقد حَشَدَتْ بـه ... زُهْرُ النُّجُومِ تقارَبَتْ فى مَطْلَعِ
أَوْ أعْيُنُ الأَحْبَابِ حين تَرَاسَلَتْ ... باللَّحْظِ تَحْتَ تَخَوُّفٍ وتوقُّعِ
وبها البَنَفْسِجُ قد حكى بخُضُوعِهِ ... وقُنُوُّ لَوْنٍ فى سَوَادٍ مُشْبَعِ
خَدَّ الحَبِيبِ وقد عَضَضْتَ بِجَنَّةٍ ... فشَكا إلَيْكَ بأَنَّةٍ وتوجُّعِ
وكأنَّمَا خِيرِيُّهَا تَحْتَ الدُّجَى ... بَيْنَ الأَزَاهِرِ قَامَ كالمُتَطَلِّعِ
يَرْجُو زِيَارَةَ مَن يُحِبُّ لِوَعْدِهِ ... كَلَفًا فباتَ مُرَاقِبًا لم يَهْجَعِ

٣٩

وصف الحمامة

عند زيارة أبي عامر بن المظفر

شَكَرْتُ[١] لِلدَّهْرِ حُسْنَ مَا صَنَعَا ... طَائِرُ مَجْدٍ بِجَنَّتِي وَقَعَـــا
نَفَرْتُ لمّا أيْقَنْتُ جِيئَتَــهُ ... وطارتِ النَّفْسُ عِنْدَها قِطَعَـا
يا حُسْنَ حَمّامِنَا وقد غَرَبَــتْ ... شَمْسُ الضُّحَى فيه بَعْدَ مَا مَتَعَا
أيْقَنَ أنَّ الهِلاَلَ راكِبُــهُ ... فضاء للحاضِرِينَ واتَّسَعَـــا
فانْعَمْ أبا عامِـرٍ بنِعْمَتِهِ[٢] ... واعْجَبْ لأمْرَيْنِ فيه قد جُمِعَا
نِيرانُهُ مِن زِنَادِكُمْ قَدِحَــتْ ... وماؤُهُ مِن بِنائِكم نَبَعَـــا

---

(١) في جميع نسخ الذخيرة «شكوت».
(٢) الخريدة : «بلذته».

حرف الفاء

٤٠

على باب اليهود

لقد أَطْلَعُوا عِنْدَ بابِ اليَهُو ... دِ شَمْسًا[١] أَبى الحُسْنُ أَنْ تُكْسَفَا[٢]
تَراهُ اليَهُودُ على بابِهَـــا ... أَميرًا فَتَحْسِبُهُ يُوسُفَـــا

٤١

وصف الباقلاء
"في جنان القاضي أبي حاتم بن ذكوان"

إِنَّ لآلِيكَ أَخَذَتْ صَلَفَـــا ... فاتَّخَذَتْ مِن زُمُرُّدٍ صَدَفَـــا
تَسْكُنُ دُرّاتُها[٣] البُحُورَ[٤] وذِي ... تَسْكُنُ للحُسْنِ رَوْضَةً أُنُفَـــا

---

(١) النفح (المرة الأولى) : « بدرا » .
(٢) النفح (المرة الأولى) : « يكسفا » .
(٣) الذخيرة (ر ، ق) : « ضرائها » .
(٤) في الأصل (الذخيرة) : « البحر » .

هامَتْ بلُخْضرِ الجِنَانِ [1] فاتَّخَذَتْ ... مِن سُنْدُسٍ فى جِنَانِهَا لُحُفَا

نشْقَبها [2] بالثُّغُورِ مِن [3] لُطُفٍ ... حَسْبُكَ منَّا ببِرٍّ [4] مَن لَطُفَا [5]

جازَ [6] ابْنُ ذَكْوانَ فى مَكَارِمِه ... حُدُودَ كَعْبٍ وما به وُصِفَا [7]

قَدَّمَ دُرَّ الرِّيَاضِ مُنْتَخِبًا ... منه لأفْرَاسِ مَدْحِهِ عَلَفَا

أَكْلُ ظَرِيفٍ وطُعْمُ ذِى أَدَبٍ ... والفُولُ [8] يَهْوَاهُ كُلُّ مَن ظَرُفَا

رَخَّصَ فيهِ شَيْخٌ له قَدَرٌ [9] ... فكانَ حَسْبِى مِن المُنَى وكَفَى [10]

---

(١) البدائع ، النفح : « الجبال » .

(٢) البديع : « تقتبها » ، رسم الكلمة فى الأصل (الذخيرة) : « يتقبها » ؛ البدائع ، النفح : « سبتها » .

(٣) البدائع : « فى » .

(٤) النفح (طل) : « رند » .

(٥) هذا المصراع فى البدائع ، النفح : « حسبك هذا من رمز من لطفا » .

(٦) فى الأصل (الذخيرة) : « حاز » .

(٧) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى البديع .

(٨) فى الأصل (الذخيرة) : « القول » ؛ النفح (ج ، ل) : « الترك » ؛ (ب) : « الترك » .

(٩) البدائع : « حسبه » .

(١٠) هذا البيت ناقص فى البديع .

حرف القاف

٤٢

وداع الإخوان

أَسْتَوْدِعُ اللهَ إِخْوَانِي[١] وعِشْرَتَهمْ ... وكلَّ خِرْقٍ[٢] إلى العلياءِ سَبّاقِ
وفِتْيَةً كَنُجُومِ القَذْفِ نَيِّرُهُمْ ... يَهْدِي ، وصائِبُهُمْ يُودِي بإِحْرَاقِ
وكَوْكَبًا لِيَ منهمْ كانَ مَغْرِبُهُ ... قَلْبِي ، ومَشْرِقُهُ مَا بَيْنَ أَطْوَاقِي
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي ما أُفَارِقُهُ ... إلَّا وَفِي الصَّدْرِ مِنِّي حَرٌّ مُشْتَاقِ
كُنَّا أَلِيفَيْنِ خانَ الدَّهْرُ أُلْفَتَنَا ... وأَيُّ حُرٍّ[٣] على صَرْفِ الرَّدَى باقِ[٤]
فإِنْ أَعِشْ فلعلَّ الدَّهْرَ يَجْمَعُنَا ... وإنْ أَمُتْ فَسَيَسْقِيهِ كَذَا السّاقِي
لا ضَيَّعَ اللهُ إلَّا مَنْ يُضَيِّعُهُ ... ومَنْ تَخَلَّقَ فِيه غَيْرَ أَخْلاقِي[٥]
قد كانَ بَرْدِي إذا مَا مَسَّنِي كَلَفٌ ... لا يَثْلِمُ الحُبُّ آدابِي وأَعْرَاقِي[٦]
حتَّى رَمَتْنَا صُرُوفُ الدَّهْرِ عن كَثَبٍ ... ففرَّقَتْنَا ، وهل مِن صَرْفِهِ واقٍ؟[٧]
إنِّي لأَرْمُقُهُ والمَوْتُ يَضْغَطُنِي ... فأَقْتَضِي فُرْجَةً مُرْتَدَّ أَرْمَاقِي

---

(١) الذخيرة (ب ، ت) : « أصحابي » .
(٢) العيون : « خلّ » .
(٣) العيون : « حي » .
(٤) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ق) .
(٥) لم يقع هذا البيت والذي يليه إلا في الذخيرة (ق) .
(٦) كذا في الأصل (الذخيرة) وفي البيت بعض غموض .
(٧) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ق) .

٤٣

في مديح يحيى المعتلي

فَرِيقُ العِدا مِن حَدِّ[1] عَزْمِكَ يفرقَ ... وبالدَّهْرِ مِمّا خافَ بَطْشَكَ أَولَقُ
عَجِبْتُ لمَنْ يعتَدُّ دُونَكَ جُنَّةً ... ومَهمُكَ سَعْدٌ والقضاءُ مفوَّقُ
ومَن يَبْتَنِي[2] بيتًا ليقطَعَ دُونَهُ ... مَمَرَّ رِيَاحِ النَّصْرِ وهو الخَوَرْنَقُ
وما شَرِبَ ابْنُ الشُّرْبِ قَبْلَكَ خَمْرَةً ... مِن الذُّلِ بالعَجْزِ الصَّرِيحِ تُصَفَّقُ
تَوَهَّمَ فيه الرُّعنُ حِصْنًا[3] فَزُرْتَهُ ... بأَرعَنَ[4] فيه مُرعِدُ المَوْتِ مبرِقُ
وحَوْلَكَ أَسْيَافٌ مِن السَّعْدِ تُنْتَضَى ... وفَوْقَكَ أَعْلَامٌ مِن النَّصْرِ تَخْفُقُ
بأَبْيَضَ مُسْوَدِّ الدِّلاصِ كأَنَّهُ ... شهابٌ عليْهِ مِن دُجَى اللَّيْلِ يَلْمَقُ
وأَسْودَ مبيَضِّ القبَاءِ[5] كأَنَّمَا ... يَطِيرُ به نَحْوَ الكَرِيهةِ عَقْعَقُ
وخَيْلٍ تمشّى للوَغَى ببُطُونِهَا ... إذا جَعَلَتْ بالمُرْتَقَى الصَّعْبِ تَزلَقُ

---

(١) الذخيرة (ر) : «حد» .
(٢) الذخيرة (ب ، ت ، ق) : «يبتنى» .
(٣) الذخيرة (ق) : «وأن الرعن حصن» .
(٤) الذخيرة (ب) : «فأرعد» .
(٥) الذخيرة (ر ، ق) القناء .

٤٤

مديح يحيى المعتلى
"عند انتصاره على السودان بإشبيلية"

غَنَّاكَ سَعْدُكَ فى ظِلِّ الظُّبَا وسَقَى ... «فاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقَا»

* * *

سَقْيًا لأُسْدٍ تَساقَى المَوْتَ أَنْفُسُهَا ... وتلْبَسُ الصَّبْرَ فى يَوْمِ الوَغَى حَلَقَا

قامَتْ بنَصْرِكَ لمّا قامَ مُرْتجِــلاً ... خَطِيبُ جُودِكَ[1] فيها يَنْثُرُ الوَرِقَا

سَرَيْتَ تقدُم جَيْشَ النَّصْرِ[2] متخذًا ... سُبْلَ المَجَرَّةِ فى إِثْرِ العُلا طُرُقَــا

فى ظِلِّ لَيْلٍ مِن الماذِىِّ مُعْتَكِــرٍ ... يجلُو إلى الخَيْلِ منه وَجْهُكَ الفَلَقَا

وصَفْحِ قِرْنٍ غداةَ الرَّوْعِ يَكْتُبُــه ... مِن الظُّبَا قَلَمٌ لا يَعْرِفُ المَشَقَا

أَجْرَيْتَ للزَّنْجِ فَوْقَ النَّهْرِ نَهْرَ دَمٍ ... حتَّى اسْتَحالَ سَماءً جُلِّلَتْ شَفَقَا

وساعَدَ الفَلَكُ الأَعْلَى بقَتْلِهِـمُ ... حتَّى غَدا الفُلْكُ بالنَّاجِى به غَرِقَا

مِن كُلِّ أَسْوَدَ لم يَذْلِفْ على ثَبَجٍ[3] ... وبانَ[4] جَدُّكَ يجلُو صفْحَهُ يقَقَا[5]

كأَنَّ هامتَهُ ، والرُّمحُ يحملُهَا ، ... غرابُ بَيْنٍ على بانِ النَّقا نَعَقَا[6]

* * *

---

(١) الذخيرة (ب، ت): «مجدك».
(٢) الذخيرة (ب): «الصبر».
(٣) «ثليج» فى الأصل (الذخيرة).
(٤) «يأن» فى الأصل (الذخيرة).
(٥) كذا فى جميع نسخ الذخيرة.
(٦) المغرب: «لنقا».

إذا ونى ثَغَر الخطِّىُّ ثُغرتَــــهُ   أَوْ عاذَ بالنَّهرِ مَسْلُوبَ القُوَى غَرِقَا
وأىُّ نَهرٍ يُرَجِّى العِبْرَ عابِــــرُهُ   وسُفنُهُ طافِيَاتٌ غُودِرَتْ فِلَقَا ؟

٤٥
غـــــزل

مَرَضُ الجُفُونِ ولَثْغَةٌ فى المَنْطِقِ   سَبَبَانِ ، جَرَّا عِشقَ مَن لم يَعْشَقِ
مَن لِى بِأَلْثَغَ لا يَزالُ حَدِيثُــــهُ   يُذْكِى على الأَكْبَادِ(١) جَمْرَةَ مُحْرِقِ
يُنْبِى فَيَنْبُو فى الكَلامِ لِسَانُهُ   فكأَنَّهُ مِن خَمْرِ عَيْنَيْهِ سُقِى
لِئَلا يُنْعِشُ الأَلْفَاظَ مِن عَثَرَاتِها   ولَوَ انَّهَا كُتِبَتْ له فى مُهْرَقِ

٤٦
فى مديح سليمان المستعين

بَكَى أَسفاً للبَيْنِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ   وقد هَوَّنَ التَّوْدِيعُ بَعْضَ الَّذِى لَقِى
وما للَّذِى وَلَّى به البَيْنُ حَسْرَةٌ   بَكَيْتُ ، وَلَكِنْ حَسْرَةٌ للَّذِى بَقِى

---

(١) النفح : « الأحشاء » .

وقد شاقَنِى الوُرْقُ السَّواجعُ بالضُّحى

ومَن يستمع داعِى الصَّبابةِ يشتَقِ[١]

على فَنَنٍ مِن أَيْكةٍ قد تَعلَّقَتْ ... بحبْلِ النَّوَى[٢] مِن قَلْبِى المُتَعلِّقِ

فَصَدَّقْتُها فى البَيْنِ مِن غَيْرِ عَبْرة ... وكَمْ مِن كَثيرِ الدَّمْعِ غَيْرِ مُصَدَّقِ

لَعَلَّ نَسيمَ الرِّيحِ تأْتى به الصَّبا ... بنشرِ الخُزامى والكِباءِ المُعَبَّقِ

كأنَّ عليْهَا نَفْحــةً عَبْشَمِيَّةً ... أتتْ مِن جنابِ المُسْتَعِينِ المُوَفَّقِ

* * *

فنِلْتَ الَّذِى قد نِلْتَ إذ لَيْسَ للعُلا[٣]

سِــواكَ كأنَّ الدَّهْــرَ للنَّاسِ مُنْتَقِ

٤٧

رسالة إلى أبى محمد بن حزم فى علته

ولمَّا رأيْتُ العَيْشَ وَلَّى[٤] برأسِهِ ... وأَيقَنْتُ أَنَّ المَوْتَ لا شَكَّ لاحِقِى

تمنَّيْتُ أَنِّى ساكِنٌ فى غَيــابة[٥] ... بأَعْلَى مَهَبِّ الرِّيحِ فى رأسِ شاهِقِ

---

(١) الذخيرة (ق) : «يشتق» .

(٢) الذخيرة (ب ، ت) : «والهوى» .

(٣) «(د) : «الهوى» .

(٤) المطمح ، النفح : «لوى» .

(٥) الجذوة ، العيون ، المطمح ، النفح : «عيابة» .

أُدِرْ(١) سقيطَ الحَبِّ(٢) فى فَضْلِ عِيشةٍ(٣)
وحيداً ، وحِسْىُ الماءِ ثِنْىُ المَفالِقِ(٤)

خَلِيلَىَّ مَن ذاقَ(٥) المَنِيَّةَ مَرَّةً . فقد ذُقْتُها(٦) خَمْسِينَ ، قَوْلَةَ صادقِ
كأنِّى وقد حانَ ارْتِحالِىَ لم أَفُزْ(٧) قَدِيماً مِن الدُّنيا بلَمحةِ بارقِ
فمَن مُبْلِغٌ عَنِّى ابْنَ حَزْمٍ وكانَ لى يَدًا فى مُلِمَّاتِى وعِنْدَ مَضَايِقِى ؟
(٨) عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ إنى مُفارِقٌ وحَسْبُكَ زادًا مِن حَبِيبٍ(٨)(٩) مُفَارِقِ
فلا تَنْسَ تَأْبِينِى(١٠) إذا مافقدتَنِى(١١)
وتَذْكارَ أيَّامِى وفَضْلَ(١٢) خلائِقِى
وحَرِّكْ به(١٣) باللهِ مِن أَهْلِ فَنِّنا(١٤) إذا غَيَّبُونِى(١٥) كُلَّ شَهْمٍ(١٦) غُرانِقِ(١٧)

---

(١) الجذوة : « أرد » .
(٢) العيون : « الظل » .
(٣) الجذوة : « عيشى » .
(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب) ؛ فى المطمح ، والنفح :
« أرد سقيط الظل فى فضل عيشتى وحيدا وأحسو الماء ثنى المالق »
(٥) المطمح : « رام » .
(٦) المطمح : « ومتها » .
(٧) هذا المصراع ناقص فى الذخيرة (ب ، ت) .
(٨–٨) ن فى الذخيرة (ب ، ت) .
(٩) العيون : « خليل » .
(١٠) الجذوة ، النفح (طل) : « تأبينى » ؛ المطمح ، النفح (ب ، ج) : « تأتيى » .
(١١) المطمح ، النفح : « ذكرتنى » .
(١٢) العيون : « طيب » .
(١٣) بالأصول « حرك له » .
(١٤) المطمح : « مهما ذكرتنى » .
(١٥) الجذوة : « جئتمونى » .
(١٦) المطمح : « سهم » .
(١٧) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى الذخيرة .

عَسَى هامَتى فى القَبْرِ تَسْمَعُ بَعْضَه بتَرْجِيعِ سارٍ[1] أَوْ يتَطرِيب طارِقِ

[2] فلِي فى ادِّكارِى بَعْدَ مَوْتى راحةٌ

فلا تمنَعُونيها[2] [3] عُلالَةَ زاهِقِ[4]

وإنى لأَرجُو اللهَ فيما[5] تَقَدَّمَتْ ذُنُوبى به مِمّا [6] دَرى مِن حَقائِقى[7]

٤٨

وصف الفرس

وكأنَّنى لمّا انحَطَطْتُ بــه أَرْمى الفَلاةَ بكَوْكَب طَلْق

وكأَنَّنى لمّــا طَلَبْتُ بــه وَحْشَ الفَلاةِ على مَطا بَرْقِ

---

(١) المطمح ، النفح : «شاد» .

(٢-٢) ن فى الذخيرة (ب ، ت) .

(٣) المطمح ، النفح : «تمنعوها لى» .

(٤) المطمح : «راهق» .

(٥) المطمح : «فى ما» .

(٦) المطمح : «فى ما» ؛ النفح (طل) : «فيما» .

(٧) الجذوة ، المطمح ، النفح : «حقائق» .

٤٩

مديح يحيى المعتلى

أَبكَيْتَ ، إذ ظَعَنَ الفَرِيقُ ، فراقَهَا ؟[١]
إنِّى امْرُؤٌ لَعِبَ الزَّمــانُ بِهِمَّتى
وسُقِيتُ مِن كَأْسِ[٢] الخُطُوبِ دِهاقَهَا
وكَبَوْتُ طِرْفاً فى العُلا فاسْتَضْحَكَتْ
ا[illegible] حُمُرُ الأنامِ فما تَرِيمُ نِهاقَهَا [٣]
وإذا[٤] ارْتَمَتْ نَحْوِى المُنَى لأنــالَها
وَقَفَ الزَّمانُ لها هُناكَ فَعاقَهَا[٥]
وإذا [٦] أَبُو يَحْيَى تَأَخَّرَ سَعْيُهُ[٧]
فمَتَى أُؤَمِّلُ فى الزَّمانِ[٨] لَحاقَهَا ؟[٩]
المُلْبِسِى ذَهَبِيَّــةً مِن فَضْــلِهِ   شَنَتِ العُيُونَ فلم تُطِق رِقْراقَهَا[١٠]

---

(١) هذا المصراع ناقص فى الذخيرة (المرة الأولى – ب ، لب) .
(٢) اليتيمة : « خمر » .
(٣) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .
(٤) اليتيمة : « فاذا » .
(٥) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى الذخيرة (المرة الأولى – ر ، ق) .
(٦) المسالك ، اليتيمة : « فاذا » .
(٧) الذخيرة (المرة الأولى) : « نفسه » .
(٨) اليتيمة : « والدنيا » .
(٩) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة (المرة الأولى) .
(١٠) هذا البيت والأربعة التى تليه لم تقع إلا فى اليتيمة .

والمانِعي مِن صَرْفِ دهْرِي بعلمـا　　قَلَبتْ إلَىّ الحادِثاتُ حِـداقَهَا
حَتّامَ لا تزوى جِيـادُكَ للوَغى　　وتَشِيمِ مِن بِيضِ السُّيُوف رقاقَهَا
وتَسُدُّ طُرْقَ الأَرْضِ منكَ بجَحْفَلٍ　　يذَرُ المُلُوكَ مُديمـةً إطـرْاقَهَا
بَحْرٍ إذا خَفَقَتْ عُقـابُ لِوائِهِ　　بتُخُومِ أَرْضٍ لم تَخَفْ إخْفاقَهَا
(١)لله فى أَرْضٍ غُلِيتُ(٢) هَواءها
وعِصابةٍ لم تَتَّهِمْ إشْـفاقَهَا
نَكَّرْتَهُمُ أَفْعَى الخُطُوبِ وعُوجِلُوا(٣)　　بمُثَمَّلٍ منها ، فكُنْ دِرْياقَهَـا
وافْتَحْ مَغالِقَها بعَـزْمةِ فَيْصَلٍ　　لَوْ حاوَلَتْ سَوْقَ الثُّرَيَّا ساقَهَا(١)
بَطَلٌ إذا خَطَبَ النُّفُوسَ إلى الوَغى　　جَعَلَ الظُّبا تَحْتَ العَجاجِ صداقَهَا(٤)
لَوْ عارَضَتْ هُوجَ الرِّيـاحِ بَنانُهُ　　يَوْماً لسدَّ ببَعْضِها آفاقَهَـا
ولَو أنَّها منه ، إذا ما اسْتَلَّهـا　　تَتَعَرَّضُ الجَوْزاءَ حَـلَّ نِطاقَهَا(٥)
وإذا المُلُوكُ جَرَتْ جِيادًا فى الوَغى　　والجُودِ قَطَّعَ جَفْوَةً(٦) أعْناقَهَا(٧)
ولَو أنَّ أَفْواهَ الضَّراغِمِ مَنْهَـلٌ　　لِلْوِرْدِ أَوْرَدَ خَيْـلَهُ أَشْداقَهَا

(١–١) لم يقع إلا فى الذخيرة (المرة الثانية) ؛ المسالك .
(٢) المسالك : «عدمت» .
(٣) المسالك : «عوجلوا» .
(٤) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى اليتيمة .
(٥) لم يقع هذا البيت إلا فى الذخيرة (المرة الثانية) .
(٦) كذا فى الأصل (اليتيمة) ولعله : «حنوة» .
(٧) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى اليتيمة .

حرف اللام

٥٠

هجاء أبي عبد الله الفرضي
"من مديح سليمان بن المرتضى"

فلمَّا بَدا فيهِمْ سُلَيْمانُ عِنْدَها وصاحَ ابْنُ ذَكْـوانٍ فثارَ رِجالُ
هَدَى من ضَلالِ الحائِرِينَ مُحَمَّدٌ وأَذَّنَ بالبَيْتِ العَتِيـقِ بِلالُ
وقامَ أَبُو عِمْرانَ يَرْأَبُ صَـدْعَها يَسْعَي[1] تَجَلَّى عن هُداهُ ضَلالُ
وَزِيرٌ متى يَسْتَوْزِرِ المَلْكُ رأْيَهُ أُمِرَّتْ له فى النَّائِباتِ حِبالُ
ولَيْسَ كمَنْحُوسٍ مِن القَوْمِ مُنْحِس
تَعـاظَمَ حتى قِيلَ لَيْسَ يُنالُ
أَعانَتْهُ أَمْوالٌ تَخَـوَّنَ عَيْنَهـا وأَعْلَتْهُ غُـثْرٌ سُوقَةٌ وسِفالُ
له كَعْبُ نَحْسٍ لم يُصاحِبْ به[2] امْرءًا
على الدَّهْـرِ إِلَّا رُدَّ وَهْوَ[3] خَيـالُ
ففى كُلِّ عَصْرٍ مِن عُصُورِ حَياتِهِ تُثَـلُّ عُرُوشٌ أَوْ تُدَكُّ جِبـالُ
هُوَ الدَّاءُ فاسْتَأْصِلْه تَلْبَسْ جَمالَها وَداءُ كُعُوبِ المُنْحِسِينَ عُضالْ

---

(١) التنبيرة (ر) : «يسعد».
(٢) التنبيرة (ق) : «بها».
(٣) التنبيرة (ب ، ق) : «وهي».

٥١

وصف مجلس الإخوان

وفِتْيـةٍ كالنُّجُومِ حُسْناً ... كُلُّهُمْ شـاعِرٌ نَبِيـلُ

مُتَّقِدُ[١] الجانِبَيْنِ مـاضٍ ... كأنَّهُ الصَّارِمُ الصَّقِيلُ

رامُوا انْصِـرافاً عنِ المَعالى ... والغَرْبُ[٢] مِن دُونِها فَليلُ[٣]

فاشْتَدَّ[٤] فى إثْرِهـا مِسَحٌّ[٥] ... كُلُّ كَثِيرٍ بِها قَلِيلُ

فى مَجْلِسٍ شابَهُ[٦] التَّصابِى ... وطـارَدَتْ وَصْفَهُ العُقُولُ

كأنَّمـا بِـابُهُ أسِـيرٌ ... قد عَرَضَتْ[٧] وَسْطَهُ[٨] نُصُولُ

يُرادُ منـه المَقالُ قَسْراً ... وهْـو على ذاكَ لا يَقُـولُ

يَنْظُرُ[٩] مِنْ لِبْدِهِ[١٠] لَدَيْنَا ... بَحْرُ دَمٍ تَحْتَهُ[١١] يَسِيلُ

كأنَّ أخفـافَنا علَيْـهِ ... مَراكِبٌ مالهـا دَلِيلُ

ضَلَّتْ فلَمْ تَدْرِ أيْنَ تَجْرِى ... فَهْىَ على شَطِّهِ تَقِيـلُ

---

(١) النفح (طل) : «منقد».

(٢) البدائع ، النفح : «والجد».

(٣) البدائع ، النفح (طل) : «كليل».

(٤) البدائع ، النفح : «نالته».

(٥) البدائع ، النفح : «أمرها فسيح».

(٦) البدائع النفح : «زانه» ؛ النفح (طل) : «راده».

(٧) البدائع : «تعرض».

(٨) البدائع ، النفح : «حوله».

(٩) النفح : «تنظر».

(١٠) النفح (طل) : «لهاة».

(١١) البدائع ، النفح : «تحتنا».

٥٢
وصف الحرشف

هــل أَبْصَرَتْ عَيْنــاكَ ياخَلِيلى ... قَنَــافِذًا تُبــاعُ فى زَنْبِيل ؟
من حَرْشَفٍ(١) مُعْتَمِدٍ جَلِيلِ ... ذِى إبَرٍ تَنفُذُ جِــلْدَ الفِيــلِ(٢)
كأَنَّها أَنْيَابُ بِنْتِ الغُــولِ ... لَوْ نُخِسَتْ فى استِ امرىءٍ ثَقِيلِ
لَقَفَزَتْهُ(٣) نَحْوَ أَرْضِ النِّيلِ ... لَيْسَتْ تُرَى(٤) طَىَّ حَشا مِنْدِيل
نُقْلُ السَّخِيفِ المائِنِ الجَهُــولِ ... وأَكْلُ قَوْمٍ بارِحِى(٥) العقُولِ
أُقْسِمُ لا أَطْعَمْتُهــا(٦) أَبِلِى(٧) ... ولا طَعِمْتُهــا على شَـمُولِ

٥٣
فى وصف رحلة صيد

أَمِن رَسْمِ دارٍ بالعَقِيقِ مُحِيلِ ؟
ولمّا هَبَطْنَا الغَيْثَ تُذْعَرُ وحْشُهُ ... أعلى كُلِّ جَــوّالِ العِنانِ أَسِيلِ

---

(١) الذخيرة : رسمت الكلمة بالخاء المعجمة فى هذا الموضع ولكنها فى الموضعين السابقين بالحاء المهملة .
(٢) هذا البيت ناقص فى البدائع .
(٣) النفح : كذا فى طل ولكن فى ب ، ج ، مب ٢ : «لقفزته» ؛ أكر ، «لقفرته» ؛ مب١ : «لقلفته» .
(٤) البدائع ، النفح : «ليس يرى» .
(٥) الذخيرة : الكلمة غير معجمة فى الأصل فتحتمل أيضا أن تكون «نازحى» وكذا فى البدائع ، النفح .
(٦) البدائع ، النفح : «أقسمت لا أطعمها» .
(٧) فى الأصل (الذخيرة) : «أكليل» .

وثارَتْ بَناتُ الأَعْوَجِيّاتِ بالضُّحَى أَبابِيلَ مِن أَعْطَافِ غَيْرِ وَبِيلِ[1]
مُسَوَّمَةً نَعْتَدُّها مِن خِيارِها[2] لطَرْدِ قَنِيصٍ أَوْ لطَرْدِ رعِيلِ
إِذا ما تَغَنَّى الصَّحْبُ[3] فَوْقَ مُتُونِها
ضُحيًا أَجابَتْ تَحْتَهُمْ بصَهِيلِ[4]
تَدُوسُ بها أَبْكارَ نَوْرٍ كأَنَّهُ[5] رِداءُ عَرُوسٍ أُوذِنَتْ بحَلِيلِ[6]
رَمَيْنا بها عرْضَ الصُّوارِ[7] فأَقْعَصَتْ
أَغَنَّ قَتَلْنَاهُ بغَيْرِ قَتِيلِ
وبادَرَ أَصْحابِي النُّزُولَ فأَقْبَلَتْ كَرادِيسُ من غَضِّ الشِّواءِ نَشِيلِ
نُمَسِّحُ بالجودانِ منه أَكُفَّنا إِذا ما اقْتَنَصْنا منه غَيْرَ قَلِيلِ[8]
فقُلْنا لساقِيها[9] أَدِرْها سُلافَةً شَمُولًا ومِن عَيْنَيْكَ صِرْفَ شَمُولِ
فقامَ بكأْسَيْهِ مُطيعاً لأَمْرِنا[10] يَمِيلُ به الإِدْلالُ كُلَّ مَمِيلِ
وشَعْشَعَ راحَيْه[11] فما زالَ مائِلًا برأْسِ كَرِيمٍ منهُمُ وتَلِيلِ[12]

---

(١) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .
(٢) اليتيمة : «حيادنا» .
(٣) اليتيمة : «القوم» .
(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .
(٥) هذا المصراع فى اليتيمة : «تدوس بنا أبكار نوء كأنه» .
(٦) اليتيمة : «آذنت برحيل» .
(٧) الذخيرة (ق) : «السواد» .
(٨) ناقص فى الذخيرة (ر ، ق) ، اليتيمة .
(٩) الذخيرة (ق) : «لساقينا» .
(١٠) اليتيمة : «لامرئه» .
(١١) الذخيرة (ب، لب) : «ساقية» .
(١٢) اليتيمة : «رتيل» .

إلى أن ثَناهُمْ راكِدِينَ لِما احْتَسوا
خَلِيعِينَ مِن بَطْشٍ وفَضْلِ عُقُولِ[1]
تَشاوَى على الزَّهْراءِ ، صَرْعَى[2] كأنَّهُمْ
أَساطِينُ قَصْرٍ[3] أَوْ جُذُوعُ نَخِيل

٥٤

فى عتاب الزمان

أَبَرْقٌ بَدا أَمْ لَمْعُ أَبْيَضَ قاصِلِ[4] ... ورَجْعُ صَدًى[5] أَمْ رَجْعُ أَشْقَرَ صَاهِلِ
أَلا إنَّهَا حَرْبٌ جَنَيْتُ بِلَحظَةٍ ... إلى عُرُبٍ يَوْمَ الكَثِيبِ عَقَائِلِ
هَوًى تَغْلِبِيٌّ غالَبَ القَلْبَ فانْطَوَى ... على كَمَدٍ مِن لَوْعةِ القَلْبِ داخِلِ
رِدِي تَعْلَمِي بالخَيْلِ مَا قَرَّبَ النَّوَى ... جِيَادَكِ بالثَّرْثَارِ يا ابْنَةَ وائِلِ
جَزَيْنَا بِيَوْمِ المَرْجِ آخَرَ مِثْلَهُ ... وغُصْنًا سَقَيْنا نَابَ أَسْمَرَ عاسِلِ[6]

* * *

---

(١) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى اليتيمة .
(٢) الذخيرة (د ، ق) : « حتى » .
(٣) الذخيرة (ب ، لب) : « قرى » .
(٤) اليتيمة : « ناصل » .
(٥) « شذا » فى الأصل (اليتيمة) .
(٦) لم يقع إلا فى اليتيمة .

تَرَدَّدَ فيها البَرْقُ حتَّى حَسِبْتُهُ ... يُشِيرُ إلى نَجْمِ الرُّبَى[1] بالأَنامِلِ

رُبًى[2] نَسَجَتْ أَيْدى الغَمامِ لِلِبسِها[3] ... غَلائِلَ صُفْراً فَوْقَ بِيضِ غلائِلِ

سَهِرْتُ بها[4] أَرْعَى النُّجُومَ وأَنجما ... طَوالِعَ للرّاعِينَ غَيْرَ أَوافِلِ

وقد فَغَرَتْ فاها بها[5] كُلُّ زَهْرة ... إلى كُلِّ ضَرْعٍ للغَمامةِ حافِلِ

وَمَرَّتْ جُيوشُ المُزْنِ رَهْوًا[6] كأَنَّها ... عَساكِرُ زَنْجٍ مُذْهَباتُ المَناصِلِ

وحَلَّقَتِ[7] الخَضْراءُ في غُرِّ شُهْبِها[8] ... كَلُجَّةِ بَحْرٍ كُلِّلَتْ باليَعالِلِ

تَخالُ بها زُهْرَ الكَواكِبِ نَرْجِسا[9] ... على شَطِّ وادٍ للمَجَرَّةِ سائِلِ[10]

وتلْمَحُ مِن جَوْزائِها في غُرُوبِها ... تَساقُطَ عَرْشٍ واهِنِ الدَّعْمِ[11] مائِلِ

وتَحْسَبُ صَقْرًا واقِعًا دَبَرانَها ... بِعُشِّ الثُّرَيّا فَوْقَ حُمْرِ الحَواصِلِ

وبَدْرَ الدُّجَى فيها غَدِيرًا وحَوْلَهُ ... نُجُومٌ كطَلْعاتِ الحَمام[12] النَّواهِلِ

كأَنَّ الدُّجَى هَمّي ودَمْعِي نُجُومُهُ ... تَحَدَّرَ إشْفاقًا لدَهْرِ الأَراذِلِ[13]

---

(١) المسالك : « والثرى » .

(٢) المسالك : « ترى » .

(٣) المسالك : « بالبسها » .

(٤) اليتيمة : « لها » .

(٥) الرايات : « دجى » اليتيمة : « لها » .

(٦) الذخيرة (ب ، لب) : « زهراء » ؛ (ر) ، الرايات : « زهوا » .

(٧) المقرب : « حلقت » .

(٨) الذخيرة (ب ، ق ، لب) ، المسالك : « نجمها » ؛ المقرب : « زهرها » .

(٩) المسالك : « أنجما » .

(١٠) المسالك : « حافل » .

(١١) المسالك : « رقم » .

(١٢) الذخيرة (د) : « الجام » .

(١٣) اليتيمة : « ماجل » .

هَوَتْ أَنْجُمُ العَلْيَاءِ إلاَّ أَقلَّهَا ... وغِبْنَ بما يَحْظَى به كُلُّ عاقِلِ
وأَصْبَحْتُ فى خَلْفٍ إذا ما الْمَحْتَهُم[1] ... تَبَيَّنْتَ أَنَّ الجَهْلَ إِحْدَى الفَضَائِلِ
وما طابَ فى هَذِى البَرِيَّةِ آخِرٌ ... إذا هُو لم يُنْجَدْ بطِيبِ[2] الأَوائِلِ
أَرَى حُمُرًا فَوْقَ الصَّواهِلِ جَمَّةً ... فأَبْكِى بعَيْنِى ذُلَّ تِلْكَ الصَّواهِلِ
ورُبَّتَ كُتَّابٍ إذا قِيل : زَوِّرُوا ... بكَتْ مِنْ تَأَنِّيهِم[3] صُدُورُ الرَّسائِلِ
ونَاقِلِ فِقْهٍ لم يرِ اللهُ قَلْبَهُ ... يظُنُّ بأَنَّ الدِّين حِفْظُ المسائِلِ
وحامِلِ رُمْحٍ راح فَوْقَ مَضائِهِ ... بِه كاعِبًا فى الحىِّ ذاتَ مغَازِلِ
حُبوا بالمُنَى دُونِى وغُودِرْتُ دُونَهُمْ ... أَرُودُ الأَمانِى فى رِياضِ الأَباطِلِ
وما هِىَ[4] إلاَّ هِمَّةٌ أَشْجَعِيَّةٌ ... ونَفْسٌ أَبتْ لِى مِن طلابِ الرَّذائِلِ
وفَهْمٍ لَوِ البِرْجِيسِ جِئْتُ بجدِّهِ ... إذًا لَتَلَقَّانِى بنَحْسِ المقَاتِلِ
وكَيْفَ ارْتِضَائِى دارةَ الجهْلِ منْزِلاً ... إذا كانَتْ الجوْزاءُ بعْضَ منَازِلِى[5]
وصبْرِى على محْضِ الأَذَى مِن أَسافِلٍ ... ومجْدِى حُسامِى والسِّيادةُ ذابِلِى ؟
ولمّا طَما[6] بحْرُ البيانِ بِفِكْرتِى ... وأَغْرقَ قَرْنَ الشَّمْسِ بعْضُ جداوِلِى
زَفَفْتُ[7] إلى خَيْرِ الورى كُلَّ حُرَّةٍ[8] ... مِن المدْحِ لم تَخْمُلْ برعِى[9] الخَمائِلِ

---

(١) الذخيرة (ق ، لب) : « التمحتهم » .
(٢) الذخيرة (ب ، لب) : « ينجله طيب » .
(٣) الذخيرة (ب ، ت ، ق ، لب) : « تأتيهم » .
(٤) اليتيمة : « وما بى » .
(٥) لم يقع هذا البيت والذى يليه إلا فى اليتيمة .
(٦) اليتيمة : « طمى » .
(٧) الذخيرة : « رحلت » .
(٨) اليتيمة : « خير وقفة » .
(٩) اليتيمة : « بلعى » .

وما رِمْتُهَا حتَّى حطَطْتُ رِحالَهَـا على ملك منهمْ أَغَرَّ حُلاحِـلِ[1]
وكِدْتُ لفَضْلِ القَوْلِ أَبْلُغُ ساكِتًا وإنْ ساءَ حُسَّادِى مدى كُلِّ قائِلِ

٥٥

فى رثاء نفسه وقد عزم على الانتحار

أَنُوحُ على نَفْسِى وأَندبُ نُبْلَهَـا إذا أنا فى الضَّرَّاءِ أَزمعْتُ قتلَهَـا
رضيتُ قضاءَ اللهِ فى كُلِّ حالــة علىَّ وأحكامًا تيقَّنْتُ عدلَهَا
أَظلُّ قعيد الدّارِ تجنُبُنِى العصـا على ضَعْفِ ساقٍ أَوْهَنَ السُّقْمُ رِجلَهَا
وأَنْعى خسيسماتِ ابْنِ آدم عامــلاً براحةِ طِفْلٍ أحكم الضُّرُّ نَصْلَهَا
ألا رُبَّ خَصمٍ قد كفيت ، وكُرْبةٍ كشفْتُ ودارٍ كُنْتُ فى المحْلِ وبلُهَا
ورُبَّ قَرِيضٍ كالجرِيضِ بعثْتُــهُ إلى خُطْبةٍ لا يُنْكِرُ الجمْعُ فَضْلَهَا
فمن مُبْلِغُ الفِتْيانِ أَنَّ أخاهُــمُ أخو فَتكةٍ شَنْعَاءَ ما كانَ شِكْلَهَا ؟
عليْكُمْ سلامٌ مِن فَتًى عضَّهُ الرَّدى ولم ينْسَ عيْنًا أَثْبتَتْ فيه نَبْلَهَا
يُبِينُ وكَفُّ الموْتِ يَخْلَعُ نَفْسه وداخلُهَـا حُبٌّ يهـونُ ثُكْلَهـا

---

(١) لم يقع هذا البيت إلا فى اليتيمة .

٥٦

رسالة إلى الوزير
أبي مروان بن إدريس الجزيري

يا سيِّدًا أَرِجتْ طِيبًا شمائِلُهُ ... وشاكَلَتْ شِعْرَهُ حُسْنًا رَسَائِلُهُ
وَسَائِلاً لِيَ عَمَّا لَيْسَ يَجْهَلُهُ ... ولا الَّذِى كُلِّفَ التَّفْصِيلَ جاهِلُهُ
الوَرْدُ عَهْدًا ونَشْرًا صِنْوُ عهْدِكَ ، لا ... تُنْسِى أواخِرُهُ طِيبًا أَوائِلُهُ
ووَصْلُهُ فى كِلا الحالَيْنِ مُفْتَرَضٌ ... سِيَّانِ قاطِعُهُ جَهْلاً وواصِلُهُ
فالعُودُ يَخْفُقُ ، والمِزْمَارُ يَتْبَعُهُ ، ... وهاجِرُ الرّاحِ قد هاجَتْ بَلابِلُهُ
تُخْبِرْ بِمِثْلِ الَّذِى أَنْتَ العَلِيمُ به ... أَيَّامُنَا والصِّبَا تُعْصَى عواذِلُهُ

حرف الميم

٥٧

في رثاء الوزير حسان بن مالك

أفى كُلِّ عامٍ[١] مَصْرَعٌ لعَظِيم ؟ — أصابَ المَنَايا[٢] حادِثِى وقَدِيمى
هَوَى قَمَرا قَيْسِ بْن عَيْلاَنَ آنِفًا — وأَوْحَشَ مِن كَلْبٍ مَكَانُ زَعِيمِ[٣]
فَكَيْفَ لِقَائِى الحادِثَاتِ إذا سَطَتْ — وقد فُلَّ سَيْفِى منهُمُ وعَزِيمِى ؟[٤]
وكَيْفَ اهْتِدائى فى الخُطُوبِ إذا دَجَت — وقد فَقَدَتْ عَيْنَاىَ ضَوْءَ نُجُومِى ؟[٥]
مَضَى السَّلَفُ الوَضَّاحُ إلاَّ بَقِيَّةً — كغُرَّةِ مُسْوَدِّ القَمِيصِ بَهِيمِ[٦]

* * *

رَمَيْت بها الآفاقَ عَنِّى غَرِيبَةً — نَتِيجةَ خَفَّاقِ الضُّلُوعِ كَظِيمِ[٧]
لأُبْدِى إلى أَهْلِ الحِجَا مِن بَواطِنِى — وأُدْلِى بعذْرٍ فى ظَوَاهِرِ[٨] لُومِ

---

(١) المغرب : « حين » .
(٢) المسالك : « الرزايا » .
(٣) هذا البيت ناقص فى المطبع ، اليتيمة .
(٤) هذا البيت ناقص فى المطبع .
(٥) الذخيرة ، المغرب : « نجوم » .
(٦) اليتيمة : « لهيم »
(٧) لم يقع هذا البيت والأربعة التى تليه إلا فى الذخيرة .
(٨) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « بواطن » .

أنا السيفُ لم تَشْعَبْ به[1] كَفُّ ضاربٍ   صَرومٌ إذا صادَفْتَ كَفٌّ صَرومِ[2]

سَعَيْتُ بأَحْرَارِ الرِّجَالِ فخانَنِي   رِجَالٌ ولم أُنْجَـدْ بِجَدٍّ عَظِيمِ

وضيَّعَنِي الأَمْلاكُ بَدْءًا وعَوْدَةً[3]   فضِعْتُ بِدارٍ منهُم وحَـــرِيـمِ

فإنْ رَكِبَتْ منِّي اللَّيَالِي هَضِيمـةً   فقَبْلِيَ مَا كانَ اهْتِضَامُ تَمِيمِ[4][5]

أَما وأَبِي الأَيَّامِ لَوْلاَ اعْتِدَاؤُهَا[6]   لَظَاهَرْتُ فِي ساداتِهَا بقُـــرومِ

وقَارَعْتُ مَن يَبْغِي قِرَاعِيَ منهـــم   بأَحْلامِ بَطْشٍ أَوْ بِطَيْشِ حلُومِ

أَحَلُّوا مَلامِي لا أَبَا لأَبِيهِـــم   وإِنِّي ورَبِّ المَجْدِ غَيْرُ مَلُومِ

فَلا تَعْذُلُونِي إنْ وَلِهْتُ فإِنَّهَـــا   عِلاَقَةُ حَبْرٍ لا عِلاقَةُ رِيمِ[6]

أَبا عَبْدِةٍ إِنَّا عَذَرْنَاكَ[7] عِنْدَمَـــا   رَجَعْنَا وغَادَرْنَاكَ غَيْرَ ذَمِيمِ[8]

أَنخْذُلُ مَن كُنَّا نَرودُ بأَرْضِهِ   ونَكْرَعُ منه فِي إناءِ علُـــومِ ؟

ويَجْلُو العَمَى عنَّا بأَنْوارِ رأَيِهِ   إذا أَظْلَمَتْ ظَلْمَاءُ ذاتُ غُيومِ[9]

كأَنَّكَ لم تُلْقِحْ بريحٍ مِن الحِجَا   عَقَائِمَ أَوْكَارٍ بغَيْرِ عَقِيـــمِ

ولم نَعْتَمِدْ مَغْنَاكَ غَدْوًا ولم نزَلْ   نَؤُمُّ لفَصْلِ الحُكْمِ دارَ حَكِيمِ

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) : « له » .
(٢) الذخيرة (ق) : « صريم » .
(٣) الذخيرة (ب) : « عوداً وبدأة » .
(٤) هذا البيت إلى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة .
(٥) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .
(٦-٦) ن فى المطمح ، النفح .
(٧) النفح : « غدرناك » .
(٨) هذا البيت إلى آخر الشعر لم يقع إلا فى المطمح، النفح .
(٩) المطمح . « غموم »

٥٨

سلام إلى حبيبه فى علته

اقْرَ السَّلامَ على الأَصْحَابِ أَجْمَعِهِم [١] … وخُصَّ عَمْرًا بأَزْكَى [١] نُورِ تَسْلِيمِ

وقُمْ له : يا أَعَزَّ النَّاسِ كُلِّهِمُ … شخْصًا علىّ وأولاهُمْ بتَكْرِيمِ

اللهُ جارُكَ مِن ذِى مَنْعَةٍ ظَفِرَتْ [٢] … منه اللَّيَالى بعِلْقٍ [٢] غَيْرِ مذْمُومِ

ما كانَ حُبُّكَ إلاَّ صَوْبَ غادِيَةٍ … طِيبًا وحاشا لحُبِّى فيكَ مِن لُومِ [٣]

إنْ شاءَ صَرْفُ الرَّدَى تَقْدِيمَ أَطْوعِنا [٤] … فقد رَضِيتُ ، حَمَاكَ [٤] اللهُ ، تَقْدِيمِى

وإنْ أَحَبَّ الثَّرَى جِسْمًا ليَأْكُلَه … أَسْمَحْ بجِسْمِى له يَفْدِيكَ تَعْظِيمِى

عِشْنَا [أَلِيفَيْنِ] فى بَرِّ الهَوى زَمَنًا [٥] … حَتَّى رَقَى بِنَوانا [٥] طائِرُ الشُّومِ

فَشَتَّتَتْ نُوَبُ الأَيَّامِ أُلْفَتَنا … قَسْرًا ولم يُغْنِهَا ظَنِّى وتَنْجِيمِى

(١–١) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .

(٢–٢) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .

(٣) الذخيرة (ق) : « بحبى فيك للوم » .

(٤–٤) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .

(٥–٥) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .

٥٩

فى مدح ممدوح غير معروف

طَرَقَتْكَ بالدَّهْنا وصَحْبُكَ نُوَّمُ والليْلُ أَدْهَمُ بالثُّرَيّا مُلْجَمُ

* * *

والشّامُ خِطّتُكُمْ ولَيْسَتْ نِسْبةً إلاّ كَما نُسِبَتْ إلَيْها[1] الأَنْجُمُ

٦٠

وصف النحلة

وطائِرةٍ تَهْوِى كأَنَّ جَناحها ضَمِيرٌ خَفِىٌّ لا يُحَدِّدُهُ وهْمُ

مُلازِمةٍ للرَّوْضِ حتى كأَنَّما لها كُلُّ ما تفْتَرُّ عنه الرُّبَى طُعْمُ

تَمُجُّ بفِيها الشَّهْدَ صِرْفاً ويختَفِى لمُشْتارِهِ ما بيْنَ أَحْشائِها سَهْمُ

مُنافِرةِ الإنْسِ تأْنَسُ بالفَلا مُفَرِّقة الشَّهْدِ ، مِن بَعْضِها السُّمُّ

فإدْناؤُها رُشْدٌ ، وهَتْكُ حِجابِها إذا احْتَجَبَتْ فى غَيْرِ أيّامِها ظُلْمُ

---

(١) فى الأصل : « اليه » .

٦١

شكوى إلى سليمان المستعين

وقالتِ النَّفْسُ لمَّا أن خَلَوْتُ بها   لأَشْكُو إلَيْها الهَوى خِلْواً من النِّعَم :

حتّامَ أنْتَ على الضَّراءِ مُضْطَجِعٌ   مُعرِّسٌ في دِيارِ الظُّلْمِ والظُّلَمِ ؟

وفي السُّرى لكَ لَوْ أَزْمعتَ مُرْتَحِلاً ،   بُرْءٌ من الشَّوْقِ أَوْ بُرْءٌ مِن العدمِ [1]

ثُمَّ اسْتَمرَّتْ بِفَضْلِ [2] القَوْلِ تُنْهِضُني [3]

فقُلْتُ : إنِّي لأَسْتَحْيِي بَنِي الحكَمِ

المُلْحِفِينَ رِداءَ الشَّمْسِ مَجدهُمُ   والمُنْعِلِينَ الثُّرَيَّا أَخْمصَ القَدمِ [4]

أَلِمتُ [5] بالحُبِّ حتى لَوْدنا أَجلى   لَمَّا وجدْتُ لطعْمِ الموْتِ مِن أَلَمِ

وذادني [6] كَرمي عَمَّن [7] ولِهتُ به [8]

وَيْلِي مِن الحُبِّ أَو ويْلِي مِن الكَرمِ

تَخَوَّنَتْني رجالٌ طالَما شكَرتْ   عَهْدِي وأَثْنَتْ بِما راعيْتُ من ذِمَمِ

لَئِنْ وردْتُ سُهيْلاً غِبَّ ثالِثَةٍ   لَتَقْرَعَنَّ على السِّنِّ مِن نَدَمِ

---

(١) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ب ، ث ، لب) .

(٢) الذخيرة (د) : « بفضل » .

(٣) الذخيرة (ق) : « ويقبضني » .

(٤) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « الهمم » .

(٥) في جميع نسخ الذخيرة « ألمت » ؛ المطمح ، النفح (مرتين) : « كلفت » .

(٦) الجذوة : « زاد في » ؛ المطرب : « زادني » ؛ النفح (المرة الثانية) : « عاقني » .

(٧) البغية : « عما » .

(٨) هذا المصراع في المطمح ، النفح (المرة الأولى) : « كلا الندى والهوى قدما ولعت به » .

هُنــاكَ لا تَبْتَغِى غَيْرَ السَّـناءِ يَدِى
ولا تَخِفُّ إلى غَيْرِ العُـلا قَدَمِى

حتى تَرانِى فى أَدْنَى مَـواكِبِهِمْ ... على النَّعـامةِ شَلَّالًا مِن النَّعمِ
رَيَّانَ مِن زَفَراتِ الخَيْلِ أُورِدُها ... أَمْواهَ نِيطة[1] تَهْوِى فيه باللُّجُمِ
قُدّام أَرْوعَ مِن قَـومٍ وجدتُهُم ... أَرْعى لحقِّ العُلا مِن سالِفِ[2] الأُمَمِ

٦٣

غـــــزل

أَلا بِأَبى زائِرِى فى العــتَمْ ... بوجْـــهٍ يُجلِّى سَواد الظُّلَمْ
تَكَتَّم باللَّيْلِ فى ظِـــــلِّهِ ... وهل يُمْكِنُ الصُّبْحُ أَن يُكتَتَمْ ؟
أَتَى يسْتَجِيرُ أَلِيفًـــــا لـه ... كما جاوب[3] البانُ رطب العنَمْ
وقد رقَّ[4] مَاوَرْدُ تلك[4] الخُدُودِ ... بما سال مِن مِسْكِ تِلْكَ اللِّمَمْ
وكانَ يُحمْحِمُ تَحْتَ العِــذارِ ... كحمْحمةِ الخَيْلِ تَحْتَ اللُّجُمْ
فقَلْتُ : مَنِ الزّائِرى والدُّجى[5] ... يَسُدُّ العُيُونَ بِثَوْبٍ أَحمّ ؟[6]

---

(١) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « بيضة » ؛ (ق) : « مرآة بيضة » .
(٢) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « سائر » .
(٣) الذخيرة (ق) : « جاور » .
(٤-٤) الذخيرة (ب ، ت) : « ماء تلك » .
(٥) الذخيرة (ب ، ت) : « فى الدجى » .
(٦) الذخيرة (ب ، ت) : « بثوب أدم » .

فقالَ أبو جعفرٍ : لائِمٌ   بما جئتَ من كَذِبٍ يُنتَظَمْ [1]
فأيْقَنْتُ أنَّ أبا خالِدٍ   سَرى [2] وخيالَ حَبيبي أَلَمّ
فأبْصرتُ وجْهاً حكاهُ الهِلالُ   وثغراً حكى الدُّرَّ لمّا ٱبْتَسمْ
وإلَّا فَعفوٌ يُقيلُ العِثارَ   فذُو العرْشِ يَرْحمُ مَن قدرحِمْ [3]
فقالَ : بلِ العفْوُ ياسيِّدِي   وقَبَّلَني مِن بَعيدٍ وضَمّ
فبِتُّ على بردِ طِيبِ الرِّضا   أُسرُّ بلَيْلِي وإنْ لم أَنَمْ
وقُلْتُ : ابْنَ زَيْدُونَ ، لاكُنْتَ لِي   بِخَالٍ [4] ولا كُنْتَ لِي يابْنَ عَمّ
خَبيثٌ سَعى بَيْنَنا بالنَّمِيمِ   وقَطَّعَ خُلَّتَنا بالجلَمْ

٦٣

فى نية الهروب إلى مالقة

أَرى أَعْيُنًا ترنُو إلىَّ كأنَّما [5]   تُساوِرُ منها جانِبيَّ أراقِمُ
أَدورُ فلا أعْتامُ غيْرَ مُحارِبٍ   وأَسْعى فلا أَلْقَى امْرءًا لِي يُسالِمُ [6]

---

(١) الذخيرة (ب ، ت) : « تنتظم » .
(٢) فى الأصول الثلاثة : « سرى وآن خيال » .
(٣) قبل هذا البيت بيت مضطرب فى الذخيرة (ب ، ت) نصه ما يأتى :
نقلت أمر بهم فأشعر   بضرب فاحذر سماك نلم
(٤) الذخيرة (ق) (ب ، ت) : « لا كنته بخال » .
(٥) الذخيرة (ق) : « كأنها » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ق) .

ويجلبُ لِي فَهمِي ضُرُوباً مِن الأَذَى   وأشقَى امْرِيءٍ في قَرْيَةِ الجهلِ عالِم
وأَوْجعُ مَظْلُومٍ لِقَلْبٍ وذِي حِجًى   فَتى عَربيٌّ تزدريهِ أَعــاجِمُ
حُنيتُمُ ، على ماتزعمُونَ ، عن الورى   لقد سَفِهَتْ تِلْكَ الحُلُومُ الزَّوَاعِمُ
وهل يُقْدِمُ البازِي على الطَّيْرِ في الضُّحى   إذا زالَ عن ريشِ الجناحِ القَوادِمُ
سَلامٌ عليْكُم لا تَحِيّةَ شاكِرٍ   ولٰكِنْ شَجًى تَنْسدُّ منـه الحلاقِمُ
وما قُرِعتْ سِنى عليْكُم نَـدامةً   وأوْشِكْ غدًا أنْ يَقْرعَ السِّنَّ نادِمُ
عليْكُم بدارِي فاهْدِمُوها دعائِمًـا   ففى الأَرْضِ بنَّاءُونَ لِي ودَعائِمُ
لئِن أخرجتْنِي عنكُم شرُّ عُصْبة   ففى الأَرْضِ إخْوانٌ علىَّ أكارِمُ
وإنْ هَشَمَتْ حقِّى أُميّــةُ عِنْدها   فهاتا على ظَهْرِ المحجّةِ هاشِمُ
ولا غرو مِن تَرْكِكِ [1] القَلانِسِ جانِبًا [2]   إذا عَرفَتْ حَقِّى هُناكَ العمــائِمُ [3]
ولمّا فَشا بِالدَّمْعِ مِنْ سِرٍّ وجْدِنا   إلى كاشِحِينا ما القُلُوبُ كواتِمُ
أَمرْنا بِإمْساكِ الدُّمُوعِ جُفُونَنــا   لِيشْجِى بما تطوِى عَذُولٌ ولائِمُ
فظَلَّتْ دُمُوعُ العيْنِ حيْرى كأنَّها   خِــلالَ مآقِينـــا لآلٍ توائِمُ [4]
أبَى دَمْعُنا يَجْرِى مَخافــةَ شامِتٍ   فنَظَّمَهُ بَيْنَ [5] المحاجِرِ ناظِمُ
وراقَ الهَوى منّا عُيونٌ كَرِيمــةٌ   تَبسَّمْنَ حــتّى ما تَرُوقُ المباسِمُ

(١) بالأصول « تلك » .
(٢) الذخيرة (ب ، ر ، ق ، لب) : « جانباه » .
(٣) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ق) .
(٤) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ب ، ت) .
(٥) المترب : « فوق » .

٦٤

مديح عبد العزيز المؤتمن

أمَّا الرِّياحُ بجوٍّ عاصِمْ ... فحلبْنَ (١) أخلافَ الغمائِمْ

* * *

سَهِرَ الحيا برياضِها ... فأسالَها والنَّوْرُ نائِمْ
حتى اغتدتْ زهراتُها ... كالغيدِ باللُّجج (٢) العوائمْ
مِن ثيِّباتٍ لم تُبَلْ ... كشفَ الخدودِ ولا المعاصِمْ
وصِغارِ أبكارٍ شكتْ ... خَجلًا فعاذتْ بالكمائِمْ
وَرْدٌ كما خجلَتْ خدو ... دُ العِينِ مِن لَحظاتِ هائمْ
وشَقِيقُ نُعمانٍ شكتْ ... صَفحاتُه مِن لَطْمِ لاطِمْ
وغُصونُ أشجارٍ حَكَتْ ... رقصَ المآتِمِ للمآتِمْ (٣)
حَيِيتْ (٤) بطُوفانِ الحيا ... فتضاحكَتْ والجوُّ واجِمْ!
أصنافُ زَهْرٍ طُوِّقَتْ ... دُررًا تذوبُ بكفِّ ناظِمْ
مِن باسِمٍ باكٍ إليْـ ... ـكَ نَدٍ وباكٍ وهو باسِمْ (٤)

---

(١) المسالك: «فجلين».
(٢) الذخيرة: «وبالبج».
(٣) الذخيرة: «والمآتم المآتم».
(٤–٤) لم يقع إلا في البديع.

بُكَرِ الحِسانُ يرِدْنَها   مِن كُلِّ واضِحةِ الملاغِمْ

وضَحِكْنَ عُجْباً فالتَقَتْ   فيها المباسِمُ بالمباسِمْ

ضَحِكَتْ وأوْمَضَ [1] بارِقٌ   فظَلِلْتُ للبرْقَيْنِ شائِمْ

وتَشَوَّفَتْ فتطامَنَتْ [2]   أجْيادُ أظْبيها الحوائِمْ

ورنَتْ [3] فبادر نَرْجِسٌ   يشْكُو عَماهُ إلى حَمائِمْ [4]

طارَدْتُهُنَّ بفِتْيَةٍ   خُرْدٍ على حرْبِ المُسالِمْ

وكأنَّنى فِيهِمْ لَقِيطٌ   قادَ مِن أحْياءِ دارِمْ

وتكاوستْ فيها الأبارِقُ   وهْيَ فاهِقةُ الحلاقِمْ

وكأنَّها أظْبٍ رَعَفْنَ   فثُرْنَ دامِيَةَ الخَياشِمْ

وجرى بها فلَكُ الصِّبا   باللَّهْوِ والقُضُبُ اللَّوائِمْ [5]

وكأنَّنا [6] فيها العفارِتُ [7]   والكُئُوسُ مِن الرَّواجِمْ [8]

وعلا بنا سُكْرٌ أبى   إلَّا الإنابةَ لِلْمَحارِمْ

نَرمِى فلانِسنَا لهُ   ونَجُرُّ مِن عَذَبِ العمائِمْ

وتَرنَّمتْ فيها القِيانُ   لنا ورجَّعتِ البواغِمْ [9]

---

(١) الذخيرة (ب، ق، لب)، العيون: «أزعج».

(٢) الذخيرة (ر): «فتعامت».

(٣) المسالك: «قلمت».

(٤) المسالك: «الحمائم».

(٥) المسالك: «وانقضت الروائم».

(٦) العيون، المسالك: «وكأنها».

(٧) المسالك: «والمقارب».

(٨) المسالك: «الأراقم».

(٩) العيون: «النواعم».

قُمْنَــا تُصَـفِّقُ بالأكُفِّ (م) لها ونَرْقُـصُ بالجمـاجِمْ

وأغَـنَّ مِنْ سَـدنِ المُـلُو كِ سَـليلِ[1] أقْيـالٍ خضارِمْ

يَشْـكُو الرِّعَــاث تَمَعُّمًا[2] ويضِجُّ مِنْ حمْـلِ التَّمائِمْ

لا تَسْتَحِيـهِ الرَّاشِــفا تُ ولا تُبــالِيهِ اللَّـوائِمْ

يُجْنِينَـهُ ثَمـَـرَ النُّحُو رِ ويعْتَلِينَ بـه المحـازِمْ

مُتَجـاهِلات أنَّـهُ يَهْـوى وهُنَّ بـه عَوالِمْ

لازَمْتُ باب مَحَلِّـهِ والنُّجْـحُ مِن قَنَصِ المُلازِمْ

حتى إذا وثِقَتْ بنـا عُجُـزُ الحواضِنِ والخَوادِمْ

أيْقَنْتُ من أخْـذِى له وتَلَوْتُ مِن سُـورِ العـزائِمْ

واقْتَـدْتُهُ بشَـكائِمِى فانْقـاد فى تِلْكَ الشَّـكائِمْ

فوردْتُ جَمَّـاتِ[3] المُـنَى وكَـرُمْتُ عن لُؤمِ[4] المآثِمْ

وأغَـرَّ[5] قـد لَبِس الدُّجى بُرْدًا فَرَاقَكَ وهْـو فاحِمْ

يَحْـكِى بغُــرَّتِهِ هِـلا لَ الفِطْــرِ لاحَ لِعَيْنِ صائِمْ

فـكأنَّما[6] خـاضَ الصبا حَ فجاءَ مُبْيَضَّ القَـوائِمْ

ويسِـيرُ فى يَبَسِ الثَّرى[7] وكأنَّهُ فى البحْـرِ عـائِمْ

---

(١) المسالك : «مليك» .

(٢) هذا المصراع فى المسالك : «يشلو للرفات ترنما» .

(٣) المسالك : «مامول» .

(٤) المسالك : «حمل» .

(٥) المسالك : «وأغر» .

(٦) المسالك : «وكأنما» .

(٧) الذخيرة (ق) : «الكرى»

أرمِى بـه بَقَـر الحِمَـى وَأَصُدُّ عن عُصُمِ العواصِمْ[1]
وتجـانِى فَتْـقَ النُفُـو سِ مِن المهارِيتِ الدَّلاقِمْ
حتى إذا عَلَمُ الصَّـبا حِ أشار مِن تِلْكَ المعالِمْ
وتَمايلَتْ أيْـدِى الثُّريّـا (م) وهى مُذْهَبةُ الخَـواتِمْ
ورنَتْ ذُكاءُ بنـاظِرٍ رمِـدٍ مِن الأقْـذاءِ سالِمْ
طَـلَعَ الصُّوارُ لحِينِـهِ[2] وكأنَّه المـوْجُ المُـراكِمْ
أوْ عسْكرٌ رَكِبُـوا الخُيُو لَ الشُّهْبَ واحْتَقَرُوا الأداهِمْ
فاشْـتدَّ سُبَّقُنا لـه يَكْشِـرْنَ عن مِثْلِ اللَّهاذِمْ
وكأنَّنـا فى رميهـا نَسْتَلُّ مِن بِيضِ الصَّوارِمْ
فحمى أواخِـرَهُ أغَـرُّ (م) مُعاوِدٌ تِلْكَ المـلاحِمْ
يَهْـوِى برَوْقَى مِخْـرَبٍ طَبِنٍ بحَرْبِ الغُضْفِ حازِمْ
وكأنّمـا أرْواقُهـا مُسْـوَدَّةً أقْـلامُ عالِمْ
فتَبادَرَ الفِتْيـانُ مِـن جَنَباتِـهِ أشْهَى المَطاعِمْ
نَيْئًا ومُطَّبَخًـا عـلى جَمْـرٍ زَهَتْـهُ الرِّيحُ جاحِمْ
وبَعِيـدةِ الأرْجَـاءِ نـا زِحَةٍ عـلى أيْدَى الرَّواسِمْ
لا تَدَّعِى جَـوْبًا لهـا ذاتُ الخَـوافِى والقَـوادِمْ

(١) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى اليتيمة .
(٢) المسالك : « ولبين » .

مِنْ فِتْنَةٍ قد أَسْبَلَتْ ظُلُماتُها بيدِ المَظالِمْ
عَمَهَتْ لها [1] أَحْلامُنا وكأَنَّها [2] أَضْغاثُ حالِمْ
وتَضاءَلَتْ أَجْرامُنا فيها بِمُوبِقَةِ الجَرائِمْ
وتَحَوَّلَتْ فينا الذُّنا بَى الرأْسَ ، وابْنُ المَجْدِ راغِمْ
وأَدارَ كُلُّ صَغيرِ قَدْ رِ المُنْتَهَى أَرْحَى العَظائِمْ
فكأَنَّنا عُمْيٌ نُسا قُ على العَمَى في ظِلِّ عاتِمْ
حتّى انْتَضَى عَبْدُ العَزِيـ زِ عَزِيمَةً مِن صَدْرِ عازِمْ
فَبَدَتْ لنا سُبُلُ الهُدَى بِنَواجِمٍ غَيْرِ الهَواجِمْ [3]
ضَرَبَ الأَعاجِمَ سُودَها بالسُّدِّ مِن بِيضِ الأَعاجِمْ [4]
فاسْتَجْفَلوا فكأَنَّما ضَرَبَ الثَّعالِبَ بالضَّراغِمْ
أَبْناءُ مَلْكٍ حِمْيَرِيٍّ قامَ بالغُرِّ القَماقِمْ
مِن عامِرٍ أَهْلِ الصَّنا ئِعِ وَالصَّنائِعِ والكَرائِمْ
الكُفْرُ عنهمْ قاعِدٌ قِدْمًا ودِينُ اللهِ قائِمْ
حَكَمَ الزَّمانُ بِظُلْمِهِمْ دَهْرًا وصَرْفُ الدَّهْرِ ظالِمْ
فارْتَدَّ بَهْجَةَ مُلْكِهِمْ كَرُّ الخُبَعْثِنَةِ الضُّبارِمْ
واشْتَدَّ يَنْظِمُ حَزْمَهُمْ شَيْحانُ طَلّاعُ المَخارِمْ

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) : «له» ؛ المسالك : «بها» .
(٢) الذخيرة (ب ، لب) ، المسالك : «فكأنها» .
(٣) كذا في الأصل (الذخيرة) ؛ ف : «التراجم» .
(٤) كذا في الأصل (الذخيرة) .

ذَكَرٌ على ذَكَرٍ يَصُـــو   لُ وصارِمٌ يَسْطُـو بصـارِمْ
إِيـهٍ هَبِـا عَبْدَ العَـزِ   يزِ وأَنْتَ زَجَّامُ المَرَاجِمْ [1]
قَمَرٌ تُضِيءُ لـه الخُطُـو   بُ على دَآدِيها الفَـواحِمْ
تَسْرِى الرِّيـاحُ بمَجْـدِهِ   فنَسِيمُهـا بالغَـوْرِ فـاغِمْ
لم يَرْوَ مِن مـاءِ الشَّبـا   بِ وكُلُّ أَشْيَـبَ عنه خائِمْ
رَعْيًا لمُـؤْتَمَنٍ رَعَـى   فينَـا الحَدائِثَ والقَـدائِمْ
بَدَأَتْ أَوائِلُـه وعـا   دَ لكَشْـفِ غاشِيَـةِ الغَيَاهِمْ
لا تَتْرُكَنْ صرم الزمَـا   نِ على ظُبَى تِلْكَ الصَّـوارِمْ
وارْمِ الخُطُـوبَ بمِثْلِهَـا   عَزْمًا فأَنْتَ لها مُسَاهِـم
وإِلَيْكَهَـا من نَاطِـقٍ   يَدْعُوكَ إِذْ صَمَتَ البَهَائِـمْ

---

(١) الاخيرة (ب ، ق ، لب) : «زحام المزاحم» .

حرف النون

٦٥

فى الفخر

وما أَلانَ قَناتِى غَمْـزُ حادِثةٍ ولا ٱسْتَخَفَّ بحِلْمِى قَطُّ إِنْسَانُ

أَمْضِى على الهوْل قدْما لا ينهنِهنى وأنثنِى [1] لسفِيهى وهْو حرْدان

ولا أُقارِض جهالا بِجهلِهِـم والأَمْر أَمْرِى [2] والأَيام أَعْوان

أُهِيب بالصبْرِ والشحْنـاءُ ثائِرة وأَكظِم [3] الغيْظ والأَحْقاد نيرانُ

وما لِسانِىَ عِند القوْمِ ذو ملقٍ ولا مقـالِى إذا [4] ما قلت إِدْهان

ولا أَفوه بغيْرِ الحق خوْف أَخِـى وإنْ تـأَخر عنى وهْوَ غضبـان

ولا أَمِيل على خِلِى فمَا كلـه إذا غرِثت وبعْض الناسِ ذؤبان

وَدُّ الفتى منهم لو مُتَّ مِن يدِهِ وأنه منك ضخم الجوْفِ مَلْآنُ

إِن الفتوة ، فاعْلمْ ، حَدُّ مطلبها عِرْض نَقِىٌّ ونطق فيه تِبْيـان

بالعِلمِ يفخر يوْم الحفلِ حامِلُه وبالعفافِ غداة الجمْعِ يزدان

---

(١) البنية : «وانثنى» .

(٢) البنية : «أسرى» .

(٣) البنية : «وأعظم» .

(٤) الجذوة : «وإذ» .

إن [1] الكريمَ إذا [2] نالته مَخْمَصَةٌ ... أبْدى [3] إلى الناسِ شِبْعاً [4] وهْوَ طَيّانُ [5]

يحْنِي الضلوعَ على مِثلِ اللظى حُرَقًا ... والوجْه غَمْرٌ بماءِ البِشْرِ ملآن [6]

* * *

أقلُّ كُلٌّ قَليلٍ خِلٌّ [7] ذِي أَدَب ... بيْنَ الوَرَى وأَقلُّ النَّاس إخْــوَان

وما وَجَدْتُ أَخًا في الدَّهْرِ يَذكُرُني ... إذا سَمَا وعلا يَوْمًا به الشَّانُ

---

(١) المطمح ، النفح : « نابة » .
(٢) في جميع الأصول « إذ » .
(٣) البغية : « شكا » .
(٤) المطمح ، النفح : « ريا » .
(٥) المطمح ، النفح : « ظمآن » .
(٦) النفح : « ريان » .
(٧) البغية : « جد » ؛ الجذوة : « جل » . ولكن « خل » أحسن .

٦٦

زيارة ضيف في الشتاء

وَلَمّا رأَيْتُ اللَّيْلَ عَسكَرَ قُرُّهُ ... وهَبَّتْ له رِيحانِ تَلْتَطِمَانِ

وعَمَّمَ صُلْعَ الهُضْبِ مِن قَطْرِ ثَلْجِهِ ... يَدانِ مِن الصِّنَّبْرِ تَبْتَدِرانِ

رَفَعْتُ لِسَارِي اللَّيْلِ نارَيْنِ فارْتَأَى ... شُعَاعَيْنِ تَحْتَ النَّجْمِ يَلْتَقِيَانِ

فأَقْبَلَ مَقْرُورَ الحَشَا لم تَكُنْ له ... بِدَفْعِ صُرُوفِ النَّائِباتِ يَدانِ

فقُلْتُ : إلى ذاتِ الدُّخانِ ، فقالَ لي : ... وهل عُرِفَتْ نارٌ بغَيْرِ دُخَانِ ؟

فمِلْتُ به أَجْتَرُّهُ نَحْوَ جَمْرَةٍ ... لها بارِقٌ للضَّيْفِ غَيْرُ يَمانِ

إذا ما حَسَا أَلْقَمْتُهُ كُلَّ فِلْذَةٍ ... لفَرْخَةِ طَيْرٍ أَوْ لسَخْلَةِ (١) ضانِ

فما زالَ في أَكلٍ وشُرْبٍ مُدارَكٍ ... إلى أَنْ تَشَهَّى التَّرْكَ شَهْوَةَ وانِي

فأَلْحَفْتُهُ ، فامتَدَّ فَوْقَ مِهادِهِ ... وخَدّاهُ بالصَّهْبَاءِ تَتَّقِدانِ

وما انْفَكَّ مَعْشُوقَ الثَّواءِ (٢) نَمُدُّهُ (٣) ... ببِشْرٍ وتَرْحِيبٍ وبَسْطِ لِسانِ (٤)

تُغَنِّيهِ أَطْيَارُ القِيانِ إذا انْتَشَى ... بصَنْجٍ وكَيْثَارٍ وعُودِ كِرانِ

ويَسْمُو دُخَانُ المَنْدَلِ الرَّطْبِ فَوْقَهُ ... كما احْتَمَلَتْ رِيحٌ مُتُونَ عُثَانِ

إلى أَنْ تَشَهَّى البَيْنَ مِن ذاتِ نَفْسِهِ ... وحَنَّ إلى الأَهْلِينَ حَنَّةَ حانِي

فأَتْبَعْتُهُ ما سَدَّ خَلَّةَ حالِهِ ... وأَتْبَعَنِي ذِكْرًا بكُلِّ مَكَانِ

---

(١) الذخيرة (ر ، ق) : «لسلخة» .

(٢) النفح : «الشتاء» .

(٣) النفح : «يمده» .

(٤) النفح : «بنان» .

٦٧
فى هجاء جعفر بن محمد بن فتح

هَلاَّ سَتَرْتَ الشَّيْنَ بِالزَّيْـــنِ ... مِن قَبْلِ إحْضَارِ الوَزِيرَيْـــنِ ؟
قد عَلِمَا أَنَّهُمَا أُحْضِــرا ... لخَلْوةٍ أَثْقَلَ مِن دَيْـــنِ
لمّا تَدَانَتْ قابَ قَوْسَيْـــنِ ... أَصابَهَا الحاسِدُ بِالعَيْـــنِ
فانْصَرفا مِثْلَ انْصِرافِ الفَتَى ... أَسْلَمَ إلْفًا لِيَدِ البَيْـــنِ
صَدَّهُمَا [1] مِن قِرْدِك المُصْطَفَى ... نَطْحَةَ نَطَّاحٍ بِـــرَوْقَيْنِ
وما رأَى النَّاسُ عـلى ما مَضَى ... مِن قَبْلِهِ قِـــرْدًا بقَـــرْنَيْن
أَرْبَعَةٌ فى مَجْلِسٍ جُمِّعُـــوا ... فطارَ هَذَانِ بِهَـــذَيْنِ
قـد لَزِمَـــا جَنْبَيْكَ لم يَبْرَحَا ... لَهْفِى على ضَيْعَـــةِ جَنْبَيْـنِ
فأَنْتَ ما بَيْنَهُمَا جـــالِسٌ ... جُلُوسَ أَيْرٍ بَيْنَ خُصْيَـــيْنِ

---

(١) الذخيرة (ر) : «خدهما» .

٦٨

مديح عبد العزيز المؤتمن

هاتِيكَ دارُهُمُ فقِفْ بمَغَانِها … تَجِدِ[1] الدُّموعَ تَجِدُّ فى هَمَلانِها

عُجْنَا الرِّكابَ بها فَهَيَّجَ وَجْدَنَـا … دِمَنٌ ذَعَرْنَ[2] السِّرْبَ مِن إدْمَانِها[3]

دارٌ عَهِدْتُ بها الصِّبا لِيَ دَوْحَـةً … أتفيَّأُ الفرَحَـاتِ مِن أفْنَانِها

أرْعى على بَقَرِ الأُنَيْسِ بجَوِّها … وأُحكِّمُ الصَّبَواتِ فى غِزْلانِها

وإذا تَهَادَتْ بالشُّمُوسِ نَوَاعِمًا … فيها الغُصُونُ جَنَيْتُ مِن رُمّانِها

قَضَتِ النَّوَى بِذِيادِ رُجَّحِ عِينِهِمْ … ظُلْمًا[4] وكانَ الدَّهْرُ مِن أعْوَانِها

زَجَرُوا اغْتِرابًا مِن نَعِيبِ غُرابِهِمْ … وقَضَوا ببَيْنٍ مِن مُغَرِّدِ بانِهَـا

فبَدا لهم وَجْهُ الفِرَاقِ مُوَقَّحًا … آتٍ[5] على خَبَرِ النَّوَى بعِيانِها

يَقْذِفْنَ دُرَّ الدَّمْعِ فى يَوْمِ النَّوَى … عن جُمَّةٍ لَعِبَ الأَسَى بجُمانِها[6]

وَدَّعْتُهُمْ وزِنَادُ قَدْحٍ فى الحَشَا … دُونَ الضُّلُوعِ يَشُبُّ مِن نِيرانِها[7]

---

(١) لم يقع إلا فى الذخيرة .
(٢) الذخيرة : «دحون» .
(٣) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .
(٤) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : «صلفا» .
(٥) كذا فى الأصل (الذخيرة) وينبغى أن يكون «آتيا» .
(٦) الذخيرة : «بنات قرح» .
(٧) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .

وأَسَلْتُهَا ذَوْبَ [1] الجُفُونِ كَأَنَّهَا … أَيْدِى بَنِى المَنْصُور فى سَيَلانِهَا[3]

يا صاحِبَىَّ إذا وَنَى حادِيكُمَا[2] … فَتَنَشَّقَا النَّفَحَـــاتِ مِن ظَيَّانِهَا

وخُذَا لمُرْتَبَع [4] الحِسانِ فرُبَّمَا … شَفَعَ الشَّبَابُ فصِرتُ مِن أَخدانِهَا[5]

عَاوَدَتْ ذِكْرَ العَيْشِ فيه وما انْقَضَى … مِن صَبْوتِى ، وطَوَيْتُ مِن أَزْمانِهَا[6]

فَبَكَيْتُ مِن زَمَنٍ قَطَعْتُ مَراحِــلاً … وشَبِيبَةٍ أَخْلَقْتُ مِن رَيْعَانِهَا

ورَعَيْتُ مِن وَجْهِ السَّمَـــاءِ خَمِيلةً … خَضْرَاءَ لاحَ البَدْرُ مِن غُدْرانِهَا

وكأَنَّ نَثْرَ النَّجْمِ ضَأْنٌ وسْطَهَا[7] … وكأَنَّمَا الجَوْزاءُ راعِى ضانِهَـــا

وكأَنَّما فيـــه الثُّريَّا جوْهــرٌ … نَثَرتْ فَرَائِدهُ يدا [8] دبرانِهَـــا

وكأَنَّما الشِّعْرى عقِيلةُ مَعْشَرٍ … نَزَلَتْ بأَعْلى النَّسْرِ مِن ولِدانِهَـا

وكأَنَّما طُرُقُ المَجَرَّةِ مَنْهَــجٌ … للعامِرِيَّة ضاءَ من فينانِهَـــا

المُعْجِلِين عِداتَهُمْ بِرِماحِهِـمْ … والجاعِلِين الهَـام مِن تِيجانِهَا

أَسْرى لهم بالخَيْلِ حتَّى خَيَّلُوا … أَنَّ الجِبالَ رمَتْهُمُ بِرِعانِهَـــا

ورمى العِدَى بِكَتَائِبٍ مِلءَ الفَضا … أَغْمدْنَ نَصْلَ الصُّبْحِ فى رهَجانِهَا

مِن كُلِّ سلْهَبةٍ تَطِيرُ بأَرْبَـــعٍ … يُنْسِيك مُؤْخَرُهَا التِّماحَ لَبَانِهَا

---

(١) الذخيرة (ق) : « صوب » .

(٢) لم يقع هذا البيت إلا فى الذخيرة .

(٣) الذخيرة (ب ، لب) : « هاديكما » .

(٤) اليتيمة : « بمرتبع » .

(٥) هذا المصراع فى الذخيرة : شفع الشباب فكنت « الف حسانها » (« ق : « فكن ») .

(٦) لم يقع هذا البيت والأربعة التى تليه إلا فى الذخيرة .

(٧) المغرب : « عنده » .

(٨) المسالك : « يده » .

(٩) لم يقع إلا فى اليتيمة .

نَشَأُوا بزاهِرةِ المُلُوكِ ومائِهَـا   وكأنَّهُمْ نَشَأُوا على غَسَّانِهَا
وأرتْهُمُ العُرْبُ الكِرامُ مِصاعهَا   فَتَعلَّمُوا مِن ضَرْبِهَا وطِعانِهَا [1]

* * *

أنا طَوْدُهَـا الرَّاسِى إذا ما زَلْزَلَتْ   أيْدِى الحوادِثِ مِن فُؤادِ جبانِهَـا
وعلىّ للصَّبْرِ الجميلِ مُفاضـةٌ   زَغْفٌ أَفَلُّ بها شَباةَ سِنانِهَـا
وكأنَّنِى لمَّا كَرُمْتُ وقد شَكَتْ   أرْضِى الحوادِث غِبْتُ مِن حدثانِهَا [2]
[3] والنَّفْسُ نَفْسٌ مِن شُهَيْدٍ سِنْخُها   سِنْخٌ غَذَتْ منه العُلا بلِبانِهَـا
ما احْولَّ نَحْوِى لَحْظُ مُقْلَةِ ساخِطٍ   إلاَّ وضَعْتُ السَّهْم فى إنْسانِهَا
ولَوْ أنَّهُ نَطَح النُّجُوم بقَرْنِهِ   كُنْتُ الزَّعِيمَ له بنَحْسِ قِرانِهَا [3]
وقَضَتْ بعِزٍّ [4] النَّفْسِ مِنِّى دوْحةٌ   مِن عامِرٍ أصْبحْتُ مِن أغْصانِهَا
يا ابْنَ الأبالِجِ مِن مَعافِرَ والَّذِى   أرْبى بزِيدٌ على عُلا بُنْيانِهَـا [5]
أعْلَى كِتابُكَ فى مُهِمِّى [6] حُرْمتِى   وجلا جوابُكَ مِن دُجى حِرْمانِهَـا
فَلَيطْلُعنَّ إلَيْكَ مِن زَهرِ الحِجا   أبْكَارُ شُكْرٍ لُحْنَ فى إبَّانِهَـا
حُرُّ القَوافِى ماجِدٌ فى أهْلِهَـا   الشِّعْرُ عبْدٌ فى بنِى [7] عُبْدانِهَا
مدحَ المُلُوكَ وكان أيْضًا مِنهمُ   ولقد يُرى والشِّعْرُ مِن ذُؤبانِهَا [8]
أمْسى الفَرَزْدَقُ كُفْؤَها فى حوْكِهِ   وجرى القَضَاءُ لها على صَلَتانِهَـا

---

(١) لم تقع هذه الأبيات الثمانية الأخيرة إلا فى اليتيمة .
(٢) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .   (٢-٣) لم يقع إلا فى الذخيرة .
(٤) اليتيمة : « لعز » .
(٥) هذا البيت الى آخر الشعر لم يقع إلا فى الذخيرة .
(٦) الذخيرة (مب ، ق) : « مهانة » .   (٧) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « بنى » .
(٨) الذخيرة (م) : « ديوانها » ؛ (لب) : « دونانها » .

٦٩
حبه لقرطبة

عجُوزٌ لَعمْرُ الصِّبا فانِيــــهْ لها فى الحشَا صُورةُ الغانِيــهْ
زَنَتْ بالرِّجـــالِ على سِنِّهـــا فَياحبَّذَا هِىَ مِن زانِيــــــهْ
تُرِيك العُقُول على ضَعْفِهَـــا تُدارُ كمـــا دارتِ السّانِيــــهْ
فقد عثيتْ [1] بهَواها الحُلُو مُ فهْى براحتِهَا عانِيـــــــهْ
تَقَاصَرُ عن طُولِهَا قُونكَــةٌ وتَبْعُـدُ عن غُنْجِهَــا دانِيهْ
تَردَّيْتُ مِن حُزْنِ عيْشِى بهــا غَرامًا فَيا طُول أَحْزَانِيــــهْ

---

(١) النخيرة (ب ، ق ، لب) : «عبثت» .

حرف الهاء

٧٠

هجاء أبي عبد الله الفرضي

نالَتْ سُلَيْمان منه رِجْلٌ   مِن قَبْلُ ما أَرْجلَتْ أَباهُ
فاسْتَدْرِجا كاشِفِي دُجاهُ   يا وَيْلَةَ المرْءِ ، ما دهاهُ !
يا سُخْطَ ربِّ العُلا عليه   إذْ أَدَّتِ [1] المُرْتَضَى يَدَاهُ
لم يُبْقِ مِن زُمْرَةِ المعالِي   إلاَّ هِشامَ العُلا أَخاهُ
يا ربِّ فاحْرُسْهُ لِي بعيْنٍ   تَمْنَعُهُ الدَّهْرَ مِن أَذاهُ

---

(١) الذخيرة (ق) : « ودت » .

٧١
فى رثاء بنية صغيرة

أَيُّهَا المُعْتَدُّ فى أَهْلِ النُّهَى ... لا تَذُبْ إِثْرِ فَقِيدٍ ولَهَـا

* * *

وإذا الأُسْدُ حمتْ أَغيالَهَــا ... لم يضُرَّ الخِيس صَرْعاتُ المهَا
وغَرِيبٌ يا ابْن أَقْمارِ العُـلا ... أَنْ يُراع البدْرُ مِن فَقْدِ السُّهَا

٧٢
غــــزل

وآلى (١) زُهَيْرُ الحُبِّ ياعزَّ أَنَّهُ ... إذا ذَكَرتْهُ (٢) الذَّاكِراتُ أَتاهَـا
إذا جرتِ الأَفْواهُ يوْمًا بذِكْرِهَا ... يُخَيَّلُ (٣) لِى أَنِّى أُقَبِّلُ فاهَـا
فأَغْشَى دِيارَ الذَّاكِرِينَ وإنْ نَأَتْ ... أَجارِع مِن دارِى هَوًى لهَواهَـا

---

(١) الذخيرة : « والى » .
(٢) المغرب : « ذكرتك » .
(٣) المغرب : « تخيل » .

حرف الواو

٧٣

في الغــــزل

أصْلَحَ بَيْنِى وبَيْنَ مَن أهْــوَى ... مَن لا أُسمِّى ولا أبُوحُ بـــه

كَيْفَ يُداوِى مواضِعَ البَلْــوَى ... أرْسَلْتُ مَن كابَدَ الهَوَى فَدَرَى

لَكِنَّ إلْفِى يَعُدُّهــا دَعْوَى ... ولِى حُقُوقٌ فى الحُبِّ ظاهِرةٌ [1]

يارَبِّ فاحْفَظْنِى من الأسْوا [2] ... يارَبِّ إنَّ الرَّسُـــولَ أحْسَنَ بى

---

(١) البدائع : « ثابتة » .
(٢) لم يقع هذا البيت إلا فى الذخيرة (ب ، ت ، ر ، ل) .

حرف الياء

٧٤

رثاء الكاتب أبي جعفر بن اللمائي

أَمِن جَنابِهِمُ النَّفْحُ الجَنُـــوبِيُّ   أَسْرَى فصاكَ به فى الغَوْرِ غارِىُّ ؟
أَهْدَى إِلَيَّ ظَلاماً رَدْعَ نافِجـــة   أَدْماءَ شَقَّ بِها الدَّأْمــاءَ هِنْدِىُّ
واللَّيْلُ قد قامَ فى أَثْوابِ نادِبة (١)   كأَنَّهُ فَوْقَ ظَهْرِ الأَرْضِ نُوبِىُّ
والنَّجْمُ تحْسَبُهُ قدّامَ تابِعِـــــهِ   حَمــامةً رامَها فى الجَوِّ بازِىُّ
وجَدْوَلُ الأُفْقِ يَجْرِى فى مَنافِسِهِ   ماءٌ سَقى زَهْرةَ الخَضْــراءِ فِضِّىُّ
فقُلْتُ والسُّقْمُ مَنْشُورٌ (٢) على جَسَدِى
يحْدُو الرَّدَى ورِداءُ العَيْشِ مَطْوِىُّ (٣)
أَهْدَى(٤) اللَّمائِىُّ مِن أَزْهارِ فِكْرَتِهِ
نَشْراً (٤) فقالَ الدُّجى : مَرَّ(٥) اللَّمائِىُّ
فقِيلَ : ماتَ ، فقالَ اللَّيْلُ قارِبَ ذا   فانْهَلَّ مِن مُقْلَتِى نَوْءٌ سِمــاكِىُّ

---

(١) الذخيرة (ب ، ق) ، المسالك : «نابية» .
(٢) الذخيرة (ق) : «مستور» .
(٣) هذا البيت ناقص فى المسالك .
(٤—٤) ن فى الذخيرة (ب) .
(٥) المسالك : «أين» .

وبِتُّ فَرْدًا أُناجِى مُقْلِتِى شَغَفًا[١]

كأنَّنِى [٢] فى نُقُوبِ الدارِ جِنِّىٌّ

لا عِشْتُ إنْ مُتَّ لِى يا واحِدِى أَبدًا   ومَوْتُنــا واحِدٌ لاشَكَّ مرئِىٌّ[٣]

إنَّ الكَرِيمَ[٤] إذا ما ماتَ صاحِبُه

أَوْدَى بِهِ الوجْدُ[٤] وَالثُّكْلُ الطَّبِيعِىُّ

إنْ مُتُّ قبْلكَ لاتَعْجَبْ فذُو أَمَلٍ   قد حُمَّ مِن دُونِه يَوْماً حِمَامِىُّ[٥]

أَوْ مُتَّ قبْلِى فما[٦] مَنْعَاكَ لِى عَجَبٌ

إنَّ الكَرِيمَ إلى الأَصْحابِ مَنْعِىُّ

زادَ البلاءُ على نَفْسِى فَأَعْدَمَها   صَبْرِى ، فصَبْرِى عَلَيْكَ اليَوْمَ وَحْشِىُّ

حتّى أَهِمَّ بقتلى كُلَّ داجِيَــةٍ   يا قَــوْم هل رامَ هذا قَبْلُ إنسِىُّ؟

إنِّى [٧] إلى اللهِ مِن عُقْبَى بُلِيتُ بها

جَرَى بِها الحُكْمُ [٧] و الأَمْرُ الإلٰهِىُّ

(١–١) ن فى الذخيرة (ب ، ق) .

(٢) المسالك : « مهجة شغفا » .

(٣) هذا البيت ناقص فى المسالك .

(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت) .

(٥) الذخيرة (ق) : « قضى » .

(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت) .

(٧–٧) ن فى الذخيرة (ب ، ت) .

العنوان	المؤلف	الاختصارات
نفح الطيب	المقــرى	النفح
نفح الطيب (طبعة القاهرة الأولى)		طق ١
» » (» » الثانية)		طق ٢
» » (» ليدن)		طل
» » (نسخة أكسفورد)		أكس
» » (» باريس)		ب
» » (» جوتا)		ج
» » (» ليدن)		ل
» » (» المتحف البريطانى الأولى)		مب ١
» » (» » » الثانية)		مب ٢
وفيات الأعيان	ابن خلكان	الوفيات
يتيمة الدهر	الثعالبى	اليتيمة

فهرس الديوان

الرقم	العنوان	القافية	الصفحة
حرف الهمزة			
	هجاء الفقهاء		
١	(من مديح هشام المعتد)	الأعداء	٨١
٢	فى مديح أبى مروان	نحاءها	٨٢
حرف الباء			
٣	فى الفخر	صابِ	٨٥
٤	مديح الوزير أبى القاسم الافليلى	الأحزابِ	٨٧
٥	وصف البرغوث	الثيابُ	٨٧
٦	فى الغزل	تُسكَبُ	٨٨
٧	رثاء القاضى أبى حاتم بن ذكوان	كاذِبا	٨٩
٨	فى الحكمة	مَشرَبِ	٩١
٩	غزل	شَنَبِ	٩١
١٠	مديح عبد العزيز المؤتمن	العَتَبِ	٩٢
١١	وصف ساقية صغيرة	راتبهْ	٩٤
١٢	هجاء الوزير أبى جعفر بن عباس	الخطابهْ	٩٥
١٣	فى الفخر	جابُها	٩٥
حرف الحاء			
١٤	فى رثاء صالح	صالحِ	٩٦
حرف الدال			
١٥	مديح أبى عامر بن المظفر	الأعْيادُ	٩٧
١٦	فى الشكوى	جمادِ	٩٧
١٧	أبيات فى شاهد قبره	مَجُودُ	٩٨

الرقم	العنـــــوان	القافية	الصفحة
١٨	فى السجن	نَتَجيـدُ	٩٩
١٩	فى مدح ممدوح غير معروف	أزْنـدا	١٠٢
٢٠	غــزل	عَتهَّدا	١٠٥
حـــرف الراء			
٢١	هجـاء كاتب غير معروف	دارُ	١٠٦
٢٢	فى رثاء حبيب	القرير	١٠٦
٢٣	رسالة الى اخوانه فى علته	ذكرُ	١٠٧
٢٤	فى مدح يحيى المخلى	معشرُ	١٠٧
٢٥	ختام رسالة	ميرُ	١٠٩
٢٦	رثاء قرطبة	تستخبرُ	١٠٩
٢٧	مديح أبى محمد بن حزم	مُضافر	١١١
٢٨	فى رثاء نفسه	ناظـر	١١٣
٢٩	غــزل	بالناظـر	١١٤
٣٠	شكوى من أعدائه الى سليمان المستعين	الصدر	١١٤
٣١	فى الديـر	خمـوره	١١٥
٣٢	مديح عبد العزيز المؤتمن	بخـزيره	١٦١
حـــرف السين			
٣٣	وصف الذئب	يتنفسُ	١١٩
٣٤	معارضة لامرىء القيس	الضـس	١٢٠
حـــرف الطاء			
٣٥	فى وصف الطبيعة	تاختطا	١٢١
حـــرف العين			
٣٦	فى مدح ممدوح غير معروف	سبـاعُ	١٢٣
٣٧	فى المجـون	داعى	١٢٤
٣٨	وصف الربيع « من مديح سليمان المستعين »	تطلُّع	١٢٥
٣٩	وصف حمامه « عند زيارة أبى عامر بن المظفر »	وقعـا	١٢٦

الرقم	العنوان	القافية	الصفحة
حـرف الفـاء			
٤٠	على باب اليهـود	تُكْشَفَا	١٢٧
٤١	وصف الباقلاء ، فى جنان القاضى أبى حاتم بن ذكوان ،	مَدَفَا	١٢٧
حـرف القاف			
٤٢	وداع الإخـوان	سَبَّاقِ	١٢٩
٤٣	فى مدح يحيى المعتلى	أوْلَقُ	١٣٠
٤٤	مدح يحيى المعتلى ، عند انتصاره على السودان بإشبيلية ،	مُرْتَفَقَا	١٣١
٤٥	غـزل	يتعشق	١٣٢
٤٦	فى مدح سليمان المستعين	لقى	١٣٢
٤٧	رسالة إلى أبى محمد بن حزم فى علته	لاحق	١٣٣
٤٨	وصف الفرس	طلـق	١٣٥
٤٩	مديح يحيى المعتلى	دِ ماتِهـا	١٣٦
حـرف اللام			
٥٠	هجاء أبى عبد الله القرضى ، من مديح سليمان ابن المرتضى ،	رجـالُ	١٣٨
٥١	وصف مجلس الإخوان	نبيـلُ	١٣٩
٥٢	وصف الحرشف	زَنْبيـلِ	١٤٠
٥٣	فى وصف رحلة صيد	أسيلِ	١٤٠
٥٤	فى عتاب الزمان	صاهلِ	١٤٢
٥٥	فى رثاء نفسه ، وقد عزم على الانتحار ،	قتلَهَا	١٤٥
٥٦	رسالة إلى الوزير أبى مروان بن إدريس الجزيرى	رَسَائِلُهُ	١٤٦
حـرف الميم			
٥٧	فى رثاء الوزير حسان بن مالك	قديمِ	١٤٧
٥٨	سلام إلى حبيبه فى علته	تسلّمِ	١٤٩
٥٩	فى مدح ممدوح غير معروف	مُلْتَجَمُ	١٥٠
٦٠	وصف النحلة	وَهْمُ	١٥٠

الصفحة	القافية	العنـــوان	الرقم
١٥١	النَّعَمِ	شكوى إلى سليمان المستعين	٦١
١٥٢	الظُـلَمْ	غـزل	٦٢
١٥٣	أراقمُ	فى نية الهروب إلى مالقة	٦٣
١٥٥	الغَمَـائمْ	مديح عبد العزيز المؤتمن	٦٤
			حـرف النون
١٦١	إنسانُ	فى الفخـر	٦٥
١٦٣	تَلْتَطمانِ	زيارة ضيف فى الشتاء	٦٦
١٦٤	الوَزِيرَين	فى هجاء جعفر بن محمد بن فتح	٦٧
١٦٥	هَمَـلانِهَا	مديح عبد العزيز المؤتمن	٦٨
١٦٨	الغانيَـهْ	حبه لقرطبـة	٦٩
			حـرف الهاء
١٦٩	أبـاهُ	هجاء أبى عبد الله القرشى	٧٠
١٧٠	ولَهـا	فى رثاء بنية صغيرة	٧١
١٧٠	أتاهـا	غـزل	٧٢
			حـرف الواو
١٧١	أهْـوَى	فى الغـزل	٧٣
			حـرف الياء
١٧٢	غاريُّ	رثاء الكاتب أبى جعفر بن اللمائى	٧٤

حواشي القصائد

(١)

المصادر : « الذخيرة » و « المغرب » (ج ١ ص ٨٥) . ويورد ابن بسام نص هذه القصيدة فى المجلد الثالث ، الفصل التاسع عشر ، أى خارج محيط الجزء الخاص بشعر ابن شهيد . ولقد أوردنا نص القصيدة عن مخطوطة جوتا (٢١٣٦ Perch ورق ١٤١ و ٢ ظ) ومخطوطة ليڤى پروڤنسال (ورق ٧٠ ظ ـــ٧١ و) ، وهى الآن فى معهد الدراسات الاسلامية فى اسبانيا ، وكذلك المخطوطة المدريدية (ورق ٩٥ و . ظ) فى الأكاديمية التاريخية الملكية (مجموعة جاياًنجوس ١٢) . وعند ابن سعيد نجد فقط البيتين الأول والثالث ، ولكن فى قراءة أحسن قليلا ، رغم أنه يخطىء فى وصف القصيدة فيقول إنها مرثية قيلت عند سقوط هشام المعتد (الثالث) . وابن سعيد ينقل جزء القصيدة هذا عن كتاب يبدو محتملا جدا أن يكون هو كتاب « المسهب » من تأليف الحجارى . والبحر : الكامل . وتاريخ تأليفها عام ٤٢١ هـ (١٠٣١ م) . انظر المقدمة ص ٤٦ ــ ٤٧ . وكذلك دوزى : Histoire des musulmans ج ٢ ، ص ٣٤٠ . مارق : أى عبد الرحمن بن الحياط .

(٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٦) و « اليتيمة » (ج ٢ ص ٣١ ــ ٣٢) . ولعل الثعالبي نقل هذه القصيدة عن نفس المصدر الذى نقل عنه القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ (انظر الحاشيتين) ــ البحر : الطويل . ولم نتمكن من التحقق من شخصية أبى مروان الذى يخاطبه شاعرنا بهذه القصيدة . فالدلائل فى متن القصيدة تدل على أنها كتبت فى تمام نضج ابن شهيد وعنفوان قواه الشعرية ، لذلك كان من غير المعقول أن تكون الاشارة هنا الى أبى مروان الجزيرى صديق طفولته ، أو الى أبى مروان والد الشاعر :

(٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٠ ــ ٢٢١) و « المسالك » (ج ١١ ص ٢١٠) و « المغرب » (ج ١ ص ٨١) و « اليتيمة » (ج ٢ ص ٣٤) . وأما ابن سعيد (البيتان ٦ ، ٧ فقط) وابن فضل الله العمرى (الأبيات ٥ ــ ٧ فقط) فانهما ينقلان عن « الذخيرة » . ولربما كان المصدر الذى نقل عنه الثعالبي القصيدة ٢٠ والقصيدة ٢٤ ، هو الذى نقل عنه أيضا هذه القصيدة . ــ البحر : الخفيف . وتاريخ التأليف لابد سابق لأعوام ٤١٦ ــ ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ ــ ١٠٢٩ م) إذ هو منقول فى « الرسالة » ، فان أبا الطبع ، شيطان البحترى ، يسود وجهه غيرة حينما يلقى ابن شهيد هذه القصيدة إبان رحلته السماوية .

(٤)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٠) . — والبحر الخفيف . انظر المقدمة ص ٢٩ .

(٥)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٥ — ١٨٦) . — والبحر : الكامل . ولم نتمكن من تحديد تاريخ التأليف ولا اكتشاف الظروف التى قيلت فيها القصيدة .

(٦)

المصدر : « اليتيمة » (ج ٢ ص ٤٤) . ومن المحتمل أن المصدر الذى نقل عنه الثعالبى هذه القصيدة هو نفس مصدر القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ — والبحر : الكامل . ولا شىء عن تاريخ تأليف القصيدة أو ظروف تأليفها .

(٧)

المصادر : « المطمح » (ص ١٩ — ٢٠) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣) . وبالرغم من أن نص القصيدة التى يوردها المقرى أكمل وأحسن ، الا أنه من الواضح أنه ينقل النص عن « المطمح » . ومن الواضح أيضا أنه استعمل نسخة خطية أحسن مما لدينا الآن أو أحسن على الأقل من النسخة التى تم منها طبع ذلك الكتاب . — والبحر : الطويل . تاريخ تأليف القصيدة : عام ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) . انظر المقدمة (ص ٣٥) . وانظر كذلك بيريس La Poésie andalouse ص ٢٩٦ .

(٨)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٤٨ — ٢٤٩) وابن فضل الله العمرى : المسالك ، (ج ١١ ص ٢١٢) والعمرى ينقل عن « الذخيرة » — والبحر : الكامل وقد ألفت القصيدة فى تاريخ سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، اذ أنها وردت فى « الرسالة » .

(٩)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٥) . والبحر : الرمل . ولا شىء عن تاريخ التأليف أو ظروفه .

(١٠)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٧٨ — ١٧٩) و « المسالك » (ج ١١ ص ٢٠٩ — ٢١٠) . والعمرى ينقل عن « الذخيرة » . — والبحر : الرمل . وتاريخ التأليف على الأرجح بعد سنة ٤١٢ هـ . (١٠٢١ م .) والقصيدة قيلت فى مدح المؤتمن . انظر بيريس La Poésie andalouse ص ٣٧٧ .

(١١)

المصادر : « البدائع » (ص ١٦٥) و« الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٠) و« النفح » (ج ٤ ص ٢٢٨) و« المسالك » (ج ١١ ص ٢١٣) . و« الذخيرة » هي المصدر الرئيسي الذي أخذت عنه كل المصادر الأخرى . وابن بسام ينقل القصيدة عن نسخة خطية من يد ابن حيان . — والبحر : مخلع البسيط . وتاريخ التأليف سابق لعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) تقريبا . — انظر المقدمة ص ٤٦ .

(١٢)

المصادر : « البدائع » (ص ٤٣) و« الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٢) و« النفح » (ج ٥ ص ١٤٦) . ولكن نص « البدائع » ونص « النفح » منقولان عن « الذخيرة » . — والبحر : المتقارب . والتاريخ : عام ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) . انظر المقدمة ص ٥٠ . ويقول ابن بسام أن فكرة البيت الثالث قد أخذها عن هذه القصيدة ابن زيدون (الديوان ، ص ٥٩٣) .

ويقول ابن بسام أيضا إن البيت الرابع يشبه في مبناه شعراً لم يورد نصه لشاعر لم يمكن التحقق من شخصه ، ولكنه رغم ذلك يتضمن هذين البيتين للنابغة :

ياسائلي عن خالدٍ ، عهدي به	رَطْبُ العجانِ وكفُّه كالجلمد
كالأقحوانِ غداة غِبِّ سمائهِ	جفَّتْ أعاليهِ وأسفله نَدِي

(١٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٤٦ — ٢٤٧) و« المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٢) و« المغرب » (ج ١ ، ص ٨٣) . وابن سعيد والعمري ينقلان البيتين الثالث والرابع فقط عن « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، اذ أن هذه القصيدة وردت في « الرسالة » .

(١٤)

المصدر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٣ ظ) والنص الوحيد المفرد هو في مخطوطة « باريس » . — البحر : الطويل . ولا شيء عن تاريخ التأليف وظروفه .

(١٥)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٧) و« المغرب » (ج ٢ ، ص ٨٤) . وابن سعيد ينقل النص من « الذخيرة » . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف سابق لعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) تقريبا . انظر المقدمة ص ٤٦ .

(١٦)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٧ — ٢١٨) . والبحر : المتقارب . والتاريخ : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، اذأن القصيدة وردت فى « الرسالة » .

(١٧)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٧) و « العيون » (ج ١١ ص ٣٥٧) و « القلائد » ص ١٥٣ ، و « النفح » (الجزء الثانى : الصفحات ١٦١ ، ١٦٢) . وأحسن النصوص النص الوارد فى « الذخيرة » وعنه نقل ابن شاكر . أما المقرى فهو ينقل عن « القلائد » . — والبحر : مخلع البسيط . وتاريخ التأليف : ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . — انظر المقدمة (ص ٦٣) . انظر كذلك نيكل : Hispano - Arabic Poetry ص ١٠٤ . ويقول ابن بسام إن البيت الثانى فيه صدى لبيتى ابن المعتز (الديوان ، ص ٣٣٨) :

وسُكانِ دارٍ لا تَـزاوُرَ بَيْنَهمْ على قُرْبِ بَعْضٍ فى المحَلَّةِ مِن بَعْضِ
كأنَّ خواتيما مِن الطِّينِ فوقهمْ فلَيْسَ لها حتّى القِيامةِ مِن فَضِّ

ويضيف ابن بسام الى ذلك قوله إن الفكرة ربما أخذت عن بيت المعرى فى قصيدته فى رثاء أمه (« سقط الزند » ، ص ٤٠) :

سَألْتُ متى اللِّقاءُ ؟ فقِيلَ : حتى يقُومَ الهامِدُون مِن الرِّجـــامِ .

(١٨)

المصادر : « الذخيرة » (مرتين) و « المطمح » (ص ٢٠ — ٢١) و « النفح » (ج ٤ ص ٣٣٣ — ٣٣٤) . وأحسن نص ذلك الذى يورده « المطمح » وعنه نقل المقرى . وأول ظهورها كان فى « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥) حيث ورد فقط البيتان ٧ — ٨ و ١١ — ١٢ والشطر الأول . وثانى مرة ظهرت فيها ، كانت فى القسم الثانى (المخطوطة القاهرية — أدب ٢٣٤٧ — ص ٤٢ — ٤٣) حيث ورد فيها البيت الرابع عشر (وهذا البيت لم يظهر فى أى مصدر آخر) وكذلك البيت الخامس عشر . ونص القصيدة مطابق لمخطوطة اكسفورد ف ١٩ ، ر) انظر دوزى Historia Abbadidarum ج ١ ص ٣١٦ ، ٣٦٠ — ٣٦١ . — البحر : الطويل . والتاريخ : عام ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) تقريبا . — انظر المقدمة ، ص ٣٠ . وكذلك بيريس : La Poésie andalouse ص ٦٥ — ٦٦ .

(١٩)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤) و « العيون » (ج ١١ ص ٣٥٧) و « المسالك » (ج ١١ ص ٢٢٠ — ٢٢١) و « المطمح » (ص ١٨) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٢) و « النفح » (ثلاث مرات) ، و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٤ — ٣٥) . والمصادر الرئيسية هى « الذخيرة » و « المطمح » و « اليتيمة » ،

وهى كلها يكمل بعضها البعض ، وعنها تنقل كل المصادر الستة الأخرى . والمقرى ينقل أولا (ج ٤ ، ص ٣٣١ – ٣٣٢) النص الوارد فى « المطمح » ، ثم ينقل (ج ٤ ، ص ٤٠٦ – ٤٠٧) عن « الذخيرة » ، ثم ينقل أخيرا (ج ٨ ص ١١١ – ١١٢) الأبيات ٢ – ٣ ، ١٢ ، ١٥ – ١٧ ، من كتاب من تأليف ابن ليون عنوانه « أنداء الديم » ، وهو كتاب ضاعت كل نسخه ، فلم يعد له اليوم وجود . وأما نص ابن سعيد (الأبيات ١ – ٣ ، ٦ – ١٠ ، ١٢ – ١٤ ، ١٦ – ١٧ فقط) ونص ابن شاكر (الأبيات ١ – ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١١ على التوالى ، فقط) ونص العمرى (الأبيات ٢ – ٣ ، ٨ – ٩ ، ١٢ ، ١٤ – ١٧ فقط) فمن المحتمل أنها جميعا تنقل عن « الذخيرة » . ومن المحتمل كذلك أن الثعالبى استند فى نصه الى نفس المصدر الذى نقل عنه القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ . — والبحر : الرمل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ – ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ – ١٠٢٩ م) ، اذ أن القصيدة وردت فى « الرسالة » ، بل إنها جاءت لصاحبها بتقريظ شديد على لسان حسين الدنان ، شيطان أبى نواس ، عندما ألقى القصيدة ابان رحلته السماوية ، فصاح حسين الدنان قائلا : « لله أنت وان كان طبعك مخترعا منك » .

(٢٠)

المصدر : « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٤٤) . وقد سمعها الثعالبى من الشيخ أبى سعيد بن دوست نقلا عن الفقيه الوليد أبى بكر الأندلسى . — والبحر : الخفيف . ولا شىء عن تاريخ التأليف أو ظروفه .

(٢١)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٢) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٣) . وابن سعيد ينقل البيت الثانى فقط من « الذخيرة » . — والبحر : البسيط . وتاريخ تأليفها سابق للأعوام ٤١٦ – ٤٢٠هـ (١٠٢٥ – ١٠٢٩ م) اذ جاء ذكر القصيدة فى « الرسالة » .

(٢٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١١) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) و « المغرب » (ج ١ ص ٧٩ – ٨٠) . وابن سعيد ينقل البيتين ٣ – ٤ فقط عن « الذخيرة » وكذلك ينقل عنها العمرى . — والبحر : المتقارب . أما تاريخ التأليف فيبدو أن هذه القصيدة قد كتبت خصيصا لكى تكون فى الرسالة ، فلا بد أنها كتبت بين الأعوام ٤١٦ – ٤٢٠ هـ (١٠٢٤ – ١٠٢٩ م) .

(٢٣)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٥) . — والبحر : البسيط . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ – ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ – ١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٤ .

(٢٤)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورق ٢٠٣ و) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٣ – ٢١٤ ، ٢٤٦) و « الرايات » (ص ٤٣) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨١) و « اليتيمة » (ج ١ ص ٣٠ – ٣١) .

وأحسن النصوص نص الثعالبي الذي سمعها من الشيخ أبي سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي . أما « الذخيرة » فانها في المرتين لا تورد غير الشطر الأول والأبيات ٥ — ١٠ . أما النصوص الثلاثة الباقية فانها كلها تنقل عن « الذخيرة » ، فعماد الدين الأصبهاني ينقل الأبيات ٨ ، ١٠ — ١١ بينما ابن سعيد ينقل البيت الحادي عشر في « الرايات » وينقل الأبيات ٥ ، ٧ — ٨ ، ١٠ — ١١ في « المغرب » — البحر : الطويل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) اذ جاءت في « الرسالة » . وقد قرظها في الرحلة السماوية عتيبة ، شيطان امرىء القيس (ص ٢٢١) . انظر المقدمة ، ص ٣٤ . و « الوشيج » في البيت الرابع الشجرة التي تصنعها من خشبها الرماح .

(٢٥)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ٢ ، ص ٦٤) و « النفح » (ج ٣ ص ٢٥٦) . والمقرى يقر بأن « الذخيرة » مصدره . — والبحر : الطويل . وهذا البيت هو آخر بيت في قصيدة ضاعت بقيتها ، يخاطب فيها ابن شهيد صديقا آلمه منه بعض أفعاله ، مما دعا ذلك الصديق الى الاعتذار والتوبة .

(٢٦)

المصدر : « أعمال الأعلام » (ص ١٢٢ — ١٢٣) . ونص القصيدة في هذه الطبعة الصادرة عن مخطوطة « فاس » ، تطابق كلية نص القصيدة في مخطوطة « مدريد » (الأكاديمية التاريخية الملكية ، كوديرا ٣٧ ، ورق ١٨٧ظ — ١٨٨و) . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م) . انظر المقدمة ص ٢١—٢٢ . وكذلك انظر بيريس : La Poésie andalouse ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٢٧)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠) . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : بين عام ٤٠٩ هـ (١٠١٩ م) وحوالي عام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٢ . أما كلمة « السلمانية » في البيت الخامس ، فهي صفة تشير الى سلمان الفارسي الصحابي الجليل .

(٢٨)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٤) . وابن سعيد ينقل الأبيات ١ — ٤ ، ٦ — ٧ فقط من « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : من ٤٢٥ الى ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ — ١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٢ .

(٢٩)

المصادر : « الجذوة » ص ١٢٦ و « البغية » (ص ١٨٠) و « المطرب » (ص ١٤٩) . والضبي ينقل عن « الجذوة » . ونصوص القصيدة كلها متطابقة . — وبحرها المتقارب . ولا شيء يذكر عن تاريخ التأليف أو ظروفه .

(٣٠)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٣) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٢) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٤٠٣) . والعمرى ينقل عن « الذخيرة » الأبيات ١ – ٤ ، ٦ فقط ، وعنها أيضا ينقل المقرى . — والبحر : الطويل . وتاريخ تأليفها عام ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) تقريبا . انظر المقدمة ص ٢٧ .

(٣١)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٢) و « المطمح » (ص ١٩) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨١) و « النفح » (ج ٢ ، ص ٦٦ – ٦٧) . وابن سعيد ينقل الأبيات ١ – ٢ ، ٦ فقط من « الذخيرة » ، أما المقرى فينقل عن « المطمح » . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ – ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ – ١٠٢٩ م) اذ هي واردة في « الرسالة » . انظر المقدمة ، ٢٦ . وكذلك بيريس La Poésie andalouse ص ٢٧٧ – ٢٧٨ ، وسيمونت Historia de los mozárabes ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ ، ٦٤٨ – ٦٤٩ .

(٣٢)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ ، ٢٤٨) . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف بعد عام ٤١٢ هـ (١٠٢١) على الأرجح ، اذ أنها قيلت في مدح المؤتمن . و « المنصور » المذكور في البيت الواحد والعشرين هو أبو عامر محمد بن أبي عامر ، جد الممدوح ، و « الناصر » هو عبد الرحمن بن أبي عامر والد الممدوح .

(٣٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٣٧) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٢) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٧ – ٣٨) . والعمرى ينقل بالتتابع (١ ، ٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥) عن « الذخيرة » . وأربما كان مصدر الثعالبي وهو يورد فقط نص البيتين ٤–٥ ، هو نفس مصدره في القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ – ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ – ١٠٢٩ م) اذ وردت القصيدة في « الرسالة » .

(٣٤)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ص ٢٠٢ ظ – ٢٠٣ و) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٤٥) و « الرايات » (ص ٤٢ – ٤٣) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢٠٧) و « المطرب » (ص ١٥٢) و « النفح » (ج ٤ ، ص ١٨٦ – ١٨٧) و « الوفيات » (ج ١ ، ص ٩٩) . وأحسن النصوص النص الوارد في « الذخيرة » وعنه نقلت معظم المصادر الأخرى ان لم تكن كلها نصوصها . والمقرى يوردها خلال نصوص الكتاب الشهير « رسالة في فضل الأندلس » من تأليف الشقندى . ولقد أخذنا ترتيب البيتين الأخيرين الى ما كانا عليه في صورتهما الأولى بالتأكيد . — والبحر : المتقارب . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ – ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ – ١٠٢٩) اذ أنها وردت في « الرسالة » انظر « نيكل Hispano-Arabic

Poetry ص ١٠٤ ، وغرسيةغومس : Poemas arábigoandaluces ، ص ١١٨ . والقصيدة تطوير فكرة جاءت عند امرىء القيس (الديوان ، ص ٣١) :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نامَ أَهْلُهَــا ... سُمُوَّ حَبَابِ المــاءِ حَالًا على حَالِ

(٣٥)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧) و « النفح » (ج ٢ ، ص ١٥١ — ١٥٢) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٧) . وأكمل النصوص نص الثعالبي ، ويحتمل أن مصدره هنا هو نفس مصدره في القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ . ويؤيد نص الثعالبي النص الوارد في « الذخيرة » . أما المقرىء فهو ينقل النص الأخير من « الذخيرة » من جديد . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) اذ أنها وردت في « الرسالة » . انظر بيريس : La Poésie andalouse ، ص ٢٢٠ . أما « البرير » في البيت الخامس فهو باكورة ثمار الأراك .

(٣٦)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٤٣) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٤) و « المسالك » ، (ج ١١ ، ص ٢٠٧) و « المطرب » (ص ١٤٩) و « الوفيات » (ج ١ ، ص ٩٨ — ٩٩) ، وأحسن نص هو الوارد في « الذخيرة » ، أما المصادر الأربعة الأخرى فانها تورد فقط البيتين الأول والثالث ، — البحر : الطويل ، وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) إذ أنها وردت في « الرسالة » .

(٣٧)

المصادر : « البدائع » (ص ٢٠٢) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥) و « المطمح » (ص ١٨) . وأما المصدران الأولان فالنصان فيهما يكمل بعضهما البعض . ومن العجيب أن أكمل النصوص هو النص الذى أورده ابن ظافر . وهناك بعض الاختلاف في ترتيب الأبيات ، أما نحن فقد فضلنا الترتيب المتبع في « الذخيرة » وأدمجنا فيه البيتين اللذين لم يردا في « الذخيرة » في المكان الذى جاءا فيه في النص الوارد في « المطمح » ، و « البدائع » ترتب الأبيات هكذا : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، و « الذخيرة » ترتبها ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٨ و « المطمح » يرتبها : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ . — والقصيدة بحرها المتقارب . وتاريخ تأليفها سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٦٥ — ١٠٢٩ م) إذ أنها وردت في « الرسالة » انظر المقدمة ، ص ٢٣ .

(٣٨)

المصدر : « البديع » (ص ٣٥—٣٦) . وهى نسخة فريدة في مخطوطة « الاسكوريال » (رقم ٣٥٣) . انظر اللوحة رقم (٣) فيما سبق . — البحر : الكامل . وتاريخ تأليفها : ٤٠٣ — ٤٠٥ هـ (١٠١٣ — ١٠١٥ م) انظر المقدمة ص ٢٢ .

(٣٩)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورق ٢٠٣ و) و« الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٧) . والنص فى المصدر الأول الذى يورد فقط الأبيات ٥ — ٦ ، مأخوذ من المصدر الثانى — والبحر : البسيط ، وتاريخ التأليف سابق لعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) تقريبا . انظر المقدمة ، ص ٤٦.

(٤٠)

المصادر : « القلائد » (ص ١٥٣) و « النفح » (ج ١ ص ١٤٨ ، ج ٢ ، ص ١٦١) . والمقرى فى أول مرة ينقل النص عن « القلائد » ، وفى المرة الثانية ينقل عن مصدر لم يمكن التحقق منه . — البحر : المتقارب . — انظر « المقدمة » ، ص ٥٩ .

(٤١)

المصادر : « البدائع » (ص ١٥٦) و « البديع » (ص ١٦٥ — ١٦٦) و« الذخيرة » (قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٢٨ — ٢٩) و« النفح » (ج ٤ ، ص ٢٢٨) . وأحسن النصوص النص الوارد فى « الذخيرة » . ويعترف المقرى وابن ظافر بأنهما أخذا عنه . أما النص الوارد فى « البديع » فهو مستقل تماما عن المصادر الأخرى . — والبحر : المنسرح . وتاريخ تأليفها سابق لعام ٤١٣ هـ . (١٠٢٢ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٦ . وانظر بيريس La Poésie andalouse ص ١٩٥

(٤٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧) و« العيون » (ج ١١ ، ص ٣٦١ — ٣٦٢) . أما ابن شاكر فهو ينقل عن « الذخيرة » . — والبحر : البسيط . وتاريخ التأليف : عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٤ .

(٤٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤) . والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : ٤١٤ — ٤١٦ هـ (١٠٢٤ — ١٠٢٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٤٢ ، و« الخورنق » فى البيت الثالث قصر فى الحيرة قضى النعمان ابن امرئ القيس ستين سنة فى بنائه . والصورة فى البيت الأخير مسروقة . انظر المتنبى (الديوان : ص ٣٧٩) :

إذا زَلقَتْ مشَّيْتها ببُطُونِها كما تتمشَّى بالصَّعِيدِ الأَراقِمُ

(٤٤)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٦٨ — ٢٧٧) و« المغرب » (ج ١ ، ص ٥٤) . أما ابن سعيد فهو يورد البيت العاشر فقط ، وينقله عن « الذخيرة » . — والبحر : البسيط ، وتاريخ التأليف : عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٧ ، و« النهر » فى البيت السابع هو نهر الوادى الكبير ، ويقول ابن بسام إن الشطر الثانى من البيت السادس يشابه بيتى شاعر لم يذكره هو على وجه التحقيق ، ولكنه فى الواقع أبو العلاء (« سقط الزند » ص ٩٦) ، حيث يقول :

وعلى الأُفْقِ مِن دِماءِ الشَّهِيدَيْـ ـنِ : علىّ ونَجْلِه شـاهِدانِ

فهُما فى أَواخِرِ اللَّيْـلِ فَجْرا نِ وفى أُولَيَـاتِه شَفَقانِ

(٤٥)

المصادر : « البدائع » (ص ٤٣) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٦٢) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٨) و « النفح » (ج ٧ ، ص ١٤٥) . والمصادر الثانوية الثلاثة كلها تنقل عن النص الوارد فى « الذخيرة » . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) انظر المقدمة ، ص ٥٠ .

(٤٦)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٧٤) . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : ٤٠٣ — ٤٠٦هـ (١٠١٣ — ١٠١٦ م) . انظر المقدمة ، ص ٢٢ . وكلمة « عبشمية » فى البيت السابع ، صفة من « عبد شمس » ، وهم بنو أمية . ويقول ابن بسام إن البيت الثانى يشير إلى بيت شعر لابن هانىء (لم يرد فى ديوانه) ، يقول فيه :

لاتسـلنى عن اللَّيالِى المواضِى وَأَجِـرْنِى مِن اللَّيـالِى البواقِى

بينما البيت الأخير فيه أصداء من شعر المتنبى (الديوان : ص ٣١٢) :

ولمَّا رأيْتُ النَّاسَ دُونَ محلِّه تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ للنَّاسِ ناقِدُ

(٤٧)

المصادر : « الجذوة » (ص ١٢٤ — ١٢٥) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٢) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٩ — ٣٦٠) و « المطمح » (ص ٢١ — ٢٢) و « المغرب » (ج ١ ص ٨٤) و « النفح » (٤ ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥) . أما النصان الواردان فى « الذخيرة » و « الجذوة » فهما يكملان بعضهما البعض . وقد نقل ابن بسام نصه مباشرة من القصة التى رواها ودونها ابن حزم نفسه عن الحادثة ، وسمعها منه الحميدى . وأما ابن شاكر فهو ينقل الأبيات ١ — ٦ ، ٨ ، ١٢ فقط من « الذخيرة » . وأما المقرى فهو ينقل عن « المطمح » نص القصيدة التى يبدو أنها بدورها نقلت من « الجذوة » . أما ابن سعيد فهو ينقل البيت الرابع فقط من « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٦ — ٥٨ . وانظر أيضاً غرسية غومس Poesia arábigoandaluza ص ٦٣ ، و El collar de la Paloma ص ٩ ، وبيريس La Poesie andalouse ص ٤٦٨ . ويبدو أن ابن قزمان يقلد الأبيات ٨ — ١٢ فى الفقرة الشعرية السادسة من الزجل التسعين (Cancionero ص ٢١٥) :

ويُقيِم صاحِبِى سَوتُمّ كُلْ وَدُودْ

واذْ كُرُونِى علَيْه قِيامْ وقُعُودْ

والعِنَبِ كُلٌّ مَن أكَلْ عنقودْ
فيغرَّس في قبرى العَرْجُونْ

(٤٨)

المصدر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٣ و) . والنص الفريد المحفوظ فى مخطوطة « باريس » . — والبحر : الكامل . ولا شيء عن التاريخ أو ظروف التأليف .

(٤٩)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٣ ظ) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٧ ، ٢٤٨) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٣) . والنص الذى حققناه ونورده هنا مزايج من النص الذى ورد فى « الذخيرة » والنص الوارد فى « اليتيمة » . وبالرغم من أن القطعتين المبتسرتين اللتين أوردهما ابن بسام لا صلة ظاهرة لهما بأى مصدر آخر ، وليس فيهما أبيات مشتركة مع أبيات أى مصدر آخر ، إلا أن وحدة الموضوع والفكرة والبحر والقافية تبين أنهما جزءان من هذه القصيدة . ومن المحتمل أن الثعالبي قد أخذ نصه من نفس المصدر الذى أخذ عنه القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ (انظر الحاشيتين) . أما العمرى فهو ينقل البيتين الرابع والخامس فقط من « الذخيرة » (فى موضعها الثانى) . أما عماد الدين الأصبهانى فهو ينقل الأبيات ١١ ، ١٤ ، ١٧ فقط من مصدر غير معروف . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف : من المحتمل أن القصيدة كتبت عندما كان الشاعر منفياً فى مالقة فى الأعوام ٤١٤ — ٤١٦ ﻫ (١٠٢٤ — ١٠٢٥ م) .

(٥٠)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٨٨) والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : عام ٤١٤ ﻫ (١٠٢٣ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٩ . و « سليمان » فى البيت الأول ، هو أبو أيوب سليمان بن المرتضى ، أما « ابن ذكوان » فمن المحتمل جداً أن يكون أبا بكر بن ذكوان ، ابن القاضى الشهير . أما « أبو عمران » المشار إليه فى البيت الثالث فهو صديق لسليمان .

(٥١)

المصادر : « البدائع » (ص ١٦٦) و « الذخيرة » (قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٢٧) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٢٢٩) وأما ابن ظافر والمقرى ، فهما يعترفان بأن المصدر الذى استقيا منه نصيهما ، هو كتاب « الذخيرة » . — والبحر : الرجز . والأمر أن بعضهم تحدى ابن شهيد يوماً من الأيام فى جمع من الأصحاب أن يصف المجلس حيث كانوا ، فجاء ابن شهيد فى وصفه بالعجب ، فذكر الأبواب وهى تقفل فتقرص أقدام الداخلين ، وذكر البساط الأحمر على الأرض ، وذكر الأحذية وطرف كل حذاء مستقر على حافة البساط ، وكل ذلك فى غموض ما كر مفتاح سره فى الأبيات الأولى .

المصادر : « البدائع » (ص ١٦٦) و « الذخيرة » (قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٢٨) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠) . وأما ابن ظافر والمقرى فكلاهما يقر بأنه ينقل النص عن « الذخيرة » . — والبحر : الرجز . — انظر بيريس La Poésie andalouse ص ١٩٥ . وأمر هذه القصيدة أن ابن شهيد كان وصاحب له راكبين الخيل يوماً فمرا على حانوت بعض معارفه الطرائفيين ، وبين يديه رامسنة جميلة فى زنبيل ملآن حرشفا ، فجعل يده فى لجام دابة ابن شهيد وقال له : صف هذا أبا عامر ، فإن صاحلاً رام وصف ذلك لابن أبي عامر ، فلم يأت بشىء غير ذكر الحرشف . فقال ابن شهيد (هذه القصيدة) ، وهو على ظهر دابته . وقد يكون من المناسب والأسهل أن تغير « حرشف » إلى « خرشوف » ، ولعل هذا بالإضافة إلى المعركة الصاخبة التى دارت حول هجاء هذه الكلمة وموقعها الأساسى فى القصيدة . انظر مثلا بيريس (La poésie andalouse ص ١٩٥) ، وغرسية غومس فى الجزء الرابع (ص٣٠٩) من مجلة « الأندلس » (سنة ١٩٣٩) ، ونيكل : Hispano — Arabic Poetry ص ٣١٢ هو الذى دعانى إلى أن لا أحاول إجراء أية تعديلات أو تبديل فى قراءة الأصل . ولعل هذا مثل من التصحيف ، وهو خطأ فى الهجاء متعمد ، كثيراً ما يلجأ إليه بعض شعراء العربية .

(٥٣)

المصادر : « الذخيرة » ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٤ — ٢١٥ ، و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص٣١) . والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، إذ أن القصيدة وردت فى « الرسالة » وفيها يحظى ابن شهيد بالتقريظ الشديد من عنتر بن العيلان ، شيطان طرفة بن العبد الشاعر الجاهلى . أما « الرسالة » الجوذان فى البيت التاسع فمعناه « النيلوفر » .

(٥٤)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨) و « الرايات » (ص ٤٣) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٢ — ٨٣) و « المسالك » (ج ١١ ، ٢١١) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣١) والمصدران الأخيران يكملان بعضهما البعض . أما ابن سعيد وهو يورد البيتين التاسع والثانى عشر فقط ، والعمرى وهو يورد الأبيات ٦ — ٧ ، ١٠ — ١٤ فقط ، فإنهما ينقلان عن « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) إذ أن القصيدة وردت فى « الرسالة » ، وفيها يلقى ابن شهيد هذه القصيدة على أسماع حارثة بن المغلس ، شيطان المتنبى . انظر : غرسية غومس : Poemas arábigoandaluces ص١١٩ أما « الثرثار » فى البيت الثالث ، فهو واد عظيم فى جزيرة العرب موقعه بين سنجار وتكريت ، حيث كانت منازل بكر ابن وائل ، التى كانت تحتل معظمها قبيلة تغلب . أما يوم المرج المذكور فى البيت الخامس فلعله يعنى به وقعة مرج راهط فى الشام ، وكان الوضاح جد بنى شهيد فيه مع الضحاك بن قيس (انظر ابن الأبار : الحلة ، نشر الدكتور حسين مؤنس جـ ١ ص ٢٣٨) .

(٥٥)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٢) . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ص ٥٥ . وانظر كذلك بيريس La poésie andalouse ص ٤٦٧—٤٦٨ .

(٥٦)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٨٤ — ١٨٥) . البحر : البسيط . وتاريخ التأليف لايمكن أن يكون لاحقا لعام ٣٩٤ هـ . (١٠٠٣ م .) انظر المقدمة ص ١٤ — ١٥ .

(٥٧)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٨ — ٢١٩) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) ، و « المطمح » (ص ٢٧ — ٢٨) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨١) و « النفح » (ج ٥ ، ص ٩١) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٣ — ٣٤) . ونصوص « الذخيرة » و « المطمح » و « اليتيمة » نصوص تكمل بعضها البعض ومن « الذخيرة » ينقل ابن سعيد حين يورد البيتين الأول والرابع فقط ، ومنها أيضا ينقل العمرى الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ فقط فى ذلك الترتيب . أما الثعالبي فينقل نصه عن « المطمح » . — والبحر : الطويل وتاريخ التأليف : عام ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) . انظر المقدمة ص ٤٣ — ٤٤ .

(٥٨)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥) . والبحر : البسيط ، وتاريخ التأليف : ٤٢٥ — ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ — ١٠٣٦ م) . انظر المقدمة ص ٥٤

(٥٩)

المصدر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٢ ظ) . والنسخة الوحيدة الباقية هى فى مخطوطة « باريس » . — والبحر : الكامل ، ولاشىء عن تاريخ التأليف أوظروفه . و « الدهنا » فى البيت الأول صحراء فى الربع الخالى .

(٦٠)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ ، ص ١٨٥) . — والبحر : الطويل . ولا شىء عن تاريخ التأليف أوظروفه.

(٦١)

المصادر : « البغية (ص ١٧٩ — ١٨٠) و « الجذوة » (ص ١٢٢) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٠ — ١٨٠) و « الجذوة » (ص ١٢٦) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٠ — ٢٥١) و « المطرب (ص ١٦٠) و « المطمح » (ص ١٧) و « المعجم » (ج ٣ ، ٢٢٣) ، و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٣) و « النفح » (ج ٢ ص ١٥١ ، ج ٤ ، ص ٤٠٨) . والنص الوحيد الكامل هو الوارد فى « الذخيرة » ، ومنها ينقل ابن سعيد البيتين الأول والثانى . أما الباقون فانهم جميعا ينقلون البيتين السادس والسابع فقط ، فالمقرى ينقلهما أول مرة من « المطمح » ، وينقلهما حاذيا حذو « الجذوة » التى يعتمد عليها بتصرف بقليل كل من الضبى وابن دحية وياقوت . والبحر : البسيط . ولابد أن القصيدة ألفت عام ٤٠٥ هـ (١٠١٦ م) أو قبلها بقليل . انظر المقدمة ص ٢٧ وانظر كذلك نيكل : Hispano—Arabic Poetry ص ١٠٤ وبيريس : La poésie andalouse ص ٤٠٩ . أما « سهيل » فى البيت التاسع ، فهو قصر وواد بالقرب من مالقة يسمى اليوم فوينخيرولا Fuengirola ، وأما « نيطة » فى البيت الثانى عشر فمعناها موضع مرتفع عن الماء .

(٦٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٠ — ٢٨١) . والبحر : المتقارب . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ — ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ — ١٠٣٦ م) . انظر المقدمة ص ٥٣ .

(٦٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٤) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٤٠٣) . وابن سعيد ينقل البيتين السادس عشر والسابع عشر فقط من « الذخيرة » ، ومنها أيضا ينقل المقرى . — البحر : الطويل . وتاريخ التأليف : ٤١٤ هـ (١٠٢٤ م) . انظر المقدمة ص ٤١ . ويقول ابن بسام إن معنى الأبيات الأخيرة من القصيدة مأخوذ عن الرمادى :

وَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْ تَبَسُّمِ أَعْيُنٍ   غَدَاةَ النَّوَى عَنْ لُؤْلُؤٍ كانَ كامِنَا

ويقول إن الرمادى بدوره استوحى البيت من قول ابن عبد ربه :

وكأنّما غاصَ الأَسَى بجُفُونِها   حتّى أَتاكَ بلُؤْلُؤٍ منثـــور

(٦٤)

المصادر : « البديع » (ص ١٥ — ١٦) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٦٧ — ١٦١) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٥ — ٣٥٦) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٩) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٨) . والقصيدة طويلة جدا ، ولعل ذلك هو السبب فى أنها لم تأت كاملة فى أى مصدر من هذه المصادر . ولكن أكمل نص وارد فى « الذخيرة » . وما أتى من النص فى « البديع » ، وهى الأبيات ٨ — ١١ ، ١٥ — ١٧ فقط ، مستقل تماما عن النص الوارد فى « الذخيرة » ، وكذلك النص الوارد فى « اليتيمة » ، وهى الأبيات ٣٧ — ٣٨ ، ٤١ — ٤٥ فقط ، أيضا مستقل عن نص « الذخيرة » . ومن « الذخيرة » ينقل العمرى الأبيات ١ — ٣ ، ٦ — ٧ ، ١٢ — ١٣ ، ١٦ ، ٢١ — ٢٤ ، ٢٧ — ٢٨ ، ٣٥ — ٤٠ ، ٤٣ — ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ومن « الذخيرة » أيضا ينقل ابن شاكر الأبيات ٢ — ٣ ، ١٢ — ١٤ ، ١٧ ، ١٩ — ٢٨ . — والبحر : مجزوء الكامل . وتاريخ التأليف : عام ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) أو بعده بقليل . — انظر المقدمة ص ١٩ و « عاصم » فى البيت الأول ، مكان فى منازل هذيل ، و « لقيط » فى البيت الثامن عشر ، هو لقيط بن يعمر . أما فى البيت الرابع والثلاثين فقد فضلنا أن نقرأ كلمة « أخذى » (بمعنى « ناعوظ » أو « دواء مقو للباه ») بدلا من « أخذى » كما فعل الناشرون لكتاب « الذخيرة » . أما « ابن الجد » المشار اليه فى البيت الستين فهو عبد الرحمن الناصر (شنجول) .

(٦٥)

المصادر : « البغية » (ص ١٧٩ — ١٨٠) و « الجذوة » (ص ١٢٥ — ١٢٦) و « المعجم » (ج ٣ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣) و « المطمح » ص ١٧ و « النفح » (ج ٢ ، ١٥٠) . وأمل فى اتفاق هذه القطع الثلاث التى يوردها الحميدى ، فى القافية والبحر والموضوع ، ما يثبت أنها كلها أجزاء من قصيدة واحدة . وأما الضبى فينقلها عن « الجذوة » . وأما

ابن خاقان فهو يورد البيتين الحادى عشر والثانى عشر ، مستقلا عن هؤلاء . وعنه ينقلهما المقرى . وأما ياقوت فهو يورد الأبيات ١ – ٤ .

والبحر : البسيط . ولا شيء عن تاريخ التأليف أوظروفه . انظر بيريس: La poésie andalouse ص ٤٦٧

(٦٦)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧) و« النفح » (ج ٤ ، ص ٤٠٤). والمقرى ينقل الأبيات ١٠ ، ١٣ ، ١٤ فقط من « الذخيرة » . والبحر : الطويل . — ولاشىء عن تاريخ التأليف أوظروفه .
ويقول ابن بسام إن البيت الثانى يشبه بيتين لشاعر من معاصريه يصف الثلج :

وأتْرَعَ الوَهْدَ من أزْبادِ لُجَّتِهِ بالبِرْسِ يَنْبُتُ بَيْنَ القَوْسِ والوتَرِ
فالأرْضُ مَلْساءُ لا أمْتٌ ولاعِوَجٌ كنُقْطَةٍ مِن سرابِ القاعِ لم تَمُرِ

ويضيف ابن بسام إلى ذلك أن البيت الأخير يشبه قول حبيب :

فراحَ فى ثَنَـــائِى ورُحْتُ فى ثِيابِهْ

(٦٧)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٧١ – ١٨٢) والبحر : السريع . انظر المقدمة ، ص ٣٥ .

(٦٨)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ ، ٢٢٨) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢٠٩) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٧٩) و« اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٦ – ٣٧) . والنص الوارد فى الموضع الأول من « الذخيرة » والنص الوارد فى « اليتيمة » يكملان بعضهما البعض . والشطر الأول من البيت الأول فقط هو الذى ورد فى « الرسالة » . ومن المحتمل أن مصدر الثعالبى هنا هو نفس مصدره فى القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ (انظر الحاشيتين) . أما ابن سعيد فهو ينقل البيتين ١٦ – ١٧ فقط من « الذخيرة » وكذلك ينقل عنها العمرى الأبيات ١٦ – ١٨ . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف : على الأرجح لاحق لسنة ٤١٢ هـ . (١٠٢١ م .) ، إذ أن القصيدة قيلت فى مدح المؤتمن وهذه القصيدة فى « الرسالة » أكسبت صاحبها ابن شهيد تقريظ حارثة بن المغلس ، شيطان المتنبى . (انظر المقدمة ، ص ١٩) . والعامرية » المذكورة فى البيت العشرين هى قصر المنصور قريب من قرطبة ، و « زاهرة الملوك » فى البيت الخامس والعشرين قصر آخر للمنصور أيضا قريب من نفس العاصمة وأما « ذؤبان » الواردة فى البيت الثامن والثلاثين فإنه يعنى بهم ذؤبان العرب وهم الصعاليك من شعراء الجاهلية .

(٦٩)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٧٥) . والبحر : المتقارب . وتاريخ التأليف : عام ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) أو بعد ذلك بقليل . انظر المقدمة ، ص ٢٠ . وقونكة Cuenca ودانية Denia مدينتان فى شرق الأندلس .

(٧٠)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص١٨٨) . — والبحر : مخلع البسيط . وتاريخ التأليف ما بين دخول هشام المؤيد الثاني إلى قرطبة ، وبين خلعه عن العرش (٤٢٠ — ٤٢٢ هـ : ١٠٢٩ — ١٠٣١ م) . انظر المقدمة ص٣٩ .

(٧١)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٤) . — والبحر : الرمل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) . إذ أنها وردت في « الرسالة » .

(٧٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٢) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) و « المغرب » (ج١ ، ص ٨٠) ، أما ابن سعيد والعمري (البيتين الثاني والثالث فقط) فهما ينقلان عن « الذخيرة » . — البحر : الطويل . ومن المحتمل أن يكون تاريخ تأليف القصيدة خلال الأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) اذ يظهر أنها كتبت خصيصا « للرسالة » .

(٧٣)

المصادر : « البدائع » (ص ٢٠) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٠) و « المسالك » (ج ١١ ، ص٢١٣) ويقر ابن ظافر بأن « الذخيرة » مصدره وكذلك ينقل العمري البيتين الأول والثاني فقط من « الذخيرة » . — والبحر : المنسرح وتاريخ التأليف : ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٢ — ٥٣ .

(٧٤)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٣ — ٢٨٤) و « المسالك » (ج ١١ ، ص٢١٣) . أما العمري فهو ينقل الأبيات ١ — ٥ ، ٧ — ٩ ، ١١ ، ١٣ فقط من « الذخيرة » . — والبحر : البسيط . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ — ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ — ١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٣ ، ٥٦ .

الملاحق

ملحق (أ)

من شعر أبي مروان عبد الملك بن شهيد

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنـا ‏ ‏ ‏ ‏ فحسِبْناهُ لَبِيبَـا
والتَقَيْنـا فَرَأَيْنا ‏ ‏ ‏ ‏ هُ بَعِيدًا وقَرِيبَـا

(« الذخيرة » قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥١ ؛ « الحلة » – دوزى ص ١٢٩)

أما تَرى برد يَومنـا هـذا ‏ ‏ ‏ ‏ صَيَّرَنا للكُمُـون أفـذاذَا
قد فُطِرَتْ صحّةُ الكُبُـودِ به ‏ ‏ ‏ ‏ حَتّى لَكَادَتْ تَعُودُ أفـلاذَا
فادْعُ بنـا للشَّمول مُصْطليا ‏ ‏ ‏ ‏ نُغِذُّ سيرًا إليك إغْـذاذَا
وادْعُ المُسَمَّى بها وصاحِبَـهُ ‏ ‏ ‏ ‏ تَدْعُ نَبِيلًا وتَدْعُ أسْـتاذَا
ولا تبـالى أبا العـلاء زَها ‏ ‏ ‏ ‏ بخَمْرِ قُطْرُبُّلٍ وكَـلواذَا
ما دامَ مِن أزمِـلاط مشربنـا ‏ ‏ ‏ ‏ دَعْ دَيْر غُمّى وطِيرَ نابـاذَا

(« النفح » ج ٤ ، ص ٢٤٣)

أَقْصَرْتَ عن شـأوِى فعادَيْتَنى ‏ ‏ ‏ ‏ أقصِـرْ فلَيْسَ الجَهْـل مِن شانى
إنْ كان قد أغْنـاك ما تحْتوى ‏ ‏ ‏ ‏ بُخْـلًا فإنَّ الجُودَ أغْنـانى

(« الجذوة » ص ٢٦١ ؛ « الصلة » ج ١ ، ص ٣٥١)

ملحق (ب)

نهب قرطبة

ولقد أخبرني بعض الورّاد من قرطبة ، وقد استخبرته عنها ، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث ، في الجانب الغربي منها وقد امّحت رسومها وطمست أعلامها ، وخفيت معاهدها ، وغيّرها البلى وصارت صحارى مجدبة بعد العمران ، وفيافي موحشة بعد الأنس ، وخرائب منقطعة بعد الحسن ، وشعابا مفزّعة بعد الأمن ، ومأوى للذئاب ، ومعازف للغيلان ، وملاعب للجان ، ومكامن للوحوش ، بعد رجال كالليوث ، وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية . تبدد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبأ ، فكأن تلك المحاريب المنمّقة ، والمقاصير المزيّنة التي كانت تشرق اشراق الشمس ، ويجاور الهموم حسن منظرها ، حيث شملها الخراب ، وعمّها الهدم ؛ كأفواه السباع فاغرة ، تؤذن بفناء الدنيا وتريك عواقب أهلها ، تخبرك عمّا يصير اليه كل من تراه قائما فيها ، وترهد في طابها بعد أن طالما زهدت في تركها ، وتذكرت أيامي بها ولذاتي فيها ومشهور صباى لديها ، مع كواعب الى مثلهن صبا الحليم ، ومثلت لنفسي كونهن تحت الثرى وفي الآثار النائية والنواحي البعيدة وقد فرّقتهن يد الجلاء ، ومزقتهن أكف النوى ، وخيّل الى بصرى بقاء تلك النصبة بعد ما علمته من حسنها وغضارتها ، والمراتب المحكمة التي نشأت فيها لديها ، وخلاء تلك الأفنية بعد تضايقها بأهلها ، وأوهمت سمعي صوت الصدى والهام عليها ، بعد حركة تلك الجماعات التي ربيّت بينهم فيها . وكان ليلها تبعا لنهارها في انتشار ساكنها والتقاء عمارها ، فعاد نهارها تبعا لليلها في الهدوء والاستيحاش ، فأبكى عيني ، وأوجع قلبي وقرع صفاة كبدى ، وزاد في بلاء لبي ، فقلت شعرا ، منه :

وَإِن كَانَ أَظْمَانَا فَقَدْ طَالَمَا سَقَى

وإِنْ سَاءَنَا فيهـــا فَقَدْ طَالَمَا سَرَّا

(« الطوق » ص ٩٤)

ملحق (ج)

الأخلاق في الكنائس الأندلسية

يجب أن يمنع النساء المسلمات من دخول الكنائس المشنوعة فان القسيسين فسقة زناة لوطة . يجب أن يمنع الافرنجيات من الدخول في الكنيسة الا في يوم فضل أو عيد فانهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين وما منهم واحد الا وعنده منهن اثنتان أو أكثر يبيت معهن . وقد صار هذا عرفا عندهم لأنهم حرّموا الحلال واستحلّوا الحـــرام .

Journal Asiatique في Le Traité d'Ibn 'Abdun جزء ٢٢٤

(ابريل الى يونيو ١٩٣٤) ، ص ٢٣٩

ملحق (د)

وصف أبى عامر بن المظفر

وأما من تزيّا باسم الحب وهو ملول فليس منهم ، وحقّه ألا يتجرع مذاقه ، وينفى عن أهل هذه الصفة لا يدخل فى جملتهم .

وما رأيت قط هذه الصفة أشد تغلبا منها على أبى عامر محمد بن عامر رحمه الله ، فلو وصف لى واصف مض ما علمته منه لما صدقته . وأهل هذا الطبع أسرع الخلق محبة ، وأقلهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه والصد، انقلابهم على الودّ على قدر تسرعهم اليه . فلا تثق بملول ولا تشغل به نفسك ، ولا تعنها بالرجاء فى وفائه . ان دفعت الى محبته ضرورة فعدّه ابن ساعته ، واستأنفه كل حين من أحيانه بحسب ما تراه من تلونه ، وقابله با يشاكله . ولقد كان أبو عامر المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ، ويحيق به من الاغتمام والهمّ ما يكاد ن يأتى عليه حتى يملكها ، ولو حال دون ذلك شوك القتاد ، فاذا أيقن بتصيرها اليه عادت المحبة نفارا ، وذلك لأنس شرودا ، والقلق اليها قلقا منها ، ونزاعه نحوها نزاعا عنها ، فيبيعها بأوكس الأثمان . هذا كان دأبه حتى تلف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عددا عظيما ، وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحلق الذكاء والنبل والحلاوة والتوقّد مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض ، وأما حسن وجهه وكمال صورته فشىء تقف الحدود عنه وتكل الأوهام عن وصف أقله ولا يتعاطى أحد وصفه . ولقد كانت الشوارع خاو من السيارة ويتعمّدون الخطور على باب داره فى الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا فى الجانب لشرقى بقرطبة الى الدرب المتصل بقصر الزاهرة ، وفى هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا ، لا لشىء لا لنظر منه . ولقد مات من محبته جوار كن علقن أوهامهن به ، ورثين له فخانهن ما أملنه منه ، فصرن رهائن ليل وقتلتهن الوحدة .

وأنا أعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء ، عهدى بها لا تستتر بمحبته حيثما حلت ، ولا تجف دموعها ، كانت قد تصيرت من داره الى أبى البركات الخيّال صاحب الفتيان . ولقد كان رحمه الله يخبرنى عن نفسه نه يمل اسمه فضلا عن غير ذلك .

وأما اخوانه فانه تبدّل بهم فى عمره على قصره مرارا ، وكان لا يثبت على زىّ واحد كأبى براقش ، حينا يكون فى ملابس الملوك وحينا فى ملابس الفتّاك .

« الطوق » ص ۷۳ — ۷٤

ملحق (هـ)

مراث فى ابن شهيد

(١)

لأبى الأصبغ القرشى

شهدنا غريباتِ المكارِمِ والعُلا ... تُبَكّى على قَبْرِ الشُّهَيْدِىِّ أحْمَدَا
وما زالَ أَهْلُ الدِّين والفضْلِ والتُّقَى ... عُكُوفاً به حتى حَسِبْنَاهُ مَسْجِدا
أُرِيدُ بسُقْيا الغيثِ إِحْياءَ[1] حُفْرةٍ ... كدَرْنا بها[2] نَجْمَ العُلاَ المتَوقدَا
ولم أرَ مِثْلِي باتَ مُسْتسقِىَ الحَيا ... لماءِ حَياءٍ كان يشفى من الصَّدَا
فأَىُّ جَمالٍ صارَ فى قبضةِ الثَّرَى ... وأَىُّ بهاءٍ قد طَوَتْهُ يدُ الرَّدَى
وأَىُّ قناةٍ فى طَى الأَرْضِ غُيِّبَتْ ... وأَىُّ حُسامٍ فى حَشا القَبْرِ أُغمِدَا
بنَفْسِى الَّذِى أَوْدَى وأَنْشَأَ للنَّدَى ... حَماماً على دَوْحِ الْعَلاَءِ مُغَرِّدَا
أَبا عامِرٍ ، بُعْدًا لسَهْمِ مصيبةٍ ... رَماكَ به[3] ريبُ المنونِ فأَقصَدَا
لقد فُتَّ فى نشرِ الفَضائِل يافِعًا ... وبرَّزْتَ فى جمعِ المكارِمِ أَمرَدَا
لَشَقَّتْ عَلَيْكَ المكرماتُ جُيُوبها ... وأظْهَرَ فيكَ المَجْدَ خدًّا مُخَدَّدَا

[« الذخيرة » قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٨]

---

(١) ب ، ث : « أحشاء » . (٢) ب : « به » . (٣) ق : « بها » .

(٢)

لنفس المؤلف

نَأَى مَن به كانَ السُّرورُ مُوَاصِلِي[١] وأَسْلَمَ قَلْبِي للصَّبابَة والفكرِ

. . . .

لَعَمْرُكَ ما يُجْدِي النَّعِيمُ إذا نأَتْ وُجُوهُهُم عنى ولا فُسحة العمرِ

[« النفح » ، ج ٥ ص ١٣١]

(٣)

لأبى حفص بن برد الأصغر

بِفِيكَ التُّرْبُ مِن نَاعٍ نَعانِي نَعَى غيرى إلىّ وما عدانى

وكَيْفَ ولم يسِلْ طَرْفِى بدمعٍ عليْه ، ولم يُجَنَّ له جنانى

لأَيةِ خَصلةٍ تبكيكَ عَيْنِي وما لِى بالحِساب لها يَدانِ

أَلِلهِمَمِ المَنُوطَةِ بِالثُّرَيَّا أم الشِّيَمِ المهذَّبةِ الحسانِ ؟

أم الكرمِ الَّذِى ما زالَ يجْرِى مع الأنواءِ فى طَلَقِ الرِّهانِ ؟

أم القَلَمِ الَّذِى قد كانَ[٢] يَجْنِى مِن القِرطاسِ نُوَّارَ البَيانِ ؟

أم الرأْىِ الَّذِى ما زالَ يُغْنِى عن السَّيْفِ المهنَّدِ والسِّنانِ ؟

شَهِدْتُ لقد أُصيبَ بنُو شُهَيْدٍ بقاطِعةِ السَّواعِدِ والبَنانِ

به درجُوا مِن الدُّنْيا فبانُوا وكُلٌّ ماخَلا الرَّحْمَنَ فانِ

[« الذخيرة » قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٨]

(١) هذا المصراع فى طى ١ : « أيا من به كان السرور مواصلا » . (٢) ق : « كاد » .

المراجع

(١) المراجع العربيـة :

ابن الأبـــار : الحلة السيراء ، (انظر دوزى : Notices ص ٣٠ — ٢٦٠ فى المراجع الإفرنجية) . وكذلك الطبعة الكاملة بتحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، جزءان .

ابن الأثـــير : الكامل فى التاريخ ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب النجّار . القاهرة ، ١٣٤٨ . الجزءان الخامس والسابع . الاختصار : الكامل .

• ابن بســـام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة .

القسم الأول ، القاهرة ، المجلد الأول ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) ، المجلد الثانى ١٣٦١هـ(١٩٤٢م)

القسم الثانى ، نسخة بدار الكتب المصرية ، رقم : أدب ٢٣٤٧ .

القسم الثالث ، نسخة بمكتبة غوتا ، رقم ٢١٣٦ .

القسم الرابـع ، القاهرة ، المجلد الأول ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .

الاختصـــار : الذخيرة .

ابن بشـكوال : كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ، تحقيق كوديرا . مجريط (مدريد) ، ١٨٨٢ — ١٨٨٣ . جزءان . الاختصار : الصلة .

ابن حـزم : جمهرة أنساب العرب (مجموعة : ذخائر العرب ، رقم ٢) ، تحقيق ليڤى بروفنسال . القاهرة ، ١٣٦٨ هـ . (١٩٤٨ م) . الإختصار : الجمهرة .

• — : رسالة فى فضائل أهل الأندلس . انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ، ص ١٥١ — ١٧١ .

— : طوق الحمامة فى الألفة والألآف ، تحقيق حسن كامل الصيرفى . القاهرة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠ م) الاختصار : الطوق .

— : الفصل فى الملل والأهواء والنحل . القاهرة ١٣١٧ — ١٣٢١ فى خمسة أجزاء .

ابن حيـان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، قطعة بتحقيق عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٥

ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة فى أخبار غرناطة . القاهرة ١٣١٩ . جزءان . الاختصار : الإحاطة .

• — كتاب أعمال الأعلام (تاريخ أسبانيا الإسلامية) ، تحقيق ليڤى بروفنسال . الرباط ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤م . الاختصار : الأعمال .

— : انظر دوزى (Catalogus ، ص ٢٢٤ — ٢٣١) فى المراجع الأفرنجية .

(١) جميع الكتب التى ذكر فيها ابن شهيد مشار اليها بنجمة .

ابن خلـــدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر . بولاق ، ١٢٨٤ . الجزء الرابع . الاختصار : العبر .

* ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ، ١٣٤٧ هـ — ١٩٤٨ م . الجزآن الأول والثانى . الإختصار : الوفيات .

* ابن دحيـــة : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبيارى . القاهرة ، ١٩٥٤ . الاختصار : المطرب

ابن زيدون : ديوان ، تحقيق على عبد العظيم . القاهرة ، ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .

* ابن سعيـــد : كتاب رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق غرسية غومس . مدريد ، ١٩٤٢ ، الاختصار : الرايات .

* — : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف . القاهرة ، ١٩٥٣ . جزآن . الاختصار : المغرب.

ابن شاكـــر : فوات الوفيات ، تحقيق محمد عبد الحميد . القاهرة ، ١٩٥١ . الجزء الأول . الإختصار : الفـــوات

* — : عيون التواريخ ، نسخة بدار الكتب المصرية ، رقم : تاريخ ١٤٩٧ . الجزء الحادى عشر ، الورقة ٣٥٣ — ٣٦٣ . الاختصار : العيون .

* ابن شهيـــد * : رسالة التوابع والزوابع ، تحقيق بطرس البستانى . بيروت ، ١٩٥١ .

* ابن ظافـــر : كتاب بدائع البدائه ، بولاق ، ١٢٧٨ . الاختصار : البدائع .

ابن عبــــدون : Traité de Hisba ، تحقيق ليفى بروفنسال فى Journal Asiatique إبريل — يونيو (١٩٣٤) ، ص ١٧٧ — ٢٩٩ .

* ابن عـــذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب .

الجزء الثانى ، تحقيق دوزى ، ليدن ، ١٨٤٩ — ١٨٥١ .

الجزء الثالث : تحقيق ليفى بروفنسال . باريس ، ١٩٣٠ . الاختصار : البيان .

* ابن العمـــاد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . القاهرة ، ١٣٥٠ . الجزء الثالث .

* ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية (رقم : ٢٥٦٨ تاريخ) من الأصل المحفوظ فى القسطنطينية . الجزء الحادى عشر ، الورقة ٢٠٦ — ٢١٤ . الاختصار : المسالك .

ابن المعتز : ديوان ، تحقيق محيى الدين الخياط ، بيروت ، ١٣٣٢ .

أبو العلاء المعرى : رسالة الغفران (مجموعة : ذخائر العرب ، ٤) ، تحقيق بنت الشاطىء . القاهرة ، ١٩٥٠ : سقط الزند — بيروت ، ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .

أبو نـــــواس : ديوان ، تحقيق أحمد الغزالى . القاهرة ، ١٩٥٣ .

أبو الوليد الحميرى : البديع فى وصف الربيع ، تحقيق بيريس . الرباط . ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م ، الاختصار : البديع .

أحمد ضيف : بلاغة العرب فى الأندلس . القاهرة ، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م .

أحمد هيكـــل : الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة . القاهرة ، ١٩٥٨ . الاختصار : الأدب الأندلسى .

امرؤ القيس : ديوان (مجموعة : ذخائر العرب ، ٢٤) ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

* بطرس البستانى : أدباء العرب فى الأندلس وعصر الانبعاث ، بيروت ، ١٩٤٧ . انظر أيضاً ابن شهيد .

* الثعـــالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، تحقيق على عبد اللطيف . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م . الجزء الثانى . الإختصار : اليتيمة .

* الحميـــدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى . القاهرة ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣ م . الإختصار : الجذوة .

* زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م . جزآن ، الاختصار : النثر الفنى

* الشقنـــدى : رسالة فى فضل الأندلس . انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ، ص ١٧٧ - ٢٠٨ .

* شوقى ضيف : المقامة (مجموعة : فنون الأدب العربى ، الفن القصصى ، ١) القاهرة ، ١٩٥٤ .

* الضبى : كتاب بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس .
نسخة بمكتبة الأسكوريال ، رقم : ١٦٧٦ .
تحقيق كوديرا . مجريط (مدريد) ، ١٨٨٤ .
الاختصار : البغيـــة .

* طه الحاجرى : ابن حزم ، صورة أندلسية . القاهرة ، بدون تاريخ .

* عماد الدين الأصبهانى : خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، نسخة بالمكتبة الأهلية فى باريس ، رقم : عربى ٣٣٣ . الجزء الثانى عشر ، الورقة ٢٠١ - ٢٠٣ ، الاختصار : الخريدة .

عياض بن موسى : ترتيب المدارك ، نسخة بدار الكتب المصرية برقم : تاريخ ٢٢٩٣ . الجزء الأول

* الفتح بن خاقان : كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، قسطنطينية ، ١٣٠٢ الاختصار : المطمح .

* ــ : قلائد العقيان . برلاق ، ١٢٨٣ . الاختصار : القلائد .

كلام الله : القرآن الكريم ، مصحف الملك ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .

المتنبى : ديوان ، تحقيق عبد الوهاب عزام . القاهرة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .

* المراكشى (عبد الواحد) : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد العريان ومحمد العربى العلمى . القاهرة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .

* المقـــــرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . تحقيق دوزى،١٨٥٥ — ١٨٦١ . الاختصار : Analectes الطبعة القاهرية الأولى ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) . ٤ أجزاء .

. الطبعة القاهرية الثانية ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ١٣٦٧ هـ (١٩٤٩ م) ١٠ أجزاء . الاختصار : النفح .

* ياقوت الرومى : معجم الأدباء ، تحقيق مارجوليث . القاهرة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) . الجزءان الثالث والثانى عشر .

— : كتاب معجم البلدان ، تحقيق فستنفلد . ليبزج . الجزءان الثانى (١٨٦٧) والثالث (١٨٦٨) .

(٢) المراجع الأفرنجية :

Anonymous : *Chronicon Burgense* (Collection : *España Sagrada,* Vol. XXIII of 51 vols. edited by Enrique Flórez, Risco, etc., Madrid, 1747-1879).

Asín Palacios (M.) : *Abenhhazam de Córdoba y su Historia de las ideas religiosas,* Madrid, vol. I (1927).

——— : *La escatología musulmana en la Divina Comedia,* Madrid, 1919, Abbreviated to *La escatología musulmana.*

Brockelmann (C.) : *Geschichte der Arabischen Literatur, Supplementband,* Leiden, vol. I, (1937).

———: *History of the Islamic Peoples,* London, 1949.

Condé (J.A.) : *History of the Dominion of the Arabs in Spain,* translated by Mrs. J. Foster, London, 1845, vol. II.

Dozy (R.) : *Catalogus codicum orientalium bibliothecae Academiae Lugduno Batavae,* Leiden, vol. I (1851). Abbreviated to *Catalogus.*

——— : *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides* (711-1110), new edition revised by Lévi-Provençal, vols. II, III. Abbreviated to *Histoire des Musulmans.*

———: *Historia Abbadidarum Praemissis scriptorum arabum de ea dynastia locis nunc primum editis,* Leiden, vol. II (1852), vol. III (1863). Abbreviated to *Historia Abbadidarum.*

García Gómez (E.) : *El collar de la paloma* (translation of *Tauq al-hamama),* Madrid, 1952.

———: *Poemas arābigoandaluces,* 3rd edition, Buenos Aires, 1944.

——— : *Poesía arábigoandaluza, breve síntesis historica,* Madrid, 1952. Abbreviated to *Poesía arábigoandaluza.*

———: « Poetas musulmanes cordobeses » in *Boletín de la real Academia de ciencias, bellas letras y nobles artes de Córdoba,* XXV (1929), pp. 145-176.

Gómez-Moreno (M.) : *Ars Hispaniae, historia universal del arte hispánico*, vol. III *(el arte árabe español hasta los almohades, arte mozárabe)*, Madrid, 1951. Abbreviated to *Ars Hispaniae.*

González Palencia (A.) : *Historia de la literatura arábigo-española*, revised edition, Barcelona, 1945.

Lévi-Provençal (E.) : *Histoire de l'Espagne musulmane*, revised edition, vol. II, Paris-Leiden, 1950 ; vol. III, Paris, 1953.

——— : *Inscriptions Arabes d'Espagne*, Leiden-Paris, 1931, vol. I.

——— : *L'Espagne musulmane au Xe siècle. Institutions et vie sociale*, Paris, 1932. Abbreviated to *L'Espagne musulmane.*

——— : « Observations sur le tome III du *Bayan* d'Ibn 'Idari in *Mélanges Gaudefroy-Demombynes*, 248-9.

Nykl (A.R.) : *Cancionero de Aben Guzmán*, Madrid-Granada, 1933.

——— : *Hispano-Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal Troubadours*, Baltimore, 1946. Abbreviated to *Hispano-Arabic Poetry.*

Ocaña Jiménez (M.) : « Las puertas de la medina de Córdoba » in *Al-Andalus*, III (1935), 143-151.

Pellat (C.) : « Ibn Hazm, bibliographe et apologiste de l'Espagne musulmane » in Al-Andalus, XIX (1954), 53-102.

Pérès (H.) : *La poésie andalouse en Arabe classique au XIe siècle, ses aspects généraux, ses principaux thèmes et sa valeur documentaire*, revised edition, Paris, 1953. Abbreviated to *La poésie andalouse.*

Simonet (F.J.) : *Historia de los Mozárabes de España deducida de los mexores y más auténticos testimonios de los escritores cristianos y árabes* (Collection : Memorias de la Real Academia de la Historia, vol. XIII), Madrid, 1897-1903. Abbreviated to Historia *de los Mozárabes.*

Terés (E.) : « Algunos aspectos de la emulación poética en Al-Andalus » in *Homenaje a Millás-Vallicrosa*, Barcelona, 1956, vol. II, pp. 445-467.

الفهــــرس

صفحة

التصــدير ٣

المقــدمة

(١) حياة ابن شهيد (٣٨٣ — ٣٩٩ هـ / ٩٩٢ — ١٠٠٨ م) ٥

(٢) حياة ابن شهيد (٣٩٩ — ٤٠٧ هـ / ١٠٠٨ — ١٠١٦ م) ١٧

(٣) حياة ابن شهيد (٤٠٧ — ٤١٣ هـ / ١٠١٦ — ١٠٢٣ م) ٢٨

(٤) حياة ابن شهيد (٤١٣ — ٤٢٥ هـ / ١٠٢٥ — ١٠٣٤ م) ٣٨

(٥) حياة ابن شهيد (٤٢٥ — ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ — ١٠٣٥ م) ٥١

(٦) آراء ابن شهيد ٦٦

(٧) المصــادر ٧٤

الديــوان ٧٩

بيان رموز الأصول ١٧٥

فهرس الديوان ١٧٧

حواشي القصائد ١٨١

اللاحــق ١٩٧

المراجــع ٢٠٢